



### مصباح السلام

صورة لنصب من اروع الانصاب التي اقيمت دعاية للسلام على  
مقربة من مدافن الالمان والفرنسيين في أرتوى. فاليد الحاملة لمصباح  
السلام ترتفع من الانقراض الى علو ٢٥ قدماً ، لتذكر الاجيال المقبلة  
بان مصباح السلام يجب ان يظل مضيئاً



# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد الحادي والثمانين

١ ديسمبر سنة ١٩٣٢

٣ شعبان سنة ١٣٥١

## الاضداد في الطبيعة

العقل الانساني مولع بالمفاضلة . فيتجشم الناس مشاق الاسفار ليروا اعلى الجبال او اكبر المباني أو اروع مشاهد الغروب او اقدم الآثار أو للاجتماع باعظم المعاصرين . الا يذكرك كل قارى شعوره لما قيل له في صغره بانه سوف يرى اضخم الفيلة أو اصغر الاقزام أو اقوى المصارعين . ثم اذا قرأنا الصحف اعجبنا اشد الاعجاب بما ترويه عن اسطح المناير التي تبلغ قوة ضوئها ملايين من الشموع واصغر المصابيح الكهربائية حتى ليستطيع الجراح ادخالها من ثقب دقيق الى ججمة الرأس في اثناء عملية جراحية واطول الجسور وادق الاسلاك واضخم البلونات واسرع السفن وما الى ذلك . ان الاشياء العادية لا تسترعي انتباهنا ولكنها اذ شددت عن المستوى العادي نهت فينا عناية خاصة بها

والطبيعة اغدقت على الانسان هباتها متباينة الصفات والخواص ، فهتد العلم للانسان سبيل تعديل هذه الخواص وجعلها ملائمة لاغراضه . فاذا كان صانع الساعات يطلب زنبكاً شديداً المرونة همة ان يعرف ما هي العناصر او المركبات التي يستطيع ان يستخدمها لصنع هذا الزنبك وكيف يعالجها لتتصف بالصفات المطلوبة . كذلك المهندس الذي يطلب كرات دقيقة لمحاور العجلات ، والطبيب الذي يبحث عن علاج لمرض . كلهم يطلب افضل ما يمكن لتأدية غرضه . واذن فرغبتنا الفطرية في المفاضلة بين الاشياء تذكرها مطالب الحضارة . والبحث في الاضداد — في اصغر الاشياء واكبرها، أثقلها وأخفها، اغلاها وارخصها، اكثرها قابلية للعد والانطراق،



اعلى درجات درجات الحرارة وادناها ، ليس الغرض منه ا كفاء الميل الفطري فقط بل هو من امتع ما يعنى به الباحثون وتفسح له المجالات العلمية صفحاتها<sup>(١)</sup>

### ما أثقل المواد

لا بد من التدقيق في الاجابة عن هذا السؤال لان المواد الثقيلة في الطبيعة كثيرة والفروق بينها دقيقة . ولا ريب في ان اثقل المواد يجب ان يكون من الجوامد ، لان الجوامد، تحتوي عادة على المادة في اكثف حالاتها . فشمه صخور ومعادن كثيرة مشهورة بثقلها ولكن ينذر بينها ما يزيد وزن بوصة مكعبة منه سبعة اضعاف عن وزن بوصة مكعبة من الماء<sup>(٢)</sup> ولكن الفلزات (metals) التي يزيد وزنها النوعي عن ١٠ كثيرة ولا تقل عن ١٧ فلزاً . وقد جرت العادة على قولها « اثقل من الرصاص » اذا شئت ان تصف جسماً ما بالثقل العظيم ، لان العادة خبرت ثقل الرصاص النوعي في كثير من معاملاتها اليومية . ولكن الرصاص يبعد عن ان يكون اثقل الفلزات . فالذهب والزرنيق والبلاطين والتنتالوم والتاليوم والثوريوم والتنتستن والاورانيوم تفوقه جميعاً في وزنها النوعي . وفي اختيار اثقل هذه الفلزات ، يجب ان نعني عناية خاصة بتحضير النماذج المستعملة اساساً للمقابلة . فالذهب اذا نقي في فراغ كان وزنه النوعي ١٩٨٨ ولكنه اذا مُدَّ بعد احماؤه بالنار وسقيه بالماء اصبح ١٩٣٦ . كذلك الذهب الزهر وزنه النوعي ١٩٨٣ ولكنه اذا كان مطرّقاً اصبح ١٩٣٣ . واذن فالمقابلة يجب ان تتم بين نماذج حضرت بطريقة واحدة . واثقل الفلزات التي يتناولها الناس عادة هو عنصر البلاطين ويتباين وزنه النوعي من ٢٠٩ الى ٢١٧ ويشبهه في ذلك الاسميوم والاريديوم وهما من الفلزات غير المشهورة . وكلاهما اثقل من البلاطين قليلاً . فوزن الاسميوم النوعي يتباين من ٢١٣ الى ٢٤ فاذا كان في اكثف ما يكون عليه كان اثقل المواد على سطح الارض

### ما أخف المواد

لقد بحثنا عن اثقل المواد بين المعادن والفلزات فيجب ان نبحت عن اخفها بين الغازات لانها تحتوي على المادة في الطف اشكالها . تقول العادة « اخف من الريشة » ولكن خفة الريشة اذا قيست بخفة بعض الغازات كانت كبعض المعادن ازاء الماء . ولا يخفى ان الريشة اثقل من الهواء ، ومهما يضربها المثل في الشعر العربي بعدم الاستقرار ، فلا بد ان تهبط الى الارض .

(١) هذه المقالة مبنية على بحث مسهب في المجلة العلمية الاميركية (٢) تعرف هذه الصفة بالثقل النوعي او الوزن النوعي . وهو النسبة بين وزن جسم من حجم معين ووزن جسم من الماء من الحجم عينه . فاذا قيل هذه المادة يبلغ ثقلها النوعي ١٠ عني ان مقداراً منها يزن عشرة اضعاف مقدار مماثله من الماء



ولكن بعض الغازات اخف من الهواء فاذا اطلقت فيه ارتفعت بدلاً من ان تهبط الى سطح الارض ، وقد جرى العلماء لدى الكلام في الغازات على المقابلة بين مقدار من الغاز بمقدار مثله من الهواء . وكل غاز اخف الهواء تكون كثافته اقل من ١ لان هذا الرقم هو الممثل لكثافة الهواء . فالاسيتلين والامونيا واكسيد الكربون الاول والنيون والنتروجين والهليوم اخف من الهواء . اما الثلاثة الاولى فمركبات . واما الثلاثة الاخيرة فعناصر . وتبلغ كثافة عنصر الهليوم ٠١٣٨ . فهي اقل من سبعة كثافة الهواء . ومع ان الهليوم خفيف جداً لا يمكننا بحال من الاحوال ان نحسبه اخف المواد على سطح الارض . ذلك اننا اذا اخذنا لترًا من الايدروجين ووزناه واخذنا لترًا من الهليوم ووزناه وجدنا ان وزن الايدروجين نحو نصف وزن الهليوم . فيصح ان نحسب الايدروجين اخف المواد التي نتناولها . ولكن لا يصح ان نقول انه اخف المواد على سطح الارض لان المشتغلين بالاشعة المولدة للكهرباء في فراغ الانابيب العلمية يتناولون تيارات من الكهرباء ، وهذه التيارات لا بد ان تكون اخف من الايدروجين لان كل الكترون ليس الا جزءًا من ذرة الايدروجين

وقد طبق ما عرف عن اخف العناصر تطبيقاً عملياً في شؤون الملاحة الجوية . فتملاً بالونات — مثل البالون غراف تسبلين — بالايدروجين تارة وبالهليوم اخرى . وقوة الايدروجين على رفع الاجسام عن سطح الارض غريبة . فالانسان لا يستطيع ان يرفع نفسه اكثر من ست اقدام ونصف قدم في الهواء . وهو الرقم القياسي في القفز العالي . ومع ذلك لا بد له من قوة عضلية ومرانة وخفة لبلوغه . والذين بلغوه قلائل . اما الايدروجين فيرفع جسمًا ثقيلًا عن الارض . فاذا ملأت بلونًا بما وزنه رطل من الايدروجين رفع ثقلاً وزنه ١٤ رطلاً . ولكنه شديد الالتهاب ، لذلك يمنع التدخين في البالون غراف تسبلين في اثناء الطيران وعلى مقربة منه في حظيره . ومرد طائفة كبيرة من الكوارث التي أصابت البالونات الى شدة التهاب الايدروجين . اما الهليوم فاثقل وزناً من الايدروجين ولكنه لا يلهب . وقد كانت اكبر مصادره — حتى عهد قريب — في الولايات المتحدة الاميركية فاستعملته حكومتها في ملء بالوناتها الحربية ومنعت اصداره من بلادها

### ما اقصى المواد

لا بد من تعريف « التساوة » ثم البحث عن اسلوب لقياسها ، قبل البحث عن المواد المتصفة بها . فاذا قال احد المهندسين ان هذا الفلز اشد قسراً فقد يفسر قوله بـ « ان كثرة » . فاذا قال ان كرات العجلات في هذه الماكينة مصنوعة من فلز صلب عني انها



وهي مزيته لا تتأكل بسرعة في اثناء دوران العجلة وفرك السطوح المعدنية الملامسة لها ، واذا اشار الى الصلب الذي تصنع منه الخطوط الحديدية بأنه صلب قاسٍ قصد انه لا يتأكل بسرعة من سير العجلات عليه من دون تزييته . واذا تكلم عن قساوة الفلزات في آلة معدة لتحطيم الحجارة عنى مقاومتها « للهرش » في اثناء هذا العمل . فاذا وصّف بالقساوة فلزاً معدداً للقطع عنى بذلك مقدار ما يلقاه الصانع من الصعوبة في قطعه . وكل واحدة من هذه الصفات تختلف عن الاخرى وكلها تعرف باسم عام هو القساوة ( Hardness )

فاختيار وسيلة لقياس قساوة المواد للموازنة بينها يكاد يكون متعذراً . ولكن المهندسين جروا على تعريف القساوة بمقدار ما تحدثه آلة مقساة تقسية خاصة في مادة ما اذا ضغطت عليها ضغطاً معيناً . وطريقة « برينل » تستعمل كرة من الصلب قطرها عشرة مليمترات . فتوضع تحتها المادة التي يراد قياس قساوتها وتضغط هذه الكرة عليها ضغطاً معيناً ثم ينظر في ما أحدثته الكرة في المادة من أثر . وقد يستعمل بدل الكرة مخروط صغير من الصلب او مطرقة ذات وزن معين تهبط من علوٍّ معين ثم يقاس مقدار ارتدادها . وغير ذلك . وهذه الوسائل كلها تمكن الباحثين من الموازنة بين قساوة المواد المختلفة بالمعنى الخاص بها دون غيره . لانه قد تكون المادة قاسية جداً ولكنها قابلة للانكسار فاذا ضغط عليها المخروط الفولاذي او سقطت عليها المطرقة تشعثت او تحطمت

اما المعدن فهذه الموازنة بين قساوة المعادن ( Minerals ) ولذلك يستعمل سكيناً او مبرداً مصنوعاً من مادة قاسية فيخدش المعادن بقوة معينة ثم يقيس الخدش وبذلك يوازن بين قساوة المواد المختلفة

واقسى المعادن في الطبيعة هي الماس فالياقوت الازرق فالياقوت الاصفر فالكوارتز

\*\*\*

ولكن ثمة امكان صنع مواد اقصى من الماس . فدرجات الحرارة العالية التي يمكن بلوغها في الاتين الكهربائيه مهدت السبيل لصنع مواد قاسية جداً وهي مركبة في الغالب من عناصر الكربون والسليكون والبورون وبعض الفلزات واشهر هذه المواد « الكربورندم » وهو كاربيد السليكون ويصنع باحماء مزيج من الكربون والسليكون في اثنون كهربائي على درجة عالية من الحرارة . وقساوته تكاد تساوي قساوة الماس . ويستعمل في الصناعة لصقل الادوات المعدنية والفلزية القاسية . وقد صنعت مركبات السليكون والكربون والبورون من عناصر الالومنيوم والكلسيوم والفناديوم والتيتانيوم والزركونيوم والموليبدنيوم والتنجستن والتنتالوم والكروميوم فجاءت شديدة القساوة . وثمة مركب « كريد البورون » فقد قيل انه يصلح لصقل الماس ، والمرجح ان صنع مادة اقصى من الماس لم يحقق بعد



والماس مشهور على انه من الحجارة الكريمة . ولكن نصف ما يستخرج منه من المناجم يستعمل في الصناعة في صقل الاجزاء الفلزية في الآلات الدقيقة كالساعات والمقاييس العلمية . ثم ان غبار الماس يستعمل في قطع الحجارة الكريمة وصقلها . واشهر البلدان التي يستخرج الماس منها بلاد جنوب افريقية اذ يستخرج من مناجمها ٩٥ في المائة من الماس المستخرج في العالم . اما اكبر حجارة الماس التي وجدت فهو ماسة كوليان وكان وزنها لما وجدت ٣١٠٦ فراريط وماسة كوهي نور ووزنها الآن بعد صقلها مائة قيراط

### ما اكثر المواد قبولاً للمد

مدّ الحبل ومدّ به مظهر . والمدّ في علم المعادن قابلية الفلز لان يمدّ او يسحب سلكاً طويلاً . ويكاد يلزم هذه الصفة قابلية الفلز للانطراق رقيقاً وهاتان الصفتان يمتاز بهما الفلزات . وفي تعيين ايها اشد قبولاً للمد والانطراق يجب ان نراعي صفاء الفلز من الشوائب وطريقة تحضيره . فوجود شوائب في الفلز يجعله اشد قبولاً للتكسر . ولنا في عنصر التنغستن ابلغ مثل على ذلك ، وهو الفلز الذي تصنع منه اسلاك المصابيح الكهربائية . فلما حاول الباحثون صنع اسلاك المصابيح منه ، وجدوه يتكسر بين ايديهم فلا يستطيعون مدّه اسلاكاً . ولكن لما حضّر تحضيراً صفواً من الشوائب ، وعولج بالنار معالجة خاصة ، اصبح يسهل مدّه اسلاكاً دقيقة كما ترى في المصابيح لذلك يعتقد العلماء ان الفلزات التي تحسب قاسية متكسرة تصبح مرنة قابلة للمد والطرق اذا صفيّت من شوائبها وحضرت التحضير الموافق لها

وقد يحدث احياناً ان وجود بعض الشوائب يجعل الفلز اشد مرونة منه اذ خلا منها . فالحديد المطرق مثل يضرب بين الفلزات في الطراوة والقساوة والمرونة وقابلية المد . وذلك لانه يحتوي على مقدار معين من الكربون والفسفور مع ان هذه الشوائب في الحديد تجعله قاسياً وقابلاً للتكسر بوجه عام

ومن المجمع عليه الآن ان الذهب فالفضة فالنحاس اكثر الفلزات قبولاً للمد والطرق ويليه القصدير والپلاتين والرصاص والزنك الحامي

فالذهب ينزل من هذه القائمة في الرأس ، لانه مدّت منه اسلاك دقيقة لا ترى الا بالمجهر . ويقال ان غراماً من الذهب مدّ سلكاً طوله ٣٠٠٠ متر . فاذا صحّ ذلك فاقوية الذهب تمدّ سلكاً طوله خمسون ميلاً . وقد طرق الذهب اوراقاً رقيقة حتى ان ١٥٠٠ ورقة منه لا تزيد كثافتها على كثافة صفحة من المقتطف ، فاذا جمعنا منها ٣٠٠٠٠٠ ورقة لم يزد علوها عن بوصة



واحدة . واذا اخذنا اوقية من الذهب وطرقناها كما تقدم بلغت مساحتها ١٨٩ ميلاً مربعاً . اما الورق الذهبي المستعمل في التجارة في صناعة التجليد والتذهيب فيحتوي على ٢ في المائة من النحاس و ٢ في المائة من الفضة . والغرض من اضافة هذين العنصرين تحسين اللون وتقوية الورق حتى يستطيع تناوله في الاعمال من دون تفتيته

اما عنصر التنغستن فيباري الذهب في ذلك ولكنه لا يساويه . فقد حضر حديثاً خالياً من كل شائبة وعولج بالنار فامكن مدّه سلكاً قطره خمسة اجزاء من الف جزء من الممتر او ١/١٠ من شحن شعرة الانسان واثنى قليلاً من ادق اسلاك الذهب . وقد تسفر موالاة البحث في التنغستن عن امكان مدّه اسلاكاً ادق من اسلاك الذهب

### ما اعلى درجات الحرارة

ونقصد هنا اعلى درجات الحرارة التي بلغها الانسان بوسائله الصناعية . والطريقة العادية التي يجري عليها الانسان لتوليد درجات الحرارة العالية هي اشعال وقيد جامد مثل الفحم او « الكوك » ( وهو الفحم الحجري الذي طار غازه منه ) في الهواء . واستعمال هذه الطريقة تمكنا من توليد حرارة تبلغ نحو ٧٠٠ درجة بميزان سنتغراد (مئوية) وهي كافية لصهر القصدير والرصاص والزنك . وقد تولد حرارة تبلغ ١٢٠٠ درجة مئوية اذا استعمل تيار جاف وهي كافية لصهر النيكل والحديد . فاذا اردنا ان تولد حرارة اعلى مما تقدم سحق الوقيد ثم ادخل الى الاتون في تيار من الهواء فيتكوّن من دقائق الوقيد وجزيئات الهواء مزيج يولد لدى احتراقه حرارة درجتها ١٦٠٠ مئوية وهذا الاتون يستعمل في صنع الاسمنت . فاذا شئنا المزيد ابدلنا الهواء في مزيج الوقيد والهواء بغاز اكسجين فنجنب فعل نترجين الهواء الذي لا يشتعل وتبلغ الحرارة نحو ٢٠٠٠ درجة مئوية . فاذا استعمل غاز مشتعل مع الاكسجين كالايديروجين مثلاً تولدت حرارة هي اعلى حرارة نستطيع توليدها من وقيد مشتعل . وتبلغ ٢٨٠٠ درجة مئوية . وقد استنبطت حديثاً وسيلة لتجزئ غاز الايديروجين واستعماله مجزئاً في توليد الحرارة فولدت حرارة بلغت ٣٨٠٠ درجة . وهذه الحرارة كافية لصهر او تبخير كل مادة ارضية معروفة الا الكربون والمادة الصناعية الجديدة وهي كربيند التنتالوم وقد شاع حديثاً استعمال الاتون الكهربائي . ومبدؤه تحويل الطاقة الكهربائية الى حرارة بامرار تيارها في مادة مقاومة له . فاذا لف سلك حول قضيب فلزي وامر تيار كهربائي في السلك تولدت حرارة تبقي آخذة في الارتفاع حتى تبلغ درجة يلين عندها الفلز . فاذا استعملت اخلاط النيكل والكروم امسكن الحصول على حرارة تبلغ درجة ١٠٠٠ بميزان سنتغراد . واذا



استعمل سلك مصنوع من عنصر المولبدنوم او التنغستن بلغت  $1600^{\circ}$ . وثمة نوع آخر من الاتاتين الكهربائية مبني على استعمال مبداء النور القوسي فيمر التيار الكهربائي في انبوب يحتوي على حبيبات من الكربون وهي شديدة المقاومة لمرور التيار فترتفع الحرارة حتى لقد تبلغ درجة  $3500$  الى  $3600$  درجة مئوية وفي هذه الاتاتين تصنع مادة الكربورندم التي ذكرناها في المواد القاسية. ولكن يؤخذ على هذه الطريقة عجزنا عن السيطرة عليها وتباين درجات الحرارة في احوال متماثلة. وهناك انواع اخرى من الاتاتين الكهربائية لضرب عنها صفحاً وقد حاول بعض العلماء من عهد قريب ان يجمعوا حرارة الشمس في نقطة معينة باستعمال عدسات ومرايا مختلفة وقد بلغت اعلى درجات الحرارة التي بلغوها بهذه الطريقة  $3000$  درجة مئوية. وقد يسفر البحث في هذه الناحية في بضع السنوات المقبلة عن بلوغ درجات من الحرارة اعلى جداً مما بلغناه حتى الآن

اما قياس الحرارة في درجاتها العالية فمسألة ذات شأن. فنحن قد اعتدنا استعمال الميزان الزئبقي (ميزان الحرارة الذي يستعمله الاطباء في قياس حرارة المرضى او ما هو مبني على مثاله) لما ثبت لنا من صحة الاعتماد عليه. ولكن اذا بلغت الحرارة  $500$  درجة مئوية وجب البحث عن مقياس آخر. وقد عمد الطبيعويون الى الغازات فانهم يعلمون انها تتمدد تمدداً معيناً محدوداً بارتفاع حرارتها فبنوا على هذا المبدأ مقاييس غازية لقياس درجات الحرارة. وقد تملأ الانابيب المستعملة لهذا الغرض بالايديروجين او الهليوم او النتروجين او الأرجون ثم يعين ارتفاع الحرارة بمقدار زيادة ضغط الغاز اي بمقدار تمدده. والظاهر انها بسيطة التركيب دقيقة القياس وسهلة التناول

وقد صنعت مقاييس كهربائية ولكنها معقدة التركيب ويحتاج العامل الى براعة خاصة لكي يحسن استعمالها. ومع ذلك فهذه الطرق كلها لا تصلح لقياس اعلى درجات الحرارة. لانه اذا زادت درجة الحرارة عن  $1774$  درجة مئوية — وهي درجة انصهار البلاتين — اصبحت كل هذه المقاييس المبنية من مواد اقل صلابة من البلاتين، لا تصلح لانها تلين وقد تصهر قبل بلوغ هذه الدرجة

لذلك بنوا مقاييس تعرف « بالمقاييس الضوئية » ولا نستطيع ان نتبسط في وصفها هنا اما المبدأ الذي تقوم عليه هو انه كلما ارتفعت الحرارة تغير لون الاشعة المنبعثة منها، أي تغير طول امواجها. فاذا تبيننا اللون او قسنا طول الاشعة استطعنا تقدير درجة الحرارة التي انبعثت منها هذه الاشعة. على ان اعلى درجات الحرارة التي بلغها الانسان باستعمال اصناف الوقيد المختلفة وبناء الاتاتين الكهربائية، ليست شيئاً يذكر ازاء حرارة الشمس اذ يقدر علماء الفلك الطبيعي (Astrophysics) حرارتها بـ  $4000000$  درجة مئوية!



## ما إلى درجات البرد

ان توليد درجات البرد الشديد يقوم على ازالة حرارة الاجسام بوسائل مختلفة . وأشهر هذه الوسائل هي المستعملة في صنع ( الجلاته او الدندرمه ) اذ يؤخذ المزيج الذي يراد تجميده ويوضع في وعاء من الالومنيوم مثلاً يحيط به وعاء خشبي آخر اكبر منه وبين جداري الوعائين يوضع مزيج من الجمد (الجليد) والملح . والجمد في ذوبانه يمتص كثيراً من الحرارة . ولما كان المعدن اكثر ايصالاً للحرارة من الخشب ، فالجليد يمتص من المزيج في الوعاء المعدني اكثر مما يمتصه من الهواء خارج الوعاء الخشبي . ويمكن الهبوط بالحرارة ، بهذه الطريقة ، الى ٢٠ أو ٢٥ درجة مئوية تحت الصفر . فاذا استعمل ثاني اكسيد الكربون الثاني المتجمد بدلاً من جمد الماء بلغت البرودة ٥٠ تحت الصفر ، واذا صب سائل طيار على جمد اكسيد الكربون الثاني هبطت الحرارة الى ٧٧ تحت الصفر

ثم هناك طريقة اخرى لتوليد برد اقوى من البرد المولّد بالطريقة المذكورة سابقاً . ذلك ان بعض الغازات يؤخذ ويضغط ضغطاً شديداً ، ثم يبرّد الغاز المضغوط باحدى الطرق المذكورة آنفاً ، ثم يرفع الضغط فجأة ، فتتمدّد الغازات وفي تمددها تمتص حرارة . فاذا احيطت الانابيب التي يتمدد الغاز فيها فجأة بسائل ما امتصّ الغاز الحرارة من السائل فتهبط حرارة السائل هبوطاً عظيماً وهي الطريقة المستعملة لصنع الثلج الصناعي — وهو في الواقع ليس ثلجاً وانما هو جمد او جليد

فاذا رتبت الانابيب التي يضغط فيها الغاز بشكل دوائر متركزة ، وفتح اولاً صمام دقيق ليخرج منه مقدار ضئيل من الغاز لكي يتمدد ، ثم قفل الصمام ، تمدّد ذلك الغاز وفي اثناء تمدده يمتص الحرارة من باقي الغاز الذي لم يتمدد . ثم يفتح الصمام ثانية ويخرج مقدار آخر فيتمدد ويمتص الحرارة في اثناء تمدده من الغاز الباقي ، وهكذا رويداً رويداً الى ان يبقى مقدار قليل من الغاز وقد هبطت حرارته حتى اصبح سائلاً . وهكذا تسيل الغازات . ومختلف الغازات تسيل على درجات مختلفة من البرودة . فالاكسجين السائل اذا بلغت حرارته ١٨٢٫٥ تحت الصفر تحول غازاً والنيتروجين السائل اذا بلغت حرارته ١٩٥٫٨ تحت الصفر تحول غازاً والايديروجين السائل اذا بلغ ٢٥٢٫٧ تحت الصفر تحول غازاً — وهو ما يعرف بدرجة الغليان لسائل الغاز . فاذا غلت هذه السوائل تحت ضغط عظيم زاد بردها وقد تتحول الى جوامد . فدرجة غليان الهليوم السائل ٢٦٨٫٩ تحت الصفر ودرجة ذوبان الهليوم الجامد ٢٧٢٫٢ تحت الصفر . وهي ادنى درجات البرد التي بلغ اليها العلماء



# خبر الذرة والحلبة<sup>(١)</sup>

للكرنور على حسن

الاستاذ المساعد للفسولوجيا في كلية الطب

يصيب بعض اهالي القطر المصري مرض يعرف طبيياً بالبلاجرا ويميز هذا المرض بطفح يظهر على اجزاء الجسم المعرضة للشمس كاليدن والقدمين والوجه والرقبة وتلبكات معدية معوية مصحوبة باسهالات تنتج ضعفاً شديداً وهزالاً مميّزاً في بعض الاحوال وقد تتأثر حالة المريض العقلية فيصاب بمجنون لا يقتصر خطره على المريض نفسه بل قد يمس بعض اهله او عارفه لانه نوع من الجنون تصحبه في كثير من الحالات رغبة في القتل مبعثها في الغالب سوء ظن المريض في اقرب الناس اليه فقد يخيل اليه عقله المشوش ان ما يصيبه من الاسهال والضعف نتيجة لاعمال سحرية او لان امه او زوجته تدس له السم في طعامه لتخلص منه إما لتطول مرضه او لان زوجته تميل لرجل آخر فهي لذلك تحاول امانته لتصبح حرة قادرة على الزواج من جديد بمن تحب. وقد يقتل زوجته او رجلاً من اهله أو اصدقائه وتكون الغيرة هي الدافع له على ارتكاب هذا الجرم لان هذا المرض يقعه عن اداء وظيفته الزوجية وشعوره بعجزه هذا يبعث في عقله السقيم شكوكاً من جهة سلوك زوجته ومن تختلط بهم عادة من الرجال . فالبلاجرا في الغالب تمت مرضها موتاً بطيئاً او تقودهم الى مستشفى المجاذيب وقد يقضي المريض باقي ايامه هناك ان كان متهماً بجريمة وذلك رغم ما يطرأ على حالته من التحسن او الشفاء خوفاً من عودة المرض اليه اتجهت الجهود في ايطاليا وفرنسا واسبانيا ورومانيا والولايات المتحدة اخيراً حيث يكثر هذا المرض ايضاً الى دراسة اسبابه تمهيداً لمقاومته مقاومة فعالة وقد اجمع السكل تقريباً على انه مرض يصيب عادة فقراء الفلاحين والعمال في القرى لانه يكثر بين الطبقات الفقيرة في الريف . اما متيسري الحال من الفلاحين وساكني المدن فلا يصابون به الا فيما ندر

وبعد تخطيط طويل اتجهت الآراء الى اتهام الذرة بانها تسببه لان المرض يكثر في الممالك التي تزرع الذرة وتأكلها ودل البعض على صحة هذا الاتهام بان المرض لم يكن معروفاً في اوربا قبل بدء زراعة الذرة فيها والذرة كما تعلمون نبات ورد الينا من امريكا وانتشرت زراعته في الدنيا القديمة من اواخر القرن الثامن عشر الى وقتنا هذا

(١) لا يصدر هذا الجزء من المقتطف وتداوله ايدي قرائه الا ويكون كتاب الجمع المصري للثقافة العلمية قد خرج من المطبعة محتوياً على محاضرات المؤتمر الثالث الذي عقد برئاسة الدكتور محمد شاهين باشا. وقد اخترنا هذه المحاضرة المفيدة منها لتنتشر في المقتطف. وعندنا ان قراء المقتطف لا يستغنون عن هذا الكتاب النفيس



ولاظهار العلاقة بين الذرة والبلاجا حاول علماء ايطاليا اقامة الدليل على ان البلاجرا هي حالة تسمم بطيء ناتجة من اكل الذرة الفاسدة وذلك لان حبوب الذرة عرضة للفساد ولتنمو بعض الفطريات عليها خصوصاً اذا لم يعتن بتجفيف الحبوب بعد ضمها او اذا ضمت قبل تمام نضجها. وان هذه الفطريات تفرز سموماً اذا اكلت مع الذرة اصيب آكلها بالبلاجرا — الا ان هذه النظرية التي وجدت كثيراً من المعضدين اهملت لضعف الادلة التي قدمت للبرهان على صحتها واستبدلت بنظرية أخرى تدور حول الذرة ايضاً. وهذه النظرية الاخرى تقول بان البلاجرا مرض ينشأ من الاعتماد على الذرة في الغذاء لان زلاليات الذرة من نوع رديء من الوجهة الغذائية — وهنا يحسن بي ان اوجه نظركم الى بعض حقائق اثبتها علم التغذية منها ان الانسان يحتاج يومياً الى مقدار من المواد الزلالية يتأثر مقدارها بعوامل كثيرة منها السن والنوع والوظيفة ومصدر المادة الزلالية ذاته — وان المواد الزلالية موجودة في لحوم الحيوانات والحاصلات الحيوانية كاللبن والبيض وتوجد ايضاً في النباتات من خضروات وفواكه وحبوب خصوصاً في بزور الفصيلة البقلية ففي العدس والحلبة مثلاً حوالي ٢٥ في المائة زلاليات اما اللحم الاحمر ففيه ٢٠ في المائة فقط وان الزلاليات الحيوانية اكفاً من الوجهة الغذائية اي من وجهة قدرتها على تقديم المركبات اللازمة للإصلاح وللبناء من الزلاليات النباتية. ولاضرب لذلك مثلاً : اذا اعطينا فريقين من الحيوانات غذاءين متشابهين الا في نوع الزلاليات التي بها كأن يحتوي غذاء الفريق الاول على عشرين في المائة من زلاليات مستخرجة من اللبن ويعطى الفريق الآخر مقداراً مساوياً لها من مواد زلالية مستخرجة من القمح فان الفريق الاول ينمو ويتوالد بشكل طبيعي اما الفريق الآخر فيكون نموه وتوالده ضعيفاً ضعفاً يبيناً

ولكن النمو والتوالد يتحسن في الفريق الثاني اذا اضيفت الى زلاليات القمح زلاليات اخرى من اصل نباتي آخر ومعنى ذلك انه بينما تنمو الحيوانات وتتوالد جيداً اذا اعطيت غذاءً فيه زلاليات من اصل حيواني واحد كاللحم أو البيض أو اللبن فانها لا تنمو ما يقرب من هذا النمو اذا اغتذت بزلاليات نباتية الا اذا زيدت الزلاليات النباتية في الغذاء وتعددت مصادرها وحسن اختيارها ومسألة تعدد المصادر فيما يختص بالمواد الزلالية النباتية مسألة خطيرة جداً من الوجهة الغذائية لان مقدار الزلاليات في الغذاء مسألة ثانوية ازاء نوعها وقد عرفنا السبب . والواقع انه اذا أردنا أن نعيش على غذاء نباتي محض وجب علينا أن نعدد أصنافه والا تقتصر على ألوان قليلة لنضمن حصولنا على كفايتنا الغذائية من الزلاليات . ويحسن بنا دائماً اتباع هذه السياسة أي سياسة تعدد أصناف الغذاء في كل حال لان الزلاليات ليست بالمادة الغذائية الوحيدة المعرضة للنقص بل هناك مواد اخرى كالفيتامين مثلاً وخطر نقصها في الغذاء شديد لان الحرمان منها مدة طويلة يحدث امراضاً خطيرة



نستطيع الآن ان نفهم كيف نشأت النظرية الثانية التي تربط البلاجرا بتناول غذاء عماده الذرة كما هو حاصل في البلاد التي تزرع الذرة بكثرة — فقد بينا ان زلاليات القمح اقل كفاءة من الوجهة الغذائية من زلاليات اللبن — ونحن اذا قابلنا بين القمح والذرة من الوجهة الغذائية بنفس الطريقة وجدنا ان نمو الحيوانات اذا تغذت بالذرة يقل عن نموها اذا تغذت بالقمح الا ان الفرق في النمو في هذه الحالة قليل. ولقد اظهرت الابحاث بان احد زلاليات الذرة وهو يوازي خمسين في المائة من مجموع زلاليات ينقصه عاملان مهمان من الوجهة الغذائية ولقد استعمل هذا الاكتشاف لتعزيز النظرية الثانية رغم ان زلاليات الذرة الباقية تعوض هذا النقص الى حد كبير شك الكثيرون في صحة هذه النظرية لاستحالة تطبيقها على جميع الحالات فقد شوهدت حالات بلاجرا في بلاد لا تعرف الذرة ولا تدخله في طعامها قط كما ان البلاجرا قد تصيب اشخاصاً يحتوي غذاؤهم على زلاليات من اصل حيواني اي من نوع جيد غذائياً ومع ان هذه الاعتراضات كانت سبباً في تعديل النظرية تعديلاً لم يؤثر كثيراً في أساسها الا ان النظرية بعد التعديل لم تعد تعتبر الذرة العامل الوحيد في احداث البلاجرا وسلم القائلون بها بإمكان حدوث البلاجرا بعد تناول غذاء ليس للذرة اثر فيه ولكنهم قالوا ان القيمة الغذائية لزلاليات هذه الاغذية الخالية من الذرة اذا قدرت وجدت تقل عن رقم مخصوص اصطلاحوا عليه لقد اطلت عليكم ولكن كان لا بد لي من هذه المقدمة الطويلة لكي تتمشى معاً في بحث الموضوع الاساسي الذي اخترته لهذه الليلة

يظهر لنا لأول وهلة أن هذه النظرية تفسر حدوث البلاجرا بالقطر المصري لان طائفة كبيرة من فلاحي القطر وهم حوالى اربعة احماس السكان يصنعون خبزهم من الذرة الشامية او الذرة الرفيعة وان حالتهم الاقتصادية لا تسمح لهم بتنويع طعامهم ولا باختياره من اصناف مشهورة بجودة زلاياتها. واذا علمنا أن متوسط دخل الفلاح في السنة لا يزيد عن خمسة عشر جنيهاً يصرف منها على غذائه وملبسه وباقي مطالبه استطعنا أن نفهم لم يبيع الفلاح بيض دجاجة ولبن ماشيته بدل ان يأكلها هو واهله. وإذا استثنينا الاحوال النادرة التي يوسع فيها الفلاح على نفسه بشراء قليل من اللحم وجدنا انه يعيش على النباتات ولا يختار الا الرخيص منها. من هذا نرى اذاً ان احوال الفلاح الغذائية وتعرضه للاصابة بالبلاجرا تعزز هذه النظرية. ولكن يخيل الي ان هذا التعزيز ظاهري فقط فالقيمة الغذائية في خبز الفلاح باعتباره عماد غذائه يجب ان تحملنا على الريب في صحة هذه النظرية إذا أمكننا أن نثبت بانها تفوق القيمة الغذائية لخبز المدن المصنوع من القمح

ان تفضيل دقيق القمح في صنع الخبز لم ينشأ عن امتيازته على غيره من الحبوب المستعملة في عمل الخبز لان بعض الحبوب كالشوفان مثلاً المستعملة الى وقتنا هذا لصنع الخبز في المانيا

لاجرا هي  
فوق بعض  
نفسجها.  
ان هذه  
على صحتها  
جرا مرض  
ة—وهنا  
ومياً الى  
بدر المادة  
نية كاللبن  
يلة البقلية  
لمائة فقط  
المركبات  
بنا فريقي  
بق الاول  
أ مساوياً  
طبيعي  
ات اخرى  
زلاليات  
ذا اغتذت  
اختيارها  
الوجهة  
والواقع  
قتصر على  
تباع هذه  
ة الوحيدة  
ن الحرمان



وبلاد بحر البلطيق تمتاز عن القمح من الوجهة الغذائية إلا أنها لم تنتشر انتشار القمح في أنحاء العالم كأساس لصنع الخبز الجيد اقصد خبزاً جيداً من وجهة الصناعة فقط ولكن هذا التفضيل ناشئ عن احتواء دقيق القمح على مواد زلالية اذا مزجت بالماء اعطتنا عجينة شديدة اللزوجة تشبه المطاط وهذه الخاصة هي أساس الصفات الخاصة برغيف القمح والتي تظهر لنا بوضوح في الرغيف الافرنكي — وهي القوام الاسفنجي والوزن الخفيف بالنسبة لحجمه وهي صفات لا تتوافر في رغيف مصنوع من دقيق آخر — يضاف الى ذلك امكان الحصول من القمح على رغيف يمتاز بشدة بياضه — لا شك في ان القوام الاسفنجي يجعل الرغيف اسهل هضماً وبياضه يحبه الى الجمهور ولكن هل يدري الجمهور اي ممن يدفع للحصول على هذه النتيجة هل يعلم ان العمليات الكثيرة التي يمر فيها القمح ليعطينا اجود الارغفة شكلاً تزيل من دقيقه كثيراً من مواد الغذائية من زلايات وفيتامين وزيت واملاح ولكنني اؤكد لكم بناءً على تجارب اجراها باحثون مختلفون في ممالك متعددة أن اتق الارغفة وانصعها بياضاً اقلها قيمة من الوجهة الغذائية ومعنى ذلك ان الرغيف العادي أجود من الوجهة الغذائية من الرغيف الخاص وان الرغيف المصنوع من الحبة كلها أجود من الاثنين ولذا رى الجيش المصري يتبع في تجهيز خبزه الطريقة الاخيرة اي أن القمح يطحن ويؤخذ الدقيق كما هو لعمل الخبز واي وان اعترفت بان منظر رغيف الجيش لا يسر كثيراً إلا أنه في الواقع يفضل من الوجهة الغذائية ما سواه

توافقون حضراتكم على أنه في سبيل الحصول على رغيف لطيف شكلاً وقواماً نعرض القمح لعمليات تقلل من قيمته الغذائية أو بمعنى آخر تقرب قيمته الغذائية الى الذرة والفرق بينهما كما قدمنا قليل في الاصل ولكن هل يتعرض الذرة لمثل هذه العمليات — لا — أنه لا يتعرض لذلك لسببين رئيسيين . أولاً أن أغلب أنواع الذرة المستعملة في عمل الخبز بيضاء من الاصل فضلاً عن أن آكلي خبز الذرة لا يعملون عادة للحصول على رغيف ابيض . ثانياً أنه من الصعب عملياً الحصول على رغيف ابيض من الذرة لان الذرة لا تعطينا دقيقاً له نعومة دقيق القمح ومن هذا رى أن قيمة الذرة الغذائية لا تتعرض للنقص في اثناء تجهيز الحبة لعمل الخبز وعلاوة على ذلك وهو بيت القصيد ان الفلاحين في مصر يضيفون الى الذرة قليلاً من الحلبة فخبزهم اغلبه مكوّن من مزيج من ذرة وحلبة ومن النادر ان رى خبزاً مصنوعاً من الذرة فقط . وازافة الحلبة الى الذرة في صنع الخبز هي ضرورة عملية لان زلايات الذرة لا تعطينا اذا مزجت بالماء عجينة لزجة كما هو الحاصل في القمح وهذا النقص هو السبب في استحالة الحصول من الذرة على رغيف اسفنجي خفيف فعجينة الذرة الخالصة ليست متماسكة واذا اريد عمل ارغفة منها تعذر ذلك إلا اذا كانت في شكل كتل تخرج من الفرن صماء ثقيلة



قد تؤكل بسهولة وهي طازجة اما اذا تركت مدة تعذر مضغها وازدادها فاضافة الحلبة هي لمجرد الحصول على عجينة لزجة لان الحلبة تحتوي على مادة شديدة اللزوجة وهي لشدة لزوجتها استعمالها صانعوا الاحذية في اثناء الحرب العظمى في لصق الطبقات الداخلية لنعل الخذاء وذلك لانقطاع المادة المستعملة عادة لهذا الغرض وقد تستعمل البامية الناشفة في صنع خبز الذرة بدل الحلبة وهي طريقة يلجأ اليها الفقراء اذا تعذر عليهم الحصول على الحلبة هنا ميزة اخرى لخبز الذرة والحلبة اذ بينما زلايات خبز القمح ترجع كلها الى اصل واحد هو القمح فزلايات خبز الذرة والحلبة من اصلين وهذا كما قدمت عامل مهم من الوجهة الغذائية . قد يقول البعض ان مقدار الحلبة الذي تضاف الى الذرة لا يتعدى نسبة قليلة هي حوالي اربعة في المائة وهي لذلك لا تؤثر تأثيراً محسوساً في قيمة الخبز غذائياً ولكن لنذكر اولاً بأن الحلبة غنية بموادها الزلالية اذ فيها ما يقرب من ٢٥ في المائة منها وان هذا المقدار القليل يعطينا فعلاً رغيفاً يفوق من الوجهة الغذائية رغيف القمح

ولقد تيسر لي اثبات ذلك عملياً بواسطة تجارب غذائية — اشترت اليها في مقالتي السابق بالؤتمر الاول لهذا المجمع — اجريت هذه التجارب على حيوانات لمدة ستة اشهر ومنها ظهر أن نمو الحيوانات وتوالدها اذا اغتذت بالذرة مضافاً اليها الحلبة كان احسن منه اذا اغتذت بالقمح وظهر أن النمو يكون ممتازاً حتى ولو انزلت نسبة الحلبة الى اثنين في المائة فقط

خرجت من هذه التجارب بنتيجتي الاولى وهي ان الرغيف المصنوع من الذرة والحلبة اجود من الناحية الغذائية من رغيف القمح . والثانية هي اني بدأت اشك في وجود علاقة بين المواد الزلالية التي في الغذاء وبين البلاجرا . والواقع انه ظهرت في اميركا من عهد قريب ابحاث تشير الى ان البلاجرا نتيجة لنقص فيتامين خاص في الغذاء اطلق عليه اسم الفيتامين الواقي ضد البلاجرا اريد في النهاية ان اعرض على حضراتكم اقتراحاً تشجعي الازمة الحالية على تقديمه . اتم تعلمون بأن الذرة رخيصة الثمن اذا قيس بالقمح اذ بينما سعر اردب الذرة اليوم حوالي ٦٥ قرشاً فسعر القمح ١٤٠ قرشاً ففكروا فيما يمكن توفيره اذا صنعنا خبزاً مركباً من :

٥٠٪ ذرة ٤٧٪ قمح ٣٪ حلبة

يكون الوفير اعتماداً على هذه الاسعار حوالي ٢٥٪ اما مميزات هذا الخبز فهي :

(١) قيمته الغذائية احسن من قيمة خبز القمح (٢) وثمنه ارخص من ثمن خبز القمح وخبز الذرة فائدة في تنظيم الامعاء فأنتم على ما اظن تعلمون بأن الذرة مُلَيِّن الى حد ما وذلك لانها تترك في الامعاء فضلات كثيرة تنبهها للعمل وعليه تكون مصلحة المصابين بالامساك المزمن في استعمال مثل هذا الخبز . تضاف الى ذلك ميزة اخرى وهي انها سهلة المضغ ويظهر ذلك على الخصوص اذا اكل الرغيف بعد خبزه بيوم على الاقل



## عيد ميلاد

في الجحيم

لمستاد عباسي محمود العقاد

دخل شقي الجحيم فحسبوه مولوداً جديداً في ذلك العالم القديم ،  
ومضى عليه العام فاحتفل بعيد ميلاده ، وقال لآترابه وأنداده :

صُقِّتُوا الموائد واملأوا الأَكوابا      وادعوا الصحاب، وبشروا الأحبابا  
قولوا مضى عام ليوم هبوطه      هذا الجحيم ، فقرّ فيه وطابا  
وبلا المقام فراح يحمد شرّ ما      فيه ، وآدب (١) باسمه أيدابا  
هذا الجحيم أحبّ لي من عالمِ الشرِّ      ما كان لي إلا رجاء خبابا  
الشرِّ ثمة كان شرّاً كاسمه      والخير كان كما علمت سرايا  
يشقى بنوه ليعمروه ، ويحشموا      فيه الشقاء ليرجعوه خرابا  
لا يعرفون الحق ان سمعوا به      ألا ليلقوا في الحقوق عذابا  
أهون بصابٍ في الجحيم اذوقه      قد كان ثمة كل شيء صابا  
قد كنت اشربه بعيني تارة      وفي المرير ، وساء ذاك شرابا  
ولربّ وجه يومذاك شهدته      فكأنّ سمّاً في العيون انسابا  
وجه اللئيم اذا استهلّ ومثله      وجه الكريم اذا اضمحلّ وذابا  
ورضى الظلوم وحيرة المظلوم في      بلواه يطرق كل يوم بابا

\*\*\*

يا صاحب حيوا النار في ويلاتها      واحثوا على ذاك التراب ترابا  
ما كان من حُسنٍ هناك فجده      ان يخذع الابصار والألبابا  
او كان من فضل فتلك حباله      للبؤس تضني البائسين طلابا  
يا صاحب هاتوا من علاقتها لنا      وادعوا الأحبة ، واشربوا الأنخابا  
من عاش عاماً في الجحيم فلا اشتهى      ابداً الى ذاك الجوار مآبا



# دراسة علماء الغرب

## لمذهب الصوفية

محاضرة الأستاذ المستر ابري مدرس التصوف بجامعة كبرج بانككترا وتلميذ الاستاذ  
نكولسن المستشرق المعروف واستاذ اللغة العربية بجامعة كبرج القاها بنادي  
الشبان المسلمين بالقاهرة بدعوة من جماعة النشر والترجمة وعربها السيد  
محمد الغنيمي التفتازاني شيخ السادة الغنيمية الصوفية بمصر

امتاز القرن التاسع عشر في الغرب بالتطور السريع الذي ظهر في الأخذ بطرق التحليل  
العالمى . وازدياد علم الناس ازدياداً هاماً بالظواهر الطبيعية يضاف الى هذا ما بدا من ضعف  
في الاعتقاد بالمذاهب والعقائد الدينية القويمة . تلك العقائد التي ظلت موضع التقدير والاحترام  
على مرّ الأزمان وكرّ الأعوام . ولما أثبت لنا علم طبقات الارض ما لم تكن نتصوره أو نحلم  
به عن كرتنا الارضية وما عمرته من دهور وأحقاب . وكشف لنا علم الفلك عن ذلك الفضاء  
اللانهاي . وذلك الزمن الذي حار في حسابانه الانسان . والذي لا يعد ما سجله التاريخ منه إلا  
بمقدار لحظة أو كبح البصر . لما أثبت العلم كل هذا . هوى نجم الدين . وضغفت العقائد .  
وكاد يطغى على العالم سيل المادية الجارف . فيكتسح في سبيله جميع الآراء الفلسفية والدينية —  
غير أنه في بداءة القرن الحاضر أخذت هذه الحركة الفكرية في التراجع . وبدأ يحل محلها الايمان  
بالله . والاعتقاد بان هذا الكون لم يخلق عبثاً . وفي الوقت نفسه ظهرت هناك بوادر تدل على  
الرغبة في البحث وراء الحقيقة في الديانات الاخرى . واشتدت هذه الرغبة حتى فاقت نظيرتها  
في الغرب وبوجه خاص فيما يتعلق بالناحية الصوفية من هذه الديانات . فانها استرعت اهتمام فريق  
من الناس طفقوا يبحثون في حياة وسير عظماء الدينين من رجال ونساء . ليستخلصوا من  
حياتهم وسيرهم الدليل المباشر على صحة ما اتبع هؤلاء الناس من ملل وارتضوه من عقائد .  
ثم أدري بها وأعلم . هذا إلى أن وقعت الحرب العظمى فجاءت دافعاً جديداً للبحث عن الحقيقة .  
إذ كانت تلك الوحشية . والمأساة الصاعدة التي تمثلت في هذه المجزرة البشرية أشد ما تكون باعثاً على  
أن يتطلب الناس الخلاص والاطمئنان بالالتجاء الى قوة روحية تفوق قوى البشر وتسيطر عليها  
ولم تعالج دراسة الصوفية بالحماسة العظيمة أو الدقة في البحث بمثل ما عولجت به في أيامنا  
هذه . على أن الاحوال الحاضرة هي خير فرصة ملائمة لتقدم هذه الدراسة والسير بها إلى  
الأمام — وليس الغرض من هذه العجالة إلا وضع ملخص وجيز للعمل الذي قام به حتى الآن  
جماعة العلماء الاوربيين . وبيان خطتهم التي اتبعوها في تناولهم لمذهب الصوفية



وأول رسالة هامة ظهرت في أوربا عن الصوفية هي رسالة ( نولك ) التي نشرت باللاتينية سنة ١٨٢١ — ويعتبر هذا الكتاب الآن أثرًا قديمًا . غير أنه لا يزال موضع اللذة لقارئه . وفي سنة ١٨٦٧ — نشر ( ادوار بلمار ) استاذ اللغة العربية بجامعة كمبردج وأحد مترجمي القرآن الى اللغة الانكليزية كتابه الصغير الذي سماه ( الصوفية الشرقية ) . وقد كتب فون كرامر عن الصوفية كتابة مختصرة في مؤلفه ( Die Von Islam ) وكذلك ( جولزهر ) في كتابه القيم ( الدراسة المحمدية ) ثم ضمن كتابه ( Unrenchen Islam ) معلوماته الهامة في الموضوع . أما ( ف. ج. و. جب ) الذي خسر العالم بموته السابق لاوانه اكبر عالم محقق مدقق . فقد رسم لنا في سفره الجليل ( تاريخ الشعر العثماني ) حدود الصوفية . ووضح لنا معالمها التي تنير السبيل . كما اشار الى الصوفية في مناحيها المختلفة العلامة ( ف. ج. برون ) في كتابه القيم ( تاريخ الادب الفارسي ) . كذلك كتب عن الصوفية العلامتان ( د. ب. مكدونالد ) و ( ي. س. مارجليوث ) الاول في كتابه ( نمو الدين الاسلامي ) والثاني في ( الاسلام في بدء ظهوره ) — ومن ثم بقي على الاستاذ ( نكلسون ) ان يأخذ على عاتقه بعد ذلك التوفير على الصوفية وجعلها الموضوع الاساسي لبحوثه

ولد الاستاذ ( نكلسون ) الذي يشغل الآن كرسي اللغة العربية بجامعة كمبردج في سنة ١٨٦٨ . وقد عكف وهو يجاور في كمبردج على دراسة المؤلفات الاغريقية واللاتينية الشهيرة فتفوق فيها . وكان لهذه الثقافة العالية اثرها الذي لا يقدر . فلما وجه عنايته الى دراسة اللغة العربية والفارسية تمكن منهما كل التمكن . ففي سنة ١٨٩٨ وضع مؤلفه الاول ( مختارات نظمية من ديوان الشمس التبريزي ) وفي مقدمة هذا الكتاب اثار بحثًا في منشأ الصوفية . وهو موضوع لم تحل عقده الى الآن . وقد دحض نظريتين . احدهما ما يمكن ان يعبر عنها بالنظرية الايرانية . لانها تعتبر فارس في جاهليتها ( اي قبل ظهور الاسلام ) هي المهد الروحي للصوفية ومبعث وحيها . والنظرية الثانية تعزو مثل هذا الى الديانات الهندية — اما الاستاذ ( نكلسون ) فانه وجد في الفلسفة الاغريقية ما يبعثه على الاعتقاد بأنها مصدر كثير من الآراء الصوفية . وقد عمل على نشر هذه النظرية بعد ذلك ( ونزوك ) و ( اندريا ) الاول في ترجمته كتاب اليمامة تأليف ( بارهبريوس ) والثاني في رسالته الجميلة ( الشخصية المحمدية ) وبما نشره الاستاذ ( نكلسون ) عن الصوفية رسالة دقيقة عنوانها « الصوفية في الاسلام » شملت الموضوع برمته وكان لها الحظ الوافر لدى جبهة القراء . ثم كتابه « بحوث في الصوفية الاسلامية » ومحاضرات تتناول نظرية الشخصية في التصوف ومقالات متعددة في دوائر المعارف والصحف . وقد كتب مقالًا شائقًا عن الصوفية في « تراث الاسلام » الذي نشر في العام الماضي . ثم هذب او ترجم الكتب العربية والفارسية الآتية . كتاب اللمعة للسراج وكشف المحجوب



الحجوري وترجمان الاشواق لابن العربي وتذكرة الاوليا للقطار والمنشوي لجلال الدين الرومي وكذلك يعد الاستاذ (لويس ماسينيون) في الغرب حجة في الصوفية . وكانت مباحثه تدور حول سيرة (منصور الحلاج) وشخصيته وآرائه . ويعتبر المؤلف الذي نشره خير مجموعة زادت من علمنا عن الصوفية ومناحيها المختلفة . وقد بلغت مباحثه ذروتها بظهور اهم مؤلفاته وهو كتاب « الحلاج شهيد الصوفية الاسلامية » في سنة ١٩٢٢ . وكان قد نشر قبل ذلك مؤلفيه « الطواسين » الذي ظهر سنة ١٩١٣ و « اربعة الاصول غير المنشورة الخاصة بتاريخ حياة الحلاج » الذي ظهر سنة ١٩١٤ . وفي سنة ١٩٢٢ ايضاً نشر مقالة عن مصادر الكتب الفنية الجامعة للصوفية الاسلامية . وفي هذين الكتابين بحث بحثاً مستفيضاً في تاريخ تطور الصوفية . وخطأ النظريات الاغريقية والارانية والهندية التي اشرنا اليها آنفاً . وأكده لنا ان اساس الآراء الصوفية وتعاليمها هو القرآن . وفي سنة ١٩٢٩ نشر (ماسينيون) « مجموعة الاصول الصوفية » وفي العام الماضي مقتطفات من « ديوان الحلاج »

ويجدر بنا ان نذكر المجهود الذي قام به المستشرق الاسباني (آسين بلاسيوس) فقد نشر في العام المنسلخ نبذته الجميلة عن المذهب الفلسفي لابن العربي . ولما كان في كتابه هذا قد استقصى اثر الآراء الاسلامية في داني . فقد خرج هذا السفر كتاباً قيماً غنياً بمعلوماته . ثم هناك الآتسة (مرغريت سمث) وهي كاتبة دخلت في هذا الميدان حديثاً ويرجى منها كثيراً فكتابها عن رابعة العدوية يعتبر آية العلم والابداع . ثم لما ظهر كتابها المعنون « بحوث في الصوفية الشرقية والغربية » طار صيتها كل مطار

ولا يزال هناك متسع كبير للعمل اذ من المرغوب فيه على الخصوص ان تطبع النصوص الصحيحة لما كتبه جماعة الصوفيين الاوائل امثال (الجنيد) و (الترمذي) و (الحاسي) وعندها فقط تصبح الدراسة العلمية لتاريخ الصوفية في متناول الطالب العادي الذي لا يستطيع الالتجاء الى دور الكتب الاجنبية بسبب قصر وقته او ضيق ذات يده

اما المطبعة المصرية التي قامت حتى الآن بخدمات جلييلة للجُمهور بما اخرجته من اشهر تصانيف الادب العربي فانها تستطيع ان تأخذ على عاتقها مسألة هذه المؤلفات على انه مما لا نزاع فيه ان التفقه في الدين الاسلامي والتمكن من دراسة القرآن الدراسة الوافية هي خير عدة لكل من اراد ان يتبحر في الصوفية ويلم بأطرافها

والنهضة العلمية التي تخطو الآن في مصر خطواتها السريعة . ستتمخض بلا مرأ عن علماء اكفاء لا تعوزهم الرغبة في متابعة البحث الذي قام به جماعة العلماء الغربيين في الصوفية وهم بلا شك سيدللون كثيراً من الصعاب التي لاتزال بحاجة الى من يكشف عنها النقاب . وفي لضمان المعارف الشرقية مع طرق التحليل العلمي الغربي . ما يكفل الوصول الى ابهر النتائج واثبتها



## (١) القراءة المفيدة

قيل ارسل احد الخلفاء يطلب احد العلماء ليسامره . فلما جاءه الرسول وجده جالسا وحواليه الكتب يقرأ فيها . فقال له ان أمير المؤمنين يستدعيك . فقال قل له : عندي قوم من الحكماء احادهم . فاذا فرغت منهم حضرت . فلما عاد الخادم الى الخليفة وافضى اليه بذلك قال : ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده . قال والله يا أمير المؤمنين ما كان عنده أحد . قال فأحضره الساعة كيف كان . فلما حضر العالم قال له الخليفة من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك فانشد :

لنا جلساء لا نمل حديثهم      البساء مأمونون غيباً ومشهدا  
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى      ورأياً وتأديباً ومجدداً  
فان قلت اموات فلم تعد امرهم      وان قلت احياء فلست مفئداً

وقال شيشرون الخطيب الروماني المفوه : الكتب غذاء الشباب وبهجة الشيخوخة . هي الزينة في ايام الاقبال والرجاء والملجأ في الساعات السود . رفاق لا تملهم في الليل او في اثناء السفر او في الريف . وقال شكسبير على لسان احد ابطاله : هذه مكتبتى واية دوقية تساويها . وقال اولقر غولد سمث : اذا قرأت كتاباً نفيساً للمرة الاولى شعرت اني كسبت صديقاً جديداً . فاذا قرأته ثانية شعرت بانى اقابل صديقاً قديماً . وقال بيتشر الواعظ الاميركي الشهير : ان مكتبة تتعهدا كل سنة باضافة شيء اليها ناحية نبيلة من حياة كل انسان . ويجب على الانسان ان يقتني كتباً . فالمكتبة الخاصة ليست من كماليات الحياة بل من الضرورات التي لا يستغنى عنها . وقال جون رسكن : الحياة قصيرة وساعاتها الهادئة نادرة فلا تضعها سدًى في قراءة كتاب سخيف . اما الكتب النفيسة فيجب ان تكون في كل بلاد متمدينة في متناول كل انسان ولو شئت لمضيت اعدد اقوال العلماء والحكماء والشعراء والفلاسفة في مقام الكتاب من الحضارة بوجه عام ومن الثقافة الفردية بوجه خاص وما في القراءة من النشوة دونها نشوة الراح والفائدة التي لا توزن بالدرهم والدينار

والواقع ان القراءة سياحة العقل بين آثار الفكر الانساني . فهي آنا في رياض من هذه الآثار فواحة العبير — هنا الاشعار الغنائية والقصص التي لا تبلى جذتها السنون . وهي آنا بين امجاد كأنها اطلال الحضارات القديمة خمة كالكرنك راسخة كالاهرام — هنا الملاحم الشعرية وكتب التاريخ والحكمة والعلم يتامس فيها الانسان اشعة النور من خلال الظلمات المطبقة على الدهن



الانساني . وهي آناً آخر في معتزك العزائم والارادات والمطامع والعواطف — هنا سير العظام والعظيما من الناس وما تخلل سطور حياتهم من دموع وآهات وطمع وطموح وحب وانتقام . فانت في كل هذا كأن مواكب الانسانية تمر امامك وقد لبست من النثر والشعر حلة الجمال الاسنى وحب القراءة ثمرة الثقافة الصحيحة بل هي مقياسها الذي لا يخطئ . وقد قال احد الحكماء قل لي ما تقرأ من الكتب أقل لك من أنت

### لماذا نقرأ

قد يقرأ الانسان ليوسع نطاق خبرته . فالحياة قصيرة محدودة وفي قرارة النفس نزوع الى التمسك من قيودها وحدودها ، فنعمد إلى ميادين الخيال ومروج الفكر ، نجول في جنباتها لنجني منها ادب الذاهبين ومعرفتهم وحكمتهم . ثم ان بعض الناس يقرأ مدفوعاً بحب الاستطلاع ، فلا يقرأ له قرار إلا باستكشاف الاسرار واستجلاء الخفايا . ومنهم من يقرأ رواية او قصيدة او رسالة لانه في اثناء قراءتها يسبغ عليها لوناً من شعوره فيحس أن ثمة صلة بين صور هذه الرواية وصور خياله واعية او غير واعية ، فكانه عائش في عالمها ، وهذه ناحية من نواحي ملكة الابداع او التوليد لان الذي يطالع على هذه الطريقة يحس في الغالب احساساً خاصاً به ، او يصل الى نتائج غير النتائج التي يقصد اليها الكاتب ، فكان القراءة حافز نفسي يحفز به الى الكشف عن الاحاسيس والآراء الكامنة فيه كالجر تحت الرماد وبعضهم يقرأ ليفر من عالم الحقيقة الى عالم الخيال ، وغيره على الضد من ذلك يقرأ ليرهف احساسه بما يقع حوله ويصقل حكمه في حوادث يومه . وثمة طائفة تقرأ لان الحركة والمغامرة والاقدام والنضال في ما تطالعه تستهويها . تقابلها طائفة اخرى تنأى في مطالعتها عن ميادين العمل العنيف ، الى سهول التأمل الهادي الرصين

وقد يؤخذ قارئ ما يسير الرجال . ويفتن آخر بسيرة الحياة خلال العصور من النطفة الاولى الى يومنا هذا . وقد يعنى احدثهم بصور العاطفة ولا يهتم غيره الا بارتقاء الفكر . وقد يرى احد القراء ان عصر ما ، ليس الا مسرحاً للرجال والنساء الذين ظهر وافيه وبرزوا وانهم في نظره جيل ما يستحق العناية والدرس . ولكن رجالاً آخر قد يرى ان الشخصيات الكبيرة ليست الا طريقة من الطرق التي يفصح بها عصر من العصور عن ذات نفسه . وقد يرغب الواحد في الاسلوب البليغ الجزل ، ويتجاهله آخر لان عنايته موجّهة الى تبيين البراعة في تحليل الاشخاص وترتيب الوقائع وسرد الادلة مثلاً

هذه طائفة قليلة من البواعث التي تبعثنا على المطالعة . وهي تختلف باختلاف الناس ، بل هي تختلف في الانسان الواحد باختلاف ساعات النهار والحالة العقلية والنفسية السائدة في ساعة ما . والباعث السائد في ساعة القراءة هو الذي يعين موضوعها واليه يكون مرد الاختيار



### الغرض من اقتناء الكتب

والواقع اننا نفتني الكتب لغرض من ثلاثة اغراض بوجه عام . يقتنيها بعض الناس للزينة . فهم يعلمون قيمة العلم ، وان العلماء والحكماء لهم صدر النادي من اقدم العصور إلى يومنا هذا ، وان المؤلفات النفيسة تأتي بعد الكتب المنزلة في اعتبار الناس واحترامهم ، فيرون ان اقتناء الكتب من ادوات الزينة والمباهاة التي يزدان بها البيت ، ويغالي بعضهم في ذلك فيحتم ان تجلّد تجليداً فاخراً لتسبغ هي والستائر الحريرية الكثيفة والصحاف الخزفية القديمة والادوات الفضية الثمينة ، على البيت صفة المحتد النبيل والحاضر الكريم . وقد قرأت ان احد اثرياء الاميركيين بنى قصرًا فخماً ، والقصر لا يكون كاملاً في نظره من دون غرفة خاصة بالكتب . فأمر المهندس بتوجيه العناية الخاصة الى تلك الغرفة فلما تمّ بناء القصر ، أخذ الثري يجمع من الكتب النفيسة ما كان أجودها طبعاً وأغلاها ورقاً وأنجزها تجليداً وجاء بيته وأمر برصف الكتب على الرفوف ، فوجد ان عرض الكتب أكبر من عمق الرفوف فتظهر فيها الكتب بارزة كأنها قذى في العين . فعرض عليه المهندس ان يزيد عمق الرفوف ولو تأخر اعداد هذه الغرفة فابى الثري وقال انه يفضل ان تقطع مقدار بوصة من الكتب وتترك الرفوف كما هي قد تكون هذه القصة نادرة « كاريكاتورية » موضوعة لبيان التطرف والمغالاة في اقتناء الكتب للزينة فقط . وان الثري لم يحفل بالكتب وانما حفل بمنظرها وجلودها الفاخرة المذهبة ولسكنني أوكد لكم اني اذا دخلت داراً مهما تكن صغيرة ، ولم اجد فيها كتاباً او مجلة ، تدل على حياة النفس في تلك الدار ، شعرت اني في ارضٍ قفرٍ خالٍ من الخضرة والماء ، فأسأل نفسي كيف يقضي اصحاب هذا البيت ساعة من ساعات الفراغ . ومع ذلك افضل بيتاً خالياً من الكتب على بيت يباهي بها ولا يقرأها . فاصحاب البيت الاول على الاقل يتصفون بالصراحة بان القراءة لا تهمهم واما اصحاب البيت الثاني فيرغبون في المباهاة بصفة لا يتصفون بها ، وهو من عيوب الخلق ويقتنيها بعضهم اداة للعمل كالمشرط للجراح ، والزاوية للمهندس . ويغلب ان تكون الكتب التي من هذا القبيل كتباً فنية . فالطبيب يجب ان يقتني الكتب الطبية الحديثة والمجلات الطبية السائرة في الفرع الذي انقطع له ، وعليه ان يدمن مطالعتها ليجاري سير الاكتشاف والاستنباط . وهذه المطالعة امانة في عنقه للجمهور الذي يعهد اليه في كشف غمة المرض بالتشخيص الصحيح والعلاج الموفق . فالكتب الطبية اداة من ادوات عمله كالمشرط والمجهر . وعلى المحامي ان يقتني كتب القانون والتاريخ وعلم النفس التي يرجع اليها ويستشهد باقوال شرّاحها للوقوف على حكمة السابقين قضاة واساذة ومحامين . ولكن الكتب التي من هذا القبيل لا تخلق الرجل ، وانما هي تمسكه من العمل



ولا بد لكل بيت من ان يضم بين جدرانه كتباً من هذا القبيل، ويجب علينا ان نعلم ابتداءً تناولها . ولا بد لكل بيت من ان يحتوي على مصوّر جغرافي ومعجم صغير ودائرة معارف مبسطة وكتب في الاوليات والمبادئ . فاذا كان حديث اليوم يدور حول حرب في البلقان جلس الاولاد الى والدهم فيفتح امامهم المصوّر الجغرافي ويريهن ان تقع الاستانة وبلاد اليونان وبلاد البلغار ومضايق الدردنيل . واذا عرضت للولد القارئ في صحيفة لفظة لم يدرك معناها هده والده ، او هدته والدته ، الى المعجم لبحث عن معناها فيه ، واذا جاء ذكر رجل من مشهوري رجال السياسة او العلم ، فتحت دائرة المعارف او ما يقابلها للبحث عن عصر الرجل واثاره ان مطالعة نصف ساعة بهذه الطريقة ، تعلم الولد ، من الجغرافية او اللغة او التاريخ اكثر مما يتعلمه خلال ايام في دراسة الكتب المعيشة له في المدرسة ، فهو ينفر من هذه لانها تمثل في نظره ما يجب عليه لا ما يتوق اليه ويرغب فيه من تلقاء نفسه

وقد تقفني الكتب ، كما تمكن اواصر الصداقة مع الصحاب ورحم الله شوقي حيث قال:  
انا من بدل بالكتب الصحابا لم اجد لي وافي الا الكتابا

اتيت لي زيارة احدي كليات البنات في اميركا سنة ١٩٢٤ وقد خصصت الكلية احد مبانيها داراً للكتب . وفي هذه الدار غرفتان استرعنا نظري الاولى عاطلة من الزينة نظمت في باحتها رفوف الكتب والموائد والكراسي من الخشب الصلب . وفيها تجد الطالبات مكبات على البحث والموازنة والتحقيق ، يعددن فيها دروسهن او امتحاناتهن او رسائلهن . وكل العيون متجهات الى العمل الخاص الذي يشغل الذهن ، فلا تكاد ترتفع عينان لرؤية الداخل . وثمة غرفة اخرى فيها الطنافس الوثيرة ، ورفوف الكتب قريبة المنال ، وفي الموقد نار مشبوبة . هنا تجلس الفتيات وقد مضت فترة العمل والبحث ، ينصتن الى اصوات تتحدث معهن من خلال العصور في صفحات الكتب الخالدة . الكتب في الغرفة الاولى تستعمل ادوات للعمل . وأما الكتب في الغرفة الثانية فتتخذ اصحابا ، يرشدون بحكمتهم ، ويؤدبون بأدبهم ، ويحفزون الملوك بعرض صور الانسانية في احوالها المتباعدة ، وهي تسير ، أنا تقدم وأنا تتعمر ، في طريقها نحو المثل الاعلى وهنيئاً للبيت الذي لا يخلو من كتب هذه صفتها ! يؤوب الرجل من عمله الجاهد ، او تخذ السيدة الى راحتها بعد جهد النهار المضني ، فيجلس في كرسي مريح الى يساره مصباح متألق ، فيختار من الكتب ، الصديق الذي يلازم حالته النفسية الخاصة . فقد يختار ديوان المتنبي فيقرأ فيه قصيدة من قصائده الخالدات يرى في خلالها عثير الحرب وبريق الاسنة وصليل السيوف ويسمع عبارات الفخر ، أو مجلداً من الاغاني في طبعها الجديدة التي اخرجتها دار الكتب ، فيطالع من نوادر الاقدمين وآدابهم ما يروق النفس ويبهج خاطر . أو قد يختار قطعة من كارليل ، فيرتد بها على أجنحة الخيال الى عهد الثورة الفرنسية ، أو صفحة



من برستد ينفذ منها الى امجاد الممالك المصرية القديمة ، اورواية لانا تول فرانس فيجد فيها الحكمة النادرة والنقد اللاذع في نثر مشعشع كالحجور المعنقة ، او نسخة من كتاب علمي " بليغ فيتعرف الى اسرار الاحياء وطبائعها او يرود مع أحد اساطين العلم رحاب الفضاء

### كيف تقرأ

النظام هو اساس القراءة المفيدة . والقراءة المفيدة ركنها الاستزادة أو الاستلھام . فاذا كنت ترمي الى الاستزادة أي الى توسيع نطاق معارفك بالاطلاع على مباحث الكتاب والعلماء والفلاسفة وجب أن تجري على الطريقة الآتية : خذ كتاباً يروقك . وقرأه على مهل . وبعد أن تأتي على فصل فيه ، أو على فقرة من فصل ، اطبق كتابك ، واغمض عينيك ، وحاول أن تلخص في ذهنك ما فهمته من معنى ما قرأت . واذا كان لك غرض خاص من المطالعة ، فيجب أن تدون ما فهمت . ثم سر في مطالعة الكتاب على هذا النمط . ثم أترك الكتاب سنة أو سنتين او عشر سنوات — فأعمر الكتب الخالدة لا تقاس بالسنين — واعد الكرة عليه . تجد ان فهمك له قد تحول بتحول نظرك الى الحياة وتفتح مغاليق ذهنك واتساع نطاق خبرتك . فاذا فعلت ذلك ، فقد اضفت إلى حكمتك حكمة رجل آخر . وأذكر ان حكيماً اميركياً قال انه أخذ أحد مؤلفات كارليل وهو في العشرين فقرأه وخرج منه صفر اليدين فأعاد الكرة عليه وهو في الخامسة والثلاثين ، فبدا له فيه من المعاني ما أسبغ على الكتاب حلة الاعظام . وكان وهو يروي لي هذه الحكاية ، في الخامسة والخمسين من العمر ، يقضي ساعات الفراغ في مطالعة ذلك الكتاب للمرة الثالثة . وقد قرأت بعض الفصول في كتاب امرسن «ممثلو الرجال» عشر مرات على الاقل . وكلما شعرت بتعب او مرارة او خيبة اعود اليه فأقرأ رسالته في « منافع الرجال العظام » Uses of Great Men

اما القراءة للاستلھام فسرّها ان عبارة واحدة في فصل لكاتب ، او صورة فردة او رأياً سيق في معرض الكلام ، قد يحفزك الى التفكير والتصور ، فتصرف النظر عما تقرأ حيناً لكي تسترسل مع صور خيالك او افكارك المتداعية . وفي هذه الحال يصح ان تدون على هامش الكتاب هذه الصور أو الافكار الشاردة ، لان اقتناصها بعد مرورها في تيار الوعي متعذر واحذر تعوّد قراءة النُسُف . فقد شاعت في هذا العصر ، عصر السرعة ، صحف ومجلات تجمع من العلم والادب والتاريخ نتفاً يتسلى بها القراء فيكتفون بها عن قراءة المقالات الوافية والكتب الممتعة التي تقتضي مطالعتها حصر الفكر وكدّ الذهن . اما قارئ النتف فيتسلى بها مهلة ما يقرأها ثم ينساها في الغالب ، وهو يظن انه وعى العلم والادب والتاريخ باطلاعه عليها



واذا واطب على ذلك ضعفت ذاكرته وخلطت بين الحقائق خلطاً شائناً

\*\*\*

وقد كنت أود أن اتناول موضوع ماذا تقرأ. ولكنني أخشى الإطالة فينالكم السأم، فتوصدون دوني لأنكم اللاقطة وابتقي هنا وحدي «اتكلم في الهوائ» أو كما يقول المثل العربي «اصرخ في واد» على أن المسألة التي لا استطيع التجاوز عنها هي النقص المعيب في المكتبة العربية وفي استطاعتنا تلافيه. ذلك أن علماء الغرب وكبار كتّابه لا يأنفون من الاشتراك مع أصحاب بيوت النشر في وضع سلاسل من الكتب التي تتناول أصول المعرفة البشرية بأسلوب قريب التناول فتخرجها بيوت النشر في طبعات رخيصة الثمن يسهل على كل راغب اقتنائها والتمتع بما تحتوي عليه من درر العرفان. وإذا اشترت في بدء كلتي إلى المصور الجغرافي ودائرة المعارف وما إليها من الكتب التي يجب أن تكون في كل بيت فعلت وفي النفس حسرة لأن بعض ما أريده من هذه الكتب غير متاح لنا الآن بالشكل الذي يغري بالقراءة ومحبتها إلى الصغار ولكن الأمر ليس متعذراً. فعندنا في نواحي العلم والادب والفلسفة رجال يستطيعون أن يضعوا — تأليفاً واقتباساً وترجمة — هذه الكتب على ما نريدها

ولكن الناشرين ومن يتصل بهم من الكتّاب يشكون عدم الاقبال على ما ينشر من الكتب، اقبالا يغري الناشر والمؤلف على السواء بالاقدام على التوسع في التأليف والنشر وهي شكوى صحيحة إلى حد بعيد<sup>(١)</sup>. إذ يندر بين الكتب العربية كتاب يطبع منه ثلاثة آلاف نسخة وتنفد في سنة أو سنتين أو ثلاث سنوات — استثنى من ذلك الكتب المدرسية فإن الطلاب يبتاعونها للدراسة — ومع ذلك فالاقوام الناطقة باللغة العربية يبلغون سبعين مليوناً وتسري في عروق ابنائهم ثورة تدفعهم إلى طلب العلم والاستزادة من الحكمة، والمدارس تخرج كل سنة وفاءً من الطلاب المطلعين على أصول العلم والتاريخ والادب. فلماذا لا يقرأون؟ ولست اطلق هذا الحكم عليهم جميعاً فأنني أعرف أن طائفة ممتازة منهم تقرأ وتحسن اختيار الكتب والصحف التي تقرأها. ولكن جلّهم لا يقرأ ما يجب عليه أن يقرأ. والآن لما كنا نشهد هذا الركود في ميدان التأليف. والواقع أن المسألة خطيرة كل الخطورة تتصل بالاركان التي يقوم عليها التعليم وهل يؤتي الثمار المطلوبة أو لا يؤتيها

ولا يخفى إن الشيء الثمين الاساسي في العلم والتعليم انما هو الانطباع بروح العلم واسلوبه. وتشرب الطالب حب البحث عن الحقائق والاستزادة منها. وحفز ملكات العقل إلى النشاط الذي يمكن الرجل من تكوين رأي مستقل أو ابداع شيء جديد. وواضح إن الاكتفاء بالكتب الدراسية ليس السبيل القويم المفضي إلى هذه الغاية النبيلة، التي لا مندوحة عنها في كل تعليم سليم وارتقاء صحيح

(١) لا ريب أن الناشرين لم يتوصلوا بكل ما يصح التوصل به لطبع الكتب النفيسة وتزويجها وهذا يستحق بحثاً على حدة



واری ان وزارة معارفنا الجليلة تملك علاج هذا الضعف في حية من أهم نواحيه وقد انعمت النظر في طريقة هذا العلاج ، فرأيت ان اقترح على وزارتنا الجليلة تعيين لجنة من بعض رجال الوزارة وبعض الادباء والنقاد المعروفين بمحاصرة الرأي واستقلاله لاختيار اثني عشر كتاباً كل سنة — او أكثر أو اقل — من نفيس المطبوعات العربية الحديثة تفرض مطالعة ستة منها على مدرسي المدارس باشراف الناظر ، والستة الاخرى تفرض مطالعتها على طلبة الفرق المتقدمة في المدارس الثانوية في فرقها باشراف المدرسين وليس هذا العمل بدعة . فقد جرت جامعات الغرب على تكوين حلقات للطلاب والاساتذة ، تجتمع اجتماعات دورية . وهي من الوسائل الفعالة لاحكام الصلة بين المدرسين وتيارات الفكر الحديث من ناحية ولتنشيط عادة القراءة المفيدة في الموضوعات الخارجة عن نظام الدراسة في نفوس الطلاب . ولنفرض ان الحلقة ستة من المدرسين — او الطلاب — تجتمع مرة في الاسبوع او مرة في الاسبوعين . فيفرض على احد اعضائها ان يقرأ كتاباً معيناً فيقرأه ويلخصه في رسالة يتلوها في الاجتماع المعين له . وفي الاجتماع التالي يفعل مدرس آخر ما فعله زميله ولكن في كتاب آخر . وبعد تلاوة الرسالة يتناقش الحاضرون في موضوعاتها ومعانيها ويتحاورون وهذه الطريقة تحفز ملكات التفكير والنقد العلمي المنزه الى النشاط . ثم هي تغنيهم عن وجوب الاتفاق منفردين على بعض الكتب التي يرغبون في مطالعتها ولكن غلاء ثمنها يحول دون اقتنائهم لها . فاذا تمكنت وزارة المعارف الجليلة من وضع نظام مبني على مثل هذه المبادئ فانها تؤدي لنشر الثقافة الصحيحة خدمة جلياً

فاولاً — تحكم الصلة بين المدرسين ومؤلفي اللغة العربية المعاصرين

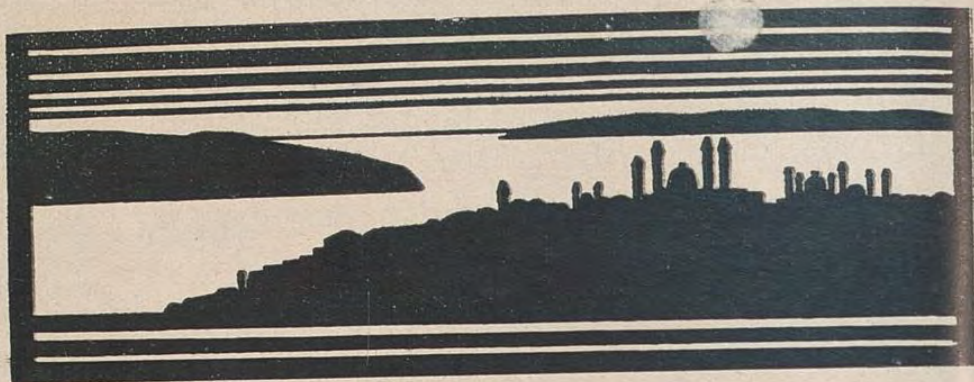
وثانياً — تخلق في نفوس الطلاب رغبة في القراءة المفيدة التي لا معنى للثقافة من دونها

وثالثاً — يشجع المؤلفون والمترجمون على اتقان ما يكتبون وينشرون اذ يعرفون ان كتبهم قد تختار للمطالعة والمناقشة في الاجتماعات المدرسية المذكورة

رابعاً — تخلق لنا جيلاً يتوق إلى القراءة المفيدة ويقبل عليها . وهذا من أقوى البواعث للمفكر على التفكير ، وللمؤلف على التأليف ، وللناشر على النشر

وكل هذا لا يكلف الوزارة اكثر من ثلاثة آلاف جنيه في السنة أو أربعة آلاف على الاكثر . لانه إذا افترضنا انها قررت ان تبتاع من كل كتاب يختاره اللجنة التي نسخة — لتوزعها على المدارس — بلغ عدد النسخ التي تبتاعها ٢٤ الف نسخة متوسط ثمن النسخة منها قد لا يزيد على ١٥ غرشاً — فالمبلغ لا يزيد على ٣٦٠٠ جنيه . وهي تنفق اضعاف هذا المبلغ في اعادة المعاهد والمدارس والجمعيات ، فاحرص بها ان تنفق في سبيل تشجيع التأليف وتربية ملكة القراءة المفيدة في نفوس الشبان والشابات





الى روعي

# حافظ وشوقي



مقتطف

حيه

ييلة تعيين  
الاختيار  
الحديثة  
مطالعتها

للطلاب  
المدرسين  
الخارجة عن  
الطلاب -

أ كتاباً  
مدرس  
و موضوعاتها  
النشاط .  
ولكن  
نظام مبني

من دونها  
رفون ان

البواث

لاف على  
سسخة -

سسخة منها  
هذا المبلغ  
وتربية





صورة رمزية عنوانها « آفاق الشعر الواسعة »



# مكانة الشعر في كيان الامم

للكاتب الدكتور شهبندر

رغبنا الى الدكتور شهبندر في كتابة فصل يكون بمثابة مقدمة للمجموعة التي ننشرها في هذا العدد عن شوقي وحافظ فاتخذنا بهذا المقال الادبي الاجتماعي البليغ

## الكلمة

ان اليوم الذي اطلق فيه البشر على الاشياء والاجناس اسماء هو يوم سجلوا فيه تاريخ انتقالهم من صف العجاوات ودخولهم في المرتبة الانسانية . وشأن هذه الكلمات التي ندعوها اسماء شأن في الامم مقدس خطير حتى ان النصرانية تقول عن «الكلمة» بلسان يوحنا (انها كانت في البدء) . ذلك لانها وجدت مع الفكر المجرد الازلي الذي لا يحيط به ادراك ولا يحصره وعي ، فهي الاصل وكل شيء سواها عارض . وتشبه «الكلمة» بهذا المعنى «الفكرة» في حكمة افلاطون لان الفكرة المجردة عنده هي الحقيقة الدائمة وما عداها صورة منسوخة . لكن الافكار يعبر عنها بالكلام ايضاً فلا غرو ان تكون «الكلمة» هي الحقيقة الخالدة بقدر انطباقها على الواقع . وفي الاسلام ان الله خلق آدم من التراب ، فلو تركه وشأنه ما اختلف عن سائر المخلوقات الحية في شيء ولكنه اعتنى به عناية خاصة فوضعه في مدرسة الالفه والاجتماع حيث علمه الاسماء كلها فلما اتقنها وبرع فيها نال شهادة الكفاءة الانسانية فاذن له بموجبها ان يمارس صناعة الابوة البشرية ، ومن احق بها منه يا ترى وقد اصبح قادراً بالآفات والآهات على بيان الآلام التي يعانها والكلمات المنسجمة على الافصاح عن اعظم الاسرار التي تختلج في صدره

ولو كتب على هذا البشر ان ينشأ ويتدرج بطريق النظر بالعين فقط من غير اذن بسمعها ولسان ينطق به فاذا تكون حاله ؟ انه يكون كالصم البكم الذين نشاهد من حين الى آخر فيما بيننا بل هو اضعف منهم وأدنى مرتبة ، ذلك لان هؤلاء قد استفادوا عرضاً من ارتقاء البشر حولهم بما حصلوا عليه من الخصائص التي اكتسبوها بطريق الاذن واللسان

ولا مراء ان الصم البكم احد نظراً وأدق لمساً وذوقاً وأقدر على فهم الحركات وقراءة اسرار الوجه وحفظ الذكريات الا انهم حسبهم ان يفقدوا المعاني الادبية التي يؤديها الكلام ليفقدوا معها كل ميزات الثقافة الرفيعة ، واللغة شمس مشرقة على الافاق لكن الاذن الصماء كالعين العمياء لا ترى نورها الساطع



لولا «الكلمة» التي نطق بها هذا المخلوق المنتصب على رجله اسماً للأشياء التي رآها لكان مستواه العقلي على قدر المستوى الرياضي في القبائل الابتدائية المعاصرة التي لا تعرف للأعداد أرقاماً لتجمع بها أو تطرح أو تضرب أو تقسم، فكما أنه لا مجال بينها للحساب والجبر والهندسة وما تفرع منها من العلوم الرياضية العالية كذلك لا مجال بين الصم البكم للادب والموسيقى والعلوم وما تفرع منها. أولئك لا يملكون الواحد القياسي في الرياضيات وهو الرقم، وهؤلاء لا يملكون الواحد القياسي في الإدراك وهو الكلمة

### الشعر والكلمة

فاذا كان هذا شأن أول «كلمة» نطق بها الإنسان فيهمنا كثيراً أن نعرف كيف تيسر له ذلك، وكيف توصل إلى ربط الأصوات بالافكار ولصق الاسماء بالمسميات حتى صار قادراً على التفكير الإدراكي بطريق المبتدأ والخبر. وإن الشاعر ليضطرب كثيراً أن يعلم أن للمواقف الشعرية والمعاني الشعرية والأوزان الشعرية القدح المعلن في استيحاء هذه «الكلمة» التي كانت فصل الخطاب بين دورين جوهريين في حياتنا البشرية

يعتقد الذين أخصوا في اللغات وتتبعوا أصولها بأن الأعياد والمراقص والمآتم والمخاطر والمجازر وسائر العادات والمواقف الشعرية المؤدية إلى الأفراح والأتراح الاجتماعية خصوصاً الصياح الجوقي المشترك كجوار الثيران المجتمعة، هذا كله المصدر الدافع إلى النطق. ومتى كان الصوت الجوقي صادراً عن انفعالات نفسية — كلهتاف أو الصراخ في حالة التهيج — يتخذ شكلاً موزوناً ويتكرر على أصول متناسبة. وبعض الحيوانات لا يقتصر على فهم ما يؤمر به فقط «كتعال» و «نم» و «كل» بل يصيح بما يشبه «الوصفة» ينادي بها الفرد فتجيب عليها الجماعة «بالردة». وهذا الإفصاح عن الشعور بالأصوات النبرية البسيطة يشترك فيه كثير من أصناف الحيوان وقد تدرج في الإنسان في أول الأمر غالباً من صراخ أو جوار فطري إلى غناء جوقي مشترك ثم إلى كلام مقطع صريح<sup>(١)</sup> والراجح أن كثيراً من هذه الأصوات الجوقية المحولة إلى غناء بسيط كان في أول الأمر حكاية أصوات حيوانات وأشخاص يحكيها الجوق مجتمعاً ويقلد أعمال أصحابها بالإشارات وبالرقص «البتوميمي» الصامت. وهكذا متى اقترنت بعض الأصوات بأشياء بعينها أو بجنس منها اقتراناً متلازماً متكرراً بحيث يصير هذا الاقتران عادة ماثلة في النفس فإن مجرد ذكر هذه الأصوات يعيد إلى الذهن صورة تلك الأشياء إما بمفردها أو بجنسها الجامع — والصورة الجنسية هذه هي عماد الإدراك الإنساني. ويعتد هذا التلازم أو الاقتران المعنوي العلامة القطعية على توطد أركان النطق

اذن فالبواعث الحافزة إلى الاجتماع والمؤدية إلى الأفراح والأتراح وما إليها من المواقف

(1) Elements of Sociology, Giddings, p 240



الشعرية الهائجة قد زودت البشر بأسباب النطق وسلحتهم بأمضى سلاح شقوا به الطريق من الظلمة إلى النور ، ذلك أنهم بمحصولهم على النطق « قد حصلوا على ( مغل أرخيدس ) في رفع حياتهم الاجتماعية إلى مستوى جديد في التركيب والكمال »<sup>(١)</sup>

### القصائد الأولى

وإذا كان النطق الأوّل شبيهاً بالشعر في النبرة والوزن فهل من سبيل ياترى الى معرفة « القصائد » التي تلاها الاوائل قبلما اهتمدوا إلى فن التدوين ؟ وما هي الموضوعات التي تناولوها بقصائدهم ؟ وان درس الاقوام الابتدائية المعاصرة وتتبع القصص التي يسمعونها الاطفال المتمدنون في احضان امهاتهم حتى في لب البلدان المتقدمة كل ذلك يحيز لنا القول بان الانسان الاول نطق بالاوزان وان تكن غير مقفاة ، وتناولت « قصائده » أخبار الظفر بالحيوانات وخوفها من الشرك الذي وقعت فيه وسعيها للخلاص منه وارتعاشها عند الذبح مع حكاية اصواتها من شهيق ونهيق وخوار وعواء وزئير وغير ذلك مما يؤلف جزءاً اضافياً مكن معاجم الامم وتناولت هذه القصائد فيما تناولته اخبار الاعياد والولائم المقامة على لحوم هذه الحيوانات وما تؤدي اليه من مرح وبطر ، وشملت احاديث اختطاف النساء وعشرتها والبكاء على المفقودين من رفقاء الصيد والقنص والراجلين من الاخوان والابناء الاعزاء ، وكان فيها الشيء الكثير من اغاني الرقص التقليدي واغاني الرقص الروحي تقرباً من الآلهة واسترضاء لها وتمجيدها لاعمالها واستجداء لكرمها ، وقد ورث هؤلاء الاوائل ابناءهم اديانهم وعقائدهم وتقاليدهم وحكمهم وخرافاتهم وآدابهم في بطون هذا الكلام الموزون الذي ساعد الثقافة الاولى مساعدة الكتابة والطبع في العصر اللاحقة وذلك بسبب سهولة حفظه ونقله وتلاوته فكان اشبه شيء بموسوعات مطبوعة تحافظها الايدي وتناقضها اللسان قبل ظهور ( جوتنبرج ) ومطبعته في اوائل القرن الخامس عشر

وغني عن البيان ان هذه الموضوعات التي تناولتها قصائدهم هي اساس الموضوعات التي بناها بها اليوم ونفتخر ان تتناولها قصائدنا ، وعليها قامت أوضاعنا من حروب وانتصارات واعراس ومآتم واديان وعبادات وتقاليد وشعائر وملوك وأرباب

ولامراء ان قصائدهم كانت طائفة بما انطبع في قلب الانسان من الالم المتفجع الذي اصابه من الدّ أعدائه وهو اخوه الانسان فكان فيها روعة الشعر الحي الذي نشاهده في عصرنا في القصائد التي تعالج انانية البشر وما انطوت عليه قلوبهم من اللّوم والاذى . لا جرم ان قصيدة تليت او كتبت منذ الف او الفين من السنين تقرأ اليوم كأنها كتبت بالامس لان موضوعها حي يتصل باعمق الحياة الانسانية



## الذاكرة والشعر القديم

وفي الحق اننا ونحن في القرن العشرين ما زلنا نتغذى بادب ما قبل التاريخ ، فالادنا في طفولتهم وهو سن الانطباع الثابت يسمعون اقايصيص الغيلان والمردة والجان واخبار العماقة والابطال واوصاف القوى المحجبة وما لها من اسرار وحديث ادب السلوك وحسن المعاشرة وهم في حجر امهاتهم على الفرش الوثيرة بصورة لا تختلف كثيراً عن مثلها لما كانت الامهات يفتشن القش ويلتحفن الجلود في الكهوف والغابات، وعلينا ان نذكر دائماً ان مثل هذه الاخبار الشعرية المتصلة بالحياة المنفعلة الاولى وما فيها من المواقف المضطربة الهائجة لا تزول من النفوس بل وجد أهل التتبع والاستقصاء مثلاً ان الطوائف الامية الجاهلة النازلة بالصقاع الجبلية المنقطعة في ولايتي (كنتكي) و(تنسي) من الولايات المتحدة يرددون بعض القصائد الطويلة التي اُثرت في عقولهم والتي وصلت اليهم بطريق العنينة من قصص شعرية قديمة حملها اجدادهم معهم الى تلك البلاد من انكثرت منذ ما فروا بدينهم من الاضطهادات . ولما قوبلت هذه القصائد بالكتب التي دونت فيها النصوص الشعرية الاصلية في اواخر القرون الوسطى وجدت سليمة في جوهرها ولم تصب الا بعطل طفيف في انتقالها على الالسنه والشفاه وسفرها من القلب الى القلب

\*\*\*

ولا شك ان مثل هذا الدور الحفظي المتوقف على قوة الذاكرة في الشعوب الامية القديمة تناول كنوزنا الادبية الثمينة احقاباً قبل ان يتيسر تدوينها ، فقد استيقظت هذه الشعوب على بلابل الشعر تغرد في فجر المدنية فلم يكن لديها وسيلة تدون بها هذا الغناء الفتن سوى طبعه على صحائف القلوب وترديده على الالسنه في الاعياد الخالية كما تدار اسطوانات الحاكي في الحفلات والمقاهي اليوم وحسي أن أذكر أسماء هذه اللآلئ الادبية الثمينة التي انارت الظلمة في العصر القديم ليعرف القارئ منها شدة نفوذ الادب ولا سيما الشعر في تكوين الامم والتحكم بسيرتها ، « فالالياذة » « والاوديسة » لهوميروس و « الاعمال والايام » لهزيود واغاني « القيدا » عند الهندوكيين والاجزاء الشعرية من العهد القديم ، ثم ما ظهر بعد ذلك من الطرائف النادرة في جزيرة العرب في العصرين الجاهلي والاسلامي قبل التدوين واتخاذ العظام وسعف النخل وورق الغزال اداة للكتابة ، ان هذه الكنوز الادبية الغالية التي هي تراثنا الروحي الخالد يدلنا مجرد ذكرها على سلطان الشعر على الامم المتنوعة من اليونان والرومان وابناء عمومهم الهنود الاريين الى اليهود الساميين ومن دان بالعهد القديم من الامم النصرانية فالعرب وسائر من دان بالاسلام في المشارق والمغارب



## الشعر العربي

ومع كل التحريف والتلفيق والدس الذي انزلهُ القصصيون والرواة بالشعر الجاهلي فهو بالاجمال مرآة صافية يتجلى فيها مجتمع تلك العصور السحيقة وقد قام بوظيفته في تثبيت الحياة العربية وتأييد الاخلاق الفطرية السليمة ليس في الجزيرة فقط بل في جميع الاقطار التي استولت عليها الجيوش العربية وانتصبت فيها المنابر وارتفعت المآذن . وانك وانت في بلاد الهند أو في القرم أو في التركستان الصينية مثلاً لترى في سيرة الافراد وفي مقاييسهم الاخلاقية ما يعيد إلى ذاكرتك الشيء الكثير من اخبار الحجاز في جاهليته دع عنك ما فعله الادب العربي الاسلامي بواسطة الدين من المعجزات في هذا المضمار

ومما يستوقف الانظار ان نخبة من اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت قامت منذ حين بدرس بعض الشؤون الاجتماعية في الشرق الادنى ولا سيما في سورية فرأت الفضائل الآتية ماثلة في اهلها وهي (١) الاباء أو عزة النفس (٢) الوفاء (٣) قرى الضيف (٤) الميل الفطري للدين (٥) العطف والمواساة (٦) الاهتمام بالاعراض وما للمرأة من ميزة خاصة . فن يقرأ كتباً في الادب العربي الصميم ياترى جاهلياً كان هذا الادب أم اسلامياً ولا يرى هذه الخصال ظاهرة فيه ظهور الشمس في رابعة النهار ؟ ولعمري ان المرء ليستطيع ان ينسلخ من جلده ولا يستطيع ان ينسلخ من تأثير العقل الاجتماعي الادبي حواليه ، وما نحن في الواقع الا سمك يعوم في لجة هذا البحر الذي يحيط بنا من كل جانب ، ولا هون على المرء ان ينكر فعل الاجواء والاهواء والانهار والجبال والوهاد والوديان في جسم المرء من ان ينكر فعل الادب في عقله ويلوح لي ان الجزء العقلي الممزوج في الشعر بالجزء الادبي يكسبه تفوقاً ظاهراً على سائر الفنون الجميلة ، ولئن كان التصوير تمثيلاً بالخطوط والالوان ، والموسيقى تمثيلاً بالانغام والالخان فالشعر تمثيل بالقوافي والاوزان . فالتصوير شعر صامت والشعر تصوير ناطق

قال (ثيودور واطس) « ليس في مقدور احد ان يخط كلمة واحدة في الشعر ما لم يولد من جديد — ما لم يهبط من الملاء الاعلى مرة ثانية

» ثم ما هو الفرق بين الشاعر والنائر ؟ افلا يجوز للكاتب ان يتحلى بشيء آخر غير الشعر ؟ ألا يكون محارباً ايضاً كما كان اسكيلوس ، وتاجراً كشكسبير ، ونديم الملوك كتشوسر ، وفيلسوفاً خليطاً كغوته ؟ بيد انه في اللحظة التي تجل عليه فيها الشاعرية تتعزى من تلك الكسبى الدنيوية التي اكتسبها منذ سنين ، فيزول من نفسه جميع ما للدنيا من علم واناية واستخفاف وطموح ، ويصبح طفلاً ملهماً من جديد باذنين مطبقتين في النغم على تلك الهمسات التي تهب من (العصر الذهبي) — لما كانت السعادة باسطة جناحها على هذا الانسان المتعب — فيلتشر اريحها المنعش في هذه الارض الفاسدة ويظهرها من الارجاس »



ولعلماء التربية والاجتماع اهتمام خاص بتاريخ الادب وذلك لانهم يرون فيه ميداناً متسعاً لنشر التربية الاجتماعية والتثقيف الفني ، والادب مرآة تتجلى فيها صورة المجتمع ، وتكون هذه الصورة على احدث طراز ، لان الادب يتوقف في شكله ومادته على الاحوال الاجتماعية المستجدة ، فالشعراء هم اشعر الناس بالطوارئ وقلوبهم اوتار حساسة ما اسرعها إلى الاهتزاز برجات الانقلاب والثورة ، وكما ان الشعر صورة الشاعر كذلك الشاعر صورة المجتمع ، بل الشاعر كما قال الاستاذ (بايندر) <sup>(١)</sup> نقطة الاحتراق تلتقي فيه جميع الاشعة المنتشرة من الحياة الاجتماعية المضيئة حو اليه فيكسبها شكلاً فنياً وبيانياً لفظياً بما تحلت به شخصيته من الميزات وسواء أكان الشعر غنائياً أم قصصياً ، ارشادياً هجوعياً أم تمثلياً فنجاحه في التأثير في قلوب الناس يتوقف على الاحوال الاجتماعية التي يعيشون تحت سماءها

والشعر العربي هو مثل الغناء العربي طافح بالحزن والاسمى والتوجع والبكاء لانه لا يردد فقط مظالم الانسان من سلب ونهب وانتهاك حرمة وازهاق نفس بل يردد ايضاً مظالم الطبيعة من امراض فتاكة وسيول جارفة ورياح سامة ومجاعات قتالة وما اكثرها في بلاد العرب . والواقع ان الجزيرة العربية طبيعة خاصة في شدة التأثير في النفس واستخراج اللاي الشعرية من اعماق الصدور . فالكواكب المتلألئة في سماءها الصافية الاديم استوقفت انظار البدو من اقدم الازمان وجذبهم حتى كادوا يطيطرون اليها من غير جناح ، والبوادي الجرداء القاحلة المنتشرة في ارجائها تعمد ساكنيها لرؤية الجمال الحي في كل برعمة على اية شجرة كانت من الشجر في الواحة ولو كانت شجر الشوك والبلان . ومعاطشها اليابسة المحرقة تولد في الصاديء عند ورود الماء لذة لا يدوقها المتنعمون بالينابيع والانهار . وحدث لي في آواخر سنة ١٩١٥ — إذ كان الاتحاديون يتبعون اري — انني قطعت البادية الموحشة من (تدمر) الى قرب (الميادين) وانا اعيش على الماء الآسن الاجن الذي كان يزيد في غلتي فلما نزلت الفرات وذقت مصة من مائه العذب صحت باعلى صوتي « الكوثر . . الكوثر . . » وهذه جنات عدن تجري من تحتها الانهار . ثم ان الهجرة الشاسعة وطى البيد الواسعة والابتعاد عن المنازل في الغزوات وطلب الكلاء مع رؤية الاطلال والمعالم والآثار وما تحدثه في النفس من الذكريات الماضية والايام الخالية كل ذلك من البواعث الشعرية الخاصة بالجزيرة . وكذلك المنقطع الخائف الجائع الصادي متى وجد بيتاً من الشعر نزل به واهلاً امن بهم تجلّى له الكرم « الحاتمي » باجلى مظاهره فسد البلغة يومئذ — ناهيك بعقر الناقة — يفعل في نفسه ما لا تفعله الولائم في القصور ، وباب الحرم يسدل عليه ليحميه من مطارديه امنع لديه من مدافع الحصون على حدود الدول . وقصارى القول ان مثل هذه البيئة البسيطة الجافة وما فيها من شظف العيش تبرز المعاني الشعرية بشوبها القشيب وهو ثوب الطبيعة الفتان



فقر الغرب في الشعراء اليوم : يعلل بعض الباحثين فقر الأمم الغربية في الشعراء ورغبتها عن الشعر بالمدينة المادية التي تغوص فيها الى مفرق الرأس ، وعندهم ان وسائل النقل الحديثة وانتشار الاباحية وزوال ذلك البرقع الجذاب عن وجه الانسانية واشتغال الدول بالشؤون الاقتصادية والسياسية وانهمالك الافراد في تحصيل القوت الضروري والخلاصة زوال الاحوال الروائية عن ظهر الكرة الارضية كل ذلك من العوامل التي ذهبت برشاقة النظم وقضت على دولة الشعر ، حتى ان جائزة كبيرة عرضت منذ امد قريب في فرنسا للمجلى في حلبة الشعر فلم يتسابق للحصول عليها احد . ولكن من حسن الحظ ان الناضجين اذا قلوا فان المستمعين ما زالوا عند حسن الظن بهم ، وفي عقيدتي ان ليس الشاعر من نظم الشعر ولا الموسيقي من وقع الاغانى ، بل قد يكون المرء شاعراً وموسيقياً بالفهم والطرب ، ذاك فنان ايجابي وهذا فنان سلبي . والمظنون ان هذه الفترة التي نعيشها في الزهد بالشعر هي فترة مؤقتة او سحابة صيف لا تلبث ان تنقشع وذلك عند ما نألف محيطنا الجديد المزدهم بالحوادث والسكان فنعود اليها غرائزنا المنفعلة الاولى وتثور فينا مراحل الاضطراب وتسترجع هذه الدنيا السمجة جوها الروائي الجذاب

### الشعر والثورة

وقد لا نبتعد عن الصواب كثيراً اذا نحن قلنا ان هذه الانقلابات الاقتصادية المادية التي نعيشها في هذا العصر ليست بمعزل عن الشعر بتاتا بل قد يكون الشعر بمعناه السيكلوجي من ادعى دواعيها ، وسبب ذلك ان هذه الحياة العقلية التي نولد ونذب وندرج في احضانها هي التي يطلق عليها في الاصطلاح العلمي اسم « العقل الاجتماعي » وهذا العقل المتصرف في حركاتنا وسكناتنا لولا اللغة وما انطوت عليه من الادب الرائع ما كان له سلطان على قلوبنا وهو بواسطة ما يحدثه في الافراد من رأي مشترك يسمى « الرأي العام » يولد الثورة ويغذيها ولكن لا شيء اهون على الباحث من اظهار العلاقة المتينة بين المواقف الشعرية والتأثير في « الرأي العام » . فكم من مظالم ناه من اجلها الشعراء فأغضبت الرأي العام وهاجته ولم تنطفئ جذوة هذا الغضب إلا بالثورة . والجمعيات التي مثلت اخطر الادوار في سياسة الأمم هي التي عرفت كيف تحرك الرأي العام بما تبثه من الدعايات الشعرية المهيجة وربما استغلت الحادثة الواحدة الطارئة عرضاً فأحدثت بسببها الانقلاب المنشود

وقد ذهب (اوغست كونت) في فلسفته الحسية الى ان « الفكرة » هي التي تدفع الى العمل ، ولكن الفكرة الجامدة الخالية من الروح — الفكرة الباردة المجردة — لا تستطيع ان تعمل عملاً مباشراً بل لابد لها من ان تكون فكرة منفعلة هائجة اولاً ومترينة بالادب ومتحلية بالشعر لتستحوذ على ارادة الناس ، وان قول تلك البدوية لاهلها في قصيدة تشكي

طف  
متسماً  
تكون  
اجتماعية  
هتزاز  
بل  
الحياة  
الميزات  
قلوب  
لا يرد  
طبيعة  
عرب  
شعرية  
و من  
لقاحه  
ت من  
سادى  
١٩—  
يادين  
سة من  
تحتها  
وطلب  
والايام  
صادي  
ظاهرة  
سور  
لدول  
شعرية  
(1)



بها على الاعداء الذين أسروها أنهم « ضربوا موضع الغمة مني بالعصا » ، ونداء تلك الحضرية مستجيرة بالخليفة في بغداد بقولها « وامعتصم » وبيت الشعر الذي قاله المتنبى « لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم » ان هذه الاقوال الهائجة وأمثالها احدثت في العالم العربي من الاضطرابات اضعاف اضعاف ما عمله اقليدس بهندسته وبقرط بامزجته ونيوتن بجاذبيته ورونتجن بأشعته ، وقد رأيت المجاهدين من بني معروف في الثورة السورية الاخيرة يقتحمون مدافع الفرنسيين بصدورهم وهم يصيحون بأعلى اصواتهم مذكرين الجنرال غاملان بوقائعهم الماضية « ممدوح وسامي قبلك خرجوا من السويد »

ثم ما هي كلمات « حرية » و « مساواة » و « اخاء » وغيرها من الكلمات الحية التي قلبت وجه الارض وغطته بالدماء ؟ اليس كلها احتجاجاً شعرياً صادراً من اعماق القلب على الاستعباد والظلم والاثرة المفرقة ؟ وهل هنالك موقف يهيج كامن الالم اكثر مما ان يرى الانسان اخاه الانسان مكبلاً بالاصفاد ومداساً بالاقدام ومساقاً للاستثمار كما تساق الغنم للذبح ! ان هذه المواقف الشعرية المؤلمة تعمل اليوم في الشرق ما عملته فكرة « الحقوق الطبيعية » في الثورتين الكبيرتين الاميركية والفرنسية

وبديهي ان تكون الافكار حافزة الى العمل ودافعة الى الاضطراب بقدر ما فيها من عناصر الانفعال والتهيج لان ما يفور من القلب كما قال الشاعر (وردورث) يسيل إلى القلب ، وما دام التصوير والموسيقى والشعر هي الوسائط المعبرة عن اسمى الشعور والمنفصحة عن ادق الانطباعات المنقوشة على صفحات الصدور — ما دامت هذه الفنون الجميلة مجلى تأثرنا من الطبيعة المحيطة بنا من كل جانب بافراحها واطراحها فهي القوة الاجتماعية الدافعة في المقام الاول . ولئن كان آدم البشر الحقيقي كما قال (منصن) هو اول من عمل آلة استعان بها نسله على مكافحة الطبيعة فان حواء الحقيقية هي اول من علمت ابناها اغنية من الشعر ايقظت بها ارواحهم الخاملة ، وكما ان خلايا اجسامنا مؤلفة من العناصر المادية التي تحيط بنا كذلك « خلايا » عقولنا مؤلفة من الحياة العقلية التي اوجدناها ونحن ننمو في وسطها واننا لنستدر الهامنا منها كما يستدر الطفل اللبن من ثدي أمه

ولقد اجاد (مونتسكيو) كل الاجادة عندما وصف التفاعل السياسي بين الدولة والافراد بقوله « في طفولية الام يربي الرجل الدولة ، ولكن في رشدها تربي الدولة الرجل » وكذلك الحال في التفاعل الادبي الروحي ، ففي الحياة الابتدائية تربي العقول دولة الادب ولكن في الحياة الراقية تربي دولة الادب العقول ، لانها تربي الشعراء والادباء والعلماء والحكماء جميعاً ، ونحن أبناء محيطنا العقلي كما نحن أبناء محيطنا المادي





### الالهة الشعر الغنائي

لوحة في مكتبة الكونغرس بوشنطن تمثل الالهة الشعر الغنائي في الوسط ووصيفاتها من اليسار الى اليمين يمثلن المرح فالجمال  
فالشهرة فالخلق فالحقيقة فالاخلاص وهي عناصر الشعر الغنائي في نظر المصور

امام صفحة ٥٣٥

مقطاف ديسمبر ١٩٣٢



# شوقي او الشاعر

امستانه سامى الجبريني

زل الھلال عن السماء فليتها طويت وعمّ العالمين ظلام  
وقد يودي القدر بالھلال فزول معلمه وتضيع آثار مادته فينا وببدلنا الله اقراراً خيراً  
منه او نكتفي بالشمس . وأما ھلالنا الروحي الذي ودّع العالم بالأمس فلن ينزل عن سماءه  
مادام في كتب الادب اثر للغة العرب  
ولقد طالما جال في الخاطر عند ما كان يدور البحث بين الادباء على الشعر العربي وعلى  
شاعرية شوقي وغيره ان نبدي رأينا في الشعر وفي منزلة شوقي منه ثم نحجم خوف التهمة  
لأننا نرى ان الكتابة في مثل هذا الموضوع يجب ان تسمو عن الشخصيات وان تساق خدمة  
للادب العربي خالصة لوجه الله

\*\*\*

ليس لاحد من الناس ان يُسمّى شاعراً الا اذا كان نابغة شعر . وقد قلنا نابغة شعر  
قاصدين — فالناس قد جعلوا الشعر مبتدلاً . منهم لشر ما ينظمون . ومعظمهم لسوء ما  
يقدرّون ولنفضيحة ما يطلقون من الالقاب على الناظمين . قلنا نابغة شعر ولولا ما قدمنا  
لكان حتماً علينا ان نقول «الشاعر» وكفى . لأن كل شاعر نابغة ولا يعكس واذا قلنا الشاعر  
فقد قلنا شيئاً كثيراً

فهل كان شوقي شاعراً . وهل كان نابغة ؟ وما هو الشعر والشاعر ؟ وما هو النبوغ ؟  
ان استطعنا ان نقرب فهم هاتين الكلمتين الى الاذھان فقد عرفنا الشعر وعرفنا مكانة شوقي منه

\*\*\*

ليس الشعر كلاماً مقفى موزوناً . ان هو الا وحيٌ يوحى يهبط على الشاعر فاذا به صاحب  
رسالة يؤديها . يغنيها بالعربية مرة وبالاغمية اخرى على وزن وقافية هنا وعلى غير هذا الوزن  
وعلى غير هذه القافية هناك . رأيت الى هذا المصوّر يخطيء في الاوضاع التشرّحية لاعضاء  
الوجه او يضيع النسبة بينها . ان فعل ذلك فليس هو من التصوير في شيء وكان شأنه شأن  
كل الاطفال يعبثون بالقلم والورق . ولكنّه ان اكتفى بالقواعد التشرّحية وبالاوضاع



الطبيعية للأعضاء لما زادت قيمته عني وعنك ايها القارئ الكريم ان كنت مثلي لا تكاد تحسن رسم خط مستقيم  
لا ليس المصور مفتناً اذا هو اهل الاصول وضرب بالقواعد عرض الحائط . وليس هو بالعقري ان قال هذا حسي

يجب ان يسبغ على القواعد والاصول روحاً تعطي العيون الحائظاً تعبر في الصورة عما في ضميره . ويلبس الوجه معنى ليس في الاصول والقواعد بل في نفسه وفي نفسه هو دون سواه . فيبرز لنا الجمال ، نعجب به ونحسبه من بسائط الاشياء التي في متناول ايدينا ولكننا لا نستطيع ان نحكيه — كذلك الشاعر . وعند ما قلنا ان الشعر ليس بالكلام المقفى الموزون لم نقصد الى الاباحية في اللغة او الفوضى في قواعدها ولم نرم الى فتح الباب على مصراعيه يدخله كل ناظم لا يملك من حظام الادب الا كلاماً مرصوفاً موزوناً ذا قوافٍ يضرب باللغة وقواعدها واصول الكتابة فيها عرض الحائط ، يستر جهله وتفضح الجرائد غفلته بدعوى «الشعر العصري» او «الادب الجديد» وما الى ذلك من سقط المتاع

لا . ان لم يكن الشاعر متبحراً في اللغة متضلعا من القواعد فليس بشاعر . ان لم تكن لغته اللغة الفصحى فليس بشاعر . ولكنه ليس بالشاعر ايضاً ان اكتفى بالقواعد والاصول لغة وبياناً وبديعاً — لا . لن يكون من «الشاعر» في شيء ان قال هذا حسي . فهذه كلها اثواب واعضاء جسم عار . أما الروح التي تنفخ في الجسد الحياة فتجعل الرجل يتألم ويحزن ويفرح ويفتخر ويضطرب ويغنى فهذه هي روح الشاعر . وهذه الروح مخلوقة فيه توجي اليه ان غن فيغني مدفوعاً بسليقته مسوقاً بطبيعته يكمل من فطرتها بالدرس ويهذب من بداوتها بالملاحظة . فانه ان كان «مدفوعاً الى السقم السقيم» ومضطراً الى ركوب الاسنة المخاطر ففطور على الشعر الشاعر يضرب على قيثارته لانه مقدّر له ان ينشد ويقول الشعر لانه محتم عليه ان يقوله قرأت من زمن ليس بالقصير مقالاً لأديب ينعى فيه على العصر الحالي خلوّه من الشعراء المبرزين وينسب الامر الى طغيان الروح المادية والى تفوق العلوم التحليلية على الخيال والعواطف . وهذا رأي قال به كتاب كثيرون فيما مضى ثم عاد زعيمهم — وهو افرنجي — فأنكره وأقر بخطأه . فلا شك ان العلم الطبيعي تقدم كثيراً ولا يزال يسرع في تقدمه ولا شك ان الروح المادية قد قويت وطغت واشتد سلطانها فهل في هذا مساس بالشعر ؟ وهل من علاقة بين هذا الامر وذاك ؟

السعي وراء الماديات والاستمتاع بما يغدقه توفر الامور المادية على الناس كان منذ الازل وسيبقى الى الابد . ولكن صورته تختلف ومبلغه يتغير وشكله يتحول ويتبدل فلا يبقى على حال واحدة . والعلم الطبيعي الآن مثل «العلوم» التي تقدمته من كلامية وفقهية ولغوية



وفلسفية يمشي في طريق ويمشي الشعر في طريق آخر. فليس لهذا سلطان على ذاك وليست مملكة العلم والمادة مما يطغى على مملكة الشعر والفن. فالإنسان في تاريخه ليس خاضعاً لاحكام العقل والمنطق او للعلوم الطبيعية التي تريك ان الواحد والواحد اثنان بل يخضع لعواطفه ايضاً فكل منا رجلان او لكل رجل صفتان واحدة تربه ما وصل اليه العلم الطبيعي من الاستكشاف والتفنن في تدليل القوى المحيطة به فهيء له كل اسباب راحته المادية، وواحدة تقف حائرة مذهولة تسأل قائلة وما بعد هذا؟ وهل في هذا راحتي؟ بل تأبى مكرهة ان تقنع بما هو تحت نظرها وتمدح خيالها الى ما وراء الطبيعة فتخلق لنفسها ما تشاء. ذلك ان اشباع الروح شيء واشباع الجسد شيء آخر. وذلك ان في كيان البشرية تشوقاً الى الراحة النفسية وتعطشاً الى الجمال لم يجده في العلوم الطبيعية حتى الآن فاول ان يخلقه من العاطفة ومن هتاف الوجدان الداخلي. ذاك مسرح تلعب فيه العلوم الطبيعية ادوارها وهذا مسرح يغني فيه الفن ادواره، ولن يلتقي هذا بذاك

الشاعر يوقظ فينا كل ما في النفس من آمال ومن شعور والعالم يرسم لنا قواعداً يقع تحت الحواس الشاعر يوقد فينا جذوة التصور فينير عواطفنا بكلامه كما يوقدها وينيرها المصور بريشته والوانه فالقول اذاً بان العصر العالمي او المادي يقف في سبيل الفن قول لا يستند الى الحقيقة وليس له ما يسوغه من ماض او حاضر. فالمادة كانت قد طغت منذ ونيف الف سنة وكانت «علوم» ذلك العصر قوية اخذ بها الناس ودرسوها فلم تمنع تلك المادة ذلك العصر ان يخرج لنا المتنبي ونبوغه في فنه — كما ان هذا العصر لم يستطع بمادته وعلمه ان يحول بيننا وبين شوقي ونبوغه في فنه

ليست غاية الشاعر ان يحلل ويضع المقدمات يتبعها بالنتائج انما غايته ان يخلق لنا صورة تامة تتمثل لنا بشراً سوياً مرة وعاطفة مرة أخرى واملاً ومطمحاً مرات عديدة ليس الشاعر بالكيميائي او بالعالم التجريبي او التحليلي وليس بالمنطقي. انما هو مصور ينقل لنا بالكلام ما يضعه المصور في اللوح بالالوان. بل هو ابلغ منه اذ تكفي جملة واحدة بقولها حتى تثير في انفسنا صورة ذهنية قد لا تكون مشابهة للحقيقة ولكنهما تؤدي المعنى الذي رعى اليه الشاعر خذ امرؤ القيس يصور لنا الليل فيقول

وليل كهوج البحر أرخى سدوله عليّ بانواع الهموم ليبتلي  
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف اعجازاً وناء بكلل

فلو أراد الفيلسوف أو العالم التحليلي ان يشرح الصورة شرحاً تحليلياً لقال ان ليل امرؤ القيس غريب فهو يبدأ موجاً وهذا الموج كالستور المرخية ثم ينتهي فرساً يتمطط وتزداد ماخيره امتداداً ويبعد صدره. ولا أرى امرؤ القيس الا غيباً. واما كافة الناس فيقرأون



البيتين فتبدو لهم من خلال هذه الالفاظ صورة ليل بهم مخيف طويل. وهذا كل ما أراده الشاعر بل خذ اعظم شعراء العالم مثلاً

فلو أراد مبتدئ في الكتابة ان يصف لنا البخيل لكتب في البخل وقبحه واسبابه ونتأججه وتأثيره في الناس وفي البخيل نفسه كتابة لا تدع زيادة لمستزيد في كل مقومات البخل وفي كل آثاره في المجتمع الانساني ولكنه لا يعطينا صورة البخيل

واما شكسبير فينطق « شيلوك » ويجعله يشكو ويطلب ويغضب ويرجو فاذا بالبخيل قد تمثل لنا انساناً. وانطق « اوتلسو » بالحب والحرب فتجسدت لنا الغيرة. وهكذا يخلق لنا ناساً يتكلمون ويمشون ويأكلون ويشربون فتتمثل لنا صور الخديعة والعقوق والتردد والتضحية والمكر فلا تميز الصورة عن الاسم الذي سمي شكسبير رجله به

ولكنه لم يعط غير شكسبير ان يكون عالمياً لان الصور التي رسمها لنا هي في كل زمان وفي كل بلد وفي كل قوم. فالحسد والغيرة والبخل والعقوق لا تتغير مهما تغير في ابن آدم ومهما تغير في الاقليم ومهما تغير في الزمن

أما الشعراء الآخرون — ومنهم شوقي — فاكثفوا بصور أخرى، بصور هي آمال الشعوب التي نطقوا بلبغتها وعواطفهم متمثلة في احزانهم وآلامهم وافراحهم ومفاخرهم فكانوا في عداد المهتمين والنبوغ والعبقرية ماها؟ النابغة في عرفنا رجل يظهر في عصر من العصور وكأنه تمثل ماضيه كله وضمه في نفسه وصورة جيله الحاضر جامعاً ضمير قومه كلهم في جسد واحد وقلب واحد. فهو المثال القومي على ارقى درجاته يرى كل فرد آماله وشعوره وعواطفه متجلية فيه فينظر كما يبرأ إلى أعماق نفسه فيراها كما هي. فان حاول هو ابراز الصورة لا يستطيع فينقاد إلى المعبر عنها ويستسلم له. ويسمو النابغة عن المستوى العادي ولكنه في الواقع ونفس الامر مثال لكل ما في هذا المستوى من محاولة إلى التطلع إلى فوق والسير إلى الامام. فهل كان شوقي هذا الرجل؟

تعال معي أيها القارئ الكريم اريكه

ليس الاسلام ديناً خصب بل ملكاً ضخماً وامبراطورية مترامية الاطراف لا تغرب الشمس عنها

سلطان قام — مثل كل سلطان — بالسيف وبالسياسة وبكفاءة اعلام بارزين

فاذا كان الروماني في ابان الامبراطورية الرومانية يكتفي في حلبة الفخر بقوله انا روماني فيجتمع في نفسه كل عظمة الامبراطورية، كذلك يحق لكل مسلم وامبراطوريته في أوجها ان

يشخر بالاسلام ويزدهي وينشد في حب الاسلام

وما كان شوقي بالشاعر النابغة لو انه — وهو مسلم — انساه وحيه مثل هذا الفخر والحب

والاخلاص في خدمة الاسلام



ما كان يحذر بنا ان نعدّه في النوايح لو لم يتجمع في قوله كل ما في ماضي الاسلام من عزّ دنيوي ولو لم يتمثل الاسلام في ثراث الاجداد وينظر — وهو في الثلاثين والاربعين من عمره — دولة الاسلام لاتزال في سطوة لا بأس بها، تهاجمها دول اوربا من اليمين ومن اليسار فتصمد لهم تارة بالسيف وأخرى بالسياسة حتى كانت الحرب مع اليونان وفوزها الباهر عليهم فيجمع روح الملايين من المسلمين في قصيدته « بسيفك يعلو الحق والحق اغلب » يخاطب امير المؤمنين

إذصح تعريفنا النابغة انه هو الذي يعبر عن شعور قومه فينشد لفظاً ما يخالج اعماق نفوسهم فكراً فهو هو النابغة إذ يتغنى ببطش الترك وقوة الترك وتضحية الترك في سبيل نصر الاسلام فاذا غاب عليه بعضهم قوله « وارمينيا ثكلي وهوران اشيب » لانه لا يليق بامبراطورية عظيمة ان تقتل من رعاياها وتكسر من كبرياء ابنائها، كان على خطأ مبين فشوقي لم ينطق بلسان الرجل تملك عليه مشاعره التقوى والمحبة وفعل الخير ، بل نطق بلسان امبراطورية تأتي ان يهاجمها العدو من الخارج ومن الداخل . فاذا ما جاءت حرب البلقان وخيل إلى الناس ان الاسلام قد زال عن البلقان تجلست عبقريته فعبّر مرة أخرى عن ضمير الاسلام اذ صاح « يا أخت اندلس عليك سلام » بل يقف والرأي العام الاسلامي على لسانه يغلف القول بسبط نبي المسلمين شريف مكة اذ اضطهد حجاج البيت وأساء اليهم ويستعدي عليه امير المؤمنين في استانبول ويقول له « ادبّه أدب ... الشريف عليها أم لك العلم ». وهو النابغة ايضاً اذ يأخذ مثل قومه الاعلى فيصيغه حكمة قد لا تكون في ضمير كل احد منهم ولكنها ضمير الاسلام الحق فيذكر المسيحية ويقول فيها وفي سيدها ما لم يؤث باحسن منه الا في القرآن وكانت الحرب العظمى وتخلّى الاتراك عن الخلافة وداول الله الايام بين الناس وطفى على العالم كله روح الوطنية فانكش شوقي ثم عاد نابغة آخر يعبر عن عواطف قومه ومطمحينهم ومثلهم الاعلى بشعر يتغنى فيه بالوطنية فيعود إلى مصر ينقب عن ماضيها فيحييه وينشر حاضرها

« وطني ان شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي »

ودع عنك التمسك بالتقديم والتأخير في تاريخ شعره فنحن نصوره صورة مستقلة عن الوقت . كما اتنا نصوره كما هو فوق الاحزاب وفي معزل عنها لانه ملك الجميع فلا ينطقه الله الا بما يصح ان يقوله الجميع

بل كيف لا يكون النابغة الذي عرفنا وهو ان طربنا غنينا بشعره أو فرحنا انشدنا شعره أو رثينا رجعنا الى شعره أو افتخرنا زهونا بشعره أو اردنا الحكمة نتخذها مثلاً ساءراً استشهدنا بشعره

« رواة قصايدى فاعجب لشعر بكل محلة يرويه خلق »

فاذا كان هذا الذي تغلغل في حياتنا الادبية إلى اعماقها والتصق بكل عواطفنا وجوارحنا



وكان سفيراً مفوضاً مطلق الرأي من لدنا امام الالهة الشعر — إذا كان هذا ليس بالشاعر النابغة  
فاين هو ذلك الشاعر ؟

\*\*\*

ان الخطأ الذي وقع فيه الذين وزنوا شوقي بالميزان فوجدوه ناقصاً لا يغتفر لمن ينصب  
نفسه حكماً ناقداً للشعراء. ذلك انهم لم ينظروا اليه كشاعر عربي فقاوه بمقياس البيئة العربية  
قديمها وحديثها او بمقياس الشعر العربي ما هو جديد منه وما طال عليه القدم بل تأثروا بالنقد  
الافرنجي للشعر الافرنجي فاخذوا نظر الافرنج الى شعرهم وطبقوا مذاهبهم على شوقي  
وليس هذا من العدل في شيء

فالشعر الافرنجي شيء والشعر العربي شيء آخر . الادب العربي شيء والادب الانجليزي  
شيء آخر والادب الالماني آخر وهكذا . فثمة رجل ذو ملامح و اخلاق و تاريخ و لغة تجعلنا ندعوه  
انجليزيًا . وثمة رجل مثله ولكنه ذو ملامح و اخلاق و لغة و تاريخ آخرين ندعوه افرنسيًا  
كذلك ثمة رجل آخر مثلها ذو تاريخ و لغة و اخلاق تجعله عربيًا . فلا يصح قياس هذا  
بذاك . ولا اخذ قاعدة ما عند ذاك لتطبيقها على ما عند هذا . إذا أردنا ان نحكم حكماً صحيحاً  
على شوقي فالواجب ان نأخذه شاعراً عربيًا والشاعر العربي ليس بشاعر ان لم يؤثر فيه تاريخه  
ولغته وبيئته . فإله وللأوساط الأخرى واللغات الأخرى التي تنتج شاعراً ليس بينه وبين  
شاعرنا مشابهة

انه أعطي للقليبين — لقليبين لا يكادون يعدون على اصابع اليد الواحدة — ان يكونوا  
شعراء عالميين ونحن لا نعرف الا شكسبيراً شاعراً عالمياً وأما نوايع الشعر الآخرون فمحليون .  
فكم من شاعر خل الانجليزي لا يعرف الافرنسيون عنه شيئاً ولو نقل الى لغتهم لما استساغوه  
ولكنه شاعر في نظر الانجليز يعبر عن ضمير امتهم وينطق بشعورها وآمالها ومطامحها  
كذلك شوقي . فانا عند ما نقيم انفسنا مقام الحكم الذي ترضى حكومته كان حتماً علينا  
ان نرى هل قال بلسان قومه وهل ترجم آمالهم وشعورهم وهل احزنهم إذا رثى وأطربهم إذا  
طرب وساق شعره مثلاً إذا نطق . هذا هو الحكم للحكم على شاعر في كل آن وفي كل زمان  
انه من الضلال ان نطمع في جعل شوقي شاعراً عالمياً فليس هو كذلك ولكنه شاعر  
العربية وشاعر الاسلام وكفى بذلك مقاماً يجعله في المقام الاول بين الشعراء . وسيان عندنا  
بعد ذلك وافق الحكم قاعدة نقد الشعر الافرنجي أم لم يوافق

ولسنا من الذين يتسمون الادب إلى قديم أو تقليدي وجديد أو محدث حتى نحكم على شوقي  
لا . اننا لا نؤمن بهذا المذهب فلنفسر ما نرى اليه  
انه إذا قام فينا رجل اليوم وأخذ في الشعر مذهباً كذهب الشعراء منذ ونيف خمسة



قرون فليس بشاعر، أو مذهبه في صدر الاسلام فليس بشاعر، أو مذهبه في الجاهلية فليس بشاعر . ذلك لانه لبث ابن ذلك الزمن ونسي حاضر عصره وما فيه من اختلاف في الشعور والعواطف والآمال والمرامي عن العصور الاولى . انه لم يرق فيتكيف بالاحوال والمحيط فلا يستطيع ان يكون لسان جيله وترجمان بيئته فلا يتسنى له ان يكون شاعراً وان كان في عداد كبار الناظمين

وكذلك لو قام فينا اليوم رجل ينظم الشعر ناسياً ان هناك في صميم العربية شعراء دعوهم جاهليين ودعوهم اسلاميين وان هناك شعراء نظموا منذ الف سنة ومنذ خمسمائة سنة وانه غير مقيد بشيء من تقاليدهم واسلوبهم وتاريخهم فليس بشاعر

فالشعر — مثل كل الفنون الجميلة ومثل كل شيء في الطبيعة — ذو اصول تمتد إلى ابعد ما للشاعر من نسب فاذا انكرها لم يعد ابناً لها

والشاعر العربي اليوم ليس الا ابناً يرث مما سري في دم اجداده منذ اول يوم نُطِق فيه بالشعر حتى الآن . فاذا لم يتمثل هذا الميراث ويضمه إلى بيئته الحاضرة ويمزجه بعصره الجاري فليس باهلاً ان ينطق بلسانهم ويترجم عن آمالهم

وما الادب في كل قوم وفي كل بلد الا تاريخ اول اديب منذ بدء الادب الى يومنا هذا ارأيت الى مدرسة انكليزية لا يبدؤون في درس الادب فيها منذ ايام «تشوسر» نازلين الى «سبنسر» «فشكسبير» «فلتون» «فتنسون» حتى الآن

أم رأيت مدرسة افرنسية لا يرجعون بك فيها الى ايام انقسام الشعراء فئتين مختلفتين ويتدرجون خطوة خطوة حتى هذه الايام . ام رأيت اخرى عربية لا يبدؤون في تدريس الادب فيها منذ اوائل الجاهلية وشعراء النصرانية حتى الآن ؟ فالماضي جزء لا ينفصل عنا وانما للحاضر خلق يميزه عن ذلك الماضي ولكنه لا يفصله عنه . فالشاعر الخلق بالاسم هو من جمع الماضي كله محبواً في دمه ونطق بكل ما في حاضره من عواطف وتصورات . ولا اظن منصفاً يرى في شوقي غير هذا الشاعر

كذلك اخطأ الذين اخذوا بيتاً لشوقي من هنا وآخر من هناك فقالوا لك انه قصر في هذا عن المتنبي وأخذ المعنى عنه ولم يبلغ شأو البحترى في ذاك التركيب والتوى عليه القصد وانه في هذا البيت خالف المألوف فبالغ وانه في ذاك خرج على المنطق وعلى اللغة فلم يوفق وما هكذا يكون النقد . واني ازعم ان النابغة لا يكون خليفاً بهذا الاسم ان لم يخالف المألوف ويضرب في بعض الاحايين بالاصول اللغوية عرض الحائط بمبالغة في تأدية المعنى او امعاناً في اتقان الصورة التي يثيرها لفظه في ذهنك . وليس النابغة الا رجلاً ارتفع عن المستوى ولكنه ليس بكامل — ومن آيات فنه انه يخطيء ولكن خطؤه في قوله يزيد القول حسناً



ويزيدك به إعجاباً وله حجة خلفه روحه وسلامة ذوقه  
وانهم يقولون لك في كتب الادب الانكليزي انه لم يخالف القواعد اللغوية عظيم مخالفة  
شكسبير لها . ولكنه مات فترك لغته أغنى اللغات تراثاً وزاد في معجمها الالف من الالفاظ  
ووضع شعرها في اعلى الطبقات

بل نبالغ نحن الآخرين ونقول انه اذا لم يخطئ الرجل الفذ فليس بحبيب الى قلبك  
واذا كان كله كمالاً في كمال حيل بينك وبين جاذبيته وبقي جافاً تيبس عروقه وتذهب في الهواء  
ولا تملُّ القول وتكراره فالنبوغ في الانسان هو الكفاءة لتمثيل جيله وعصره وترجمة  
ما عبرنا عنه بضميرها . فاذا فعل ذلك فهو الزعيم المقدم مهما اخطأ وسرعان ما يغفر له موته  
جميع هفواته . افلا ترى ان النوانج لا تذكر لهم السيئات مهما تعددت فخلدوا والى رجال  
الكمال اللفظي او الكمال الجسدي جلسوا على الرف فعلاهم الصداً وأكلهم العث . ذلك ان  
الروح يحيا اما الجسد فيميت . واننا نقرر في غير وجل انه ما اقفر ادبنا العربي شيء مثل  
خلوه من النقد الحقيقي . ذلك النقد الذي يتناول الروح والمعنى والصورة الجلية والاثربالقي  
ويهمل القشور . فانظر الى التاريخ العربي في الأدب انه منزل أهل بعظاء الاشخاص لو كانوا  
افرنجياً لرأيت المجلدات تكتب عن كل واحد منهم . بل انظر الى تاريخ الاسلام السياسي فلن  
تجد في اي امة اعجمية ما تراه فيه من كثرة الفحول المبرزين

فكم من كتاب نقرأه في اللغات الافرنجية عن نابليون وعن شارلمان وعن ولنتون وعن  
شكسبير وعن جوته وعن فولتير وهكذا إلى ما لا نهاية له

ولكنك ماذا تقرأ في العربية عن عمر ابن ابي ربيعة وعن الاخطل وعن ابي نواس وعن  
المتنبي وعن خالد ابن الوليد وعن معاوية وعن الحجاج وعن زياد ابن ابيه وعن ابي مسلم وعن  
صقر قريش : ذلك اننا عندنا المادة وانما ينقصنا الروح

فينا الكثير من امثال غليوم الثاني ويرون وفوشه ولكن ليس فينا « نيكلسون »  
و « ستراشي » و « اندره موروى » و « اميل لودفيج » و « ستيفان زفايك »

\*\*\*

شيء آخر يتناوله النقاد أو الذين يترجمون أدبياً شاعراً كان أم كاتباً فيقولون لك هذا  
مبتكر وهذا ينقصه الابتكار وذلك أخذ المعنى عن ذلك الشاعر أو قد فيه هذا الكاتب  
ان صغار المخلوقات في الادب تنسب إلى نفسها شيئاً اقتبسته من الغير أو تقلد وتنقل  
وتدعي الالهام

هذا فريق لا يليق ذكره أو الاهتمام بامرهم فليس هو من الادب في شيء  
ولكننا نلغي شعراءنا وكتابنا الذين ثبتوا على الزمن فاصبحنا وهم قادة الادب فينا



ترى هل الابتكار من مزاياهم وهل في الادب الحقيقي ابتكار — ليست دولة الادب من مملكة العلوم الطبيعية . فالاختراع والاكتشاف ملازمان العلم التجريبي او التحليلي لا ينفصلان عنه لأنه شئني . اما الادب فنفسى واحكام النفس معلقة بصاحبها اما كفرد او كأمة وما نفسية شعب من الشعوب الا هذه الصورة التي يرسمها لنا الشاعر اما خلقاً او املاً او حباً او حزناً وما هذه النفسية الا نفسيته هو ضم فيها نفسية جيله فصفاها واختصرها وهذبها وارسلها قولاً مأثوراً

لذلك كان الابتكار في الادب معدوماً . فالادب عن قدماء اليونان يكاد يكون هو الادب عند الاوربيين الآن مع هذا الاختلاف البين في اللغات وفي طرق التعبير . الروايات التمثيلية التي تملأ الادب الاوربي مستمدة من الروايات اليونانية مهما غير القوم من لغة ومهما بدّلوا في اشخاص . لان الروح الادبية تكاد تكون واحدة — أما الاسلوب فلا يعد ولا يحصى فالاديب الاوربي المتغذي بكل هذا الماضي من الادب لا يمكنه ان يتجرد عنه ويبتكر . وماذا يبتكر ؟ انه يغير في الاسلوب وفي بيان اللغة ولكن روح الادب الاصلي هو هو فاذا كان الادب العربي ميراثاً لكل ناطق بالضاد فكيف يكون الاديب اليوم اديباً ان لم يتناول ميراثه فيستغله . وهل يجدر بشاعرنا اليوم ان يتجرد عن كل الشعر العربي منذ فجر العربية حتى الآن ويتملص مما خالط قلبه وعقله من مادة تلقاها عنه وينطق او يفكر او يشعر بغير ما آل اليه

لا . انه ان فعل فليس بشاعر عربي  
وأديبنا اليوم هو اديبنا البارحة انما تمشّى مع هذا العصر وتكيف وتحول وبقي الاصل كما هو . فالقول عن نقد الشعر بان شوقي أخذ هذا المعنى عن شاعر قديم حيث قال هذا كذا وقال ذاك كذا فقول لا يؤيده تاريخ الادب في كل الامم وليس نقداً بالمعنى المعروف

\*\*\*

ولقد عرّجنا على الكثير والقليل من مواطن القول ولم نتم صورة شوقي بعد قلنا ان النابغة في عرفنا بشر يسمو عن المستوى العادي ولكنه ليس الها لتساق اليه الصلوات والمدائح وينزه عن الخطأ

فاذا احببنا ان نشبهه بشيء فلعلمه بألهة اليونان اشبهه — آلهة نسبوا اليها اشياء عظيمة ولكنهم جعلوا في طينتها خلقاً بشرياً ضعيفاً فكانت تعلو عن الناس في شيء وتسفل اليهم في شيء آخر ، فجعلوا لها محبة البشر وحسدهم وجميع ما فيهم من ميول ليست مجردة عن الهوى في معظم الاحيان . وشوقي — في نظرنا — لا يكون النابغة الذي نحاول ان نصف ان لم يحمل نقصاً يشاركه فيه الكثيرون من الناس ولكنهم لا يشاركونه كل شيء آخر



ذلك تعلقه بالسلطان — نعي « الوظيفة »

فقد كانت أمنية شوقي منذ ما بلغ أشده أن يكون في ركاب الحاكم — أمنية تشفع له فيها شقيقته التي لا يهينها لها عيش إلا في ظل « الحكومة » ويشفع له فيها نسبه وقد كان يمتد إلى أصول هبطت مصر حكمة أو في معية الحاكمين. ولكنها مئى لا تليق بعبقريته وحالة لا يطبقها النبوغ اننا نضع الشاعر فوق العروش وعلى ظهور الحاكمين ونأبى له قفصاً ولو كان من الذهب البريز اننا نعجب بشوقي وتأخذنا هزة الفخر والطرب عندما تتلو آياته يعتز بالاسلام ولكننا تعافه انفسنا اذ يأتى « بعبد الحميد الثاني » ويضربه لنا مثلاً ومعياراً لعظمة الخلافة ونغض الطرف خجلاً اذ يشتم بتابع ذلك الخليفة « عباس الثاني » فيقيمه ثانياً في المجد والكرامة ليست القصور ولا دور الحكم بالمرتع الخصب لعبقرية الشاعر . انه طير النيل ولسان العربية وروح الاسلام . فالفضاء والحرية به خليقان

وإذا فهمنا المتنبي يخلد سيف الدولة فذلك لانه كان يمثل في تلك العصور كلما كانوا يعظمونه في الرجل من بطولة وكرم وحسب وتقدير للشعر . أما وحال ابطال شوقي غير حال سيف الدولة فاي عذر له

إننا نستقل فيه ما كان يصبو اليه من لقب « شاعر الامير » ونغفرها له اذ يقول شاكياً لذلك الامير :

« أليس من العز الممنوع ان ترى أمير القوافي في رحابك جاثياً »

ونفضل عليه الاخطل وايامه غير ايام شوقي وبطش بني أمية غير بطش عباس الثاني إذ تلعب برأسه نشوة الحمر فتأخذ العزة بالاثم ويقول

إذا ما ندمني عليّ ثم عليّ ثلاث زجاجات لهن هدير  
خرجت أجر الدليل تيهاً كأنني عليك أمير المؤمنين أمير

ولكنها هفوة وقع فيها قبله غير واحد من النوابغ فما جعلوا القاعدة مثلاً يصح ان يحتذى وما اغتفرت لهم إلا لما أولوه للام التي نطقوا بلسانها من فضل يثبت على الدهور

\*\*\*

وكانت الحرب العظمى فني شوقي واعتزل الاهل والوطن وأبت العناية البارة بانبائها العبقريين إلا أن تكون في خدمته . فليس للرجال العظام من مطهر وحافر وملهم مثل العزلة . وما أدى نبي رسالته قبل ان يعتزل الناس زمناً — فكان الوحدة رفعتة الى مستوى نفسه مجلس يناجيها ويستوحىها خير ما نظم . فعاد الينا بعد الاعتزال وقد تجرد لتصوير الجمال النفسي فقال في الاندلس العربية وفي فراغة مصر وفي جبال لبنان وأودية الشام ما يجعله في عداد الخالدين



وكأنه شعر بدنو ساعة الرحيل وخطبته الالهة الشعر قائلة انت ابني الجيب وبك قد  
مررت فاقم لي فرحي . انهم ينعون على الادب العربي خلوه من الشعر التمثيلي وان شاعرنا  
يلتزم وزناً واحداً في قافية واحدة في قصيدة واحدة فلا يلبث ان يتشكى كميته الجري  
فيسقط وما هكذا ادب الافرنج

قم ارني انك النابغة الحق تقمصت روح عصره فيه فرأى من حوله ميدان التمثيل قد  
رحب بعد ضيق واتسعت مسارحه لغير الروايات الافرنجية تُنقل ولا يحسن نقلها او تمثيلها  
فنهض واذا به يضيف الى الادب العربي سفرأً من ابلغ اسفاره . وعندنا ان هذا الضرب  
من الشعر قد فتح ابواب الادب العالمي لابناء العرب على مصاريحه

فاليونان والرومان وابنائهم اوريو اليوم ما بلغوا الذروة في الادب الا من هذا الباب —  
خسب شوقي انه مهّد الطريق وانارها وعسى ان يلهم الله من يرى هذا النور فيتم ما بدأ به  
شاعرنا العظيم

فجال الشاعرية بل مجال الادب الخلق بالاسم هو هنا . فالصور متوفرة وما على الفنان  
الا ان يبرزها أما خلقاً — وما اكثر صور الاخلاق — أو حكمة أو عاطفة أو غناء يثير المشجون

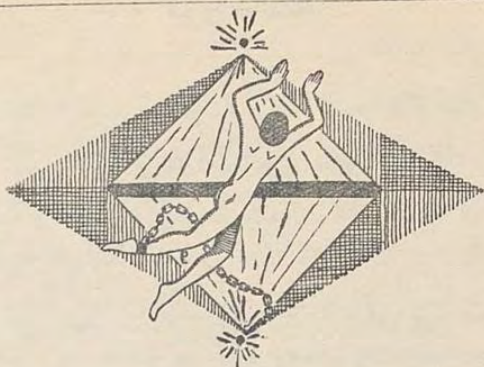
\*\*\*

على اننا نعتز باننا لم نقرأ كل روايات شوقي التمثيلية وان تقد مثل هذا الفن يقتضي  
وقتاً طويلاً للمحيص والموازنة حتى تعرف منزلة شوقي منه  
ولكنه — كما قدمنا — يكفي ان دلنا على الطريق وقادنا الى حيث يمتنع الاقدام ويكره الاحجام  
فنل شوقي لا يُبكي — فانه فينا ومناهما بقينا . انه منار يهدي واستاذ يرشد — موضع  
نفر الانفس ومحط آمال العواطف

سلام عليه يوم عاش فينا شاعراً وسلام عليه يوم هو في الخالدين شاعر







## موت الساع

لعل محمد طه المهندي

مَالُوا بِمَصْبَاحِ الْبَيَّانِ صَبَاحًا  
وَمَضَوْا بِهِ إِلَّا شُعَاءً لَمْ يَزَلْ  
تَهْفُو النُّجُومُ إِلَى سَنَاهُ وَتَغْتَدِي  
وَعَلَى جَوَانِبِ أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا  
هَذَا شُعَاعُ الْعَبْقَرِيَّةِ لَمْ يَزَلْ  
قَدَّرَ الْخُلُودَ لَهُ وَبَارَكَ أَفْقَهُ  
أَجْرَى الْبَيَّانَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ  
وَحَبَّأَ بِهِ الشُّعْرَاءَ مِنْ أَلْحَانِهِ  
لَمَّا مَشَى فِي الْأَرْضِ فَجَرَّ صَخْرَهَا  
وَأَنَارَ فِي شَرْفِ السَّمَاءِ نَجْوَمَهَا  
فَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا ضُحًى وَكَأَنَّمَا

وَمَشَوْا بِهِ فِي الذَّاهِبِينَ رَوَاحًا  
فِي الْأَرْضِ مُؤْتَلِقَ السَّيِّ وَضَّاحًا  
نَشَوَى كَأَنَّ مِنَ الْأَشْعَةِ رَاحًا  
شَفَقَ تَقْلِيدُهُ السَّمَاءَ وَشَاحًا  
يُؤَلِّي الْحَيَاةَ طَلَاقَةً وَسَمَاحًا  
رَبُّ ارَادَ بِهِ هُدًى وَصَلَاحًا  
غَدَقًا مِنَ السَّحَرِ الْمُبِينِ قَرَا حَا  
فَشَدُّوا بِالسِّنَةِ الطُّيُورِ فَيَصَاحَا  
مَاءً وَنَضَّرَهَا رُبِّي وَبَطَا حَا  
فَتَلَوْنَ مِنْ آيَاتِهِ الْأَلْوَا حَا  
فِي كُلِّ دَاجِيَةٍ زَى مِصْبَاحَا

\*\*\*

قُلْ لَابْنِ هَانِيٍّ لَا ذَوْتَ لَكَ كَرَمَةً  
قَدْ كُنْتُ فِي أَمْسٍ نَزِيلَ رَحَابِهَا  
أَلْقَى وَأَسْمَعُ عَبْقَرِيًّا مُلْهِمًا  
يُؤَلِّي النُّفُوسَ بِشَاشَةٍ وَيُنِيلُهَا  
أُنِسْتُ زَمَانًا بِالْبَيَّانِ وَأَهْلِيهِ  
وَقَفْتُ بِي الدُّنْيَا عَلَى جَنَابَتِهَا

فَقَدَّ الرَّبِّيعُ هَزَارَهَا الصَّدَا حَا  
فَنَزَلْتُ أَشْرَفَ مَا أُبْلَغُ سَا حَا  
طَلَقَ الْحَيَاةَ مَا جِدَا مَسْمَا حَا  
أَدْبَا وَيَسْقِيهَا الْوَدَادَ صُرَا حَا  
حَتَّى تَبْدُلَ أَنْسُهَا أَتْرَا حَا  
فَرَأَيْتُ حُزْنَآ وَاسْتَمَعْتُ نُوَا حَا



وشهدت ظل الموت فوق ظلالها  
وجمت وكانت بالطيور شواديا  
وذوت أزهارها ونفرت طيرها  
يبكي من الصدر الورود لجذول  
لما نعت لها زایل حُسْنُها  
سَيِّئَانِ بَعْدَكَ يَا بَنَ هَانِءَ دَهْرُهَا

\*\*\*

يَغْشَى الرُّبَى وَيَجْلُلُ الْأَدْوَا  
تَسْتَقِيلُ الْأِمْسَاءَ وَالْإِصْبَا  
يَنْزُو وَيَقْطُرُ أَدْمُعًا وَجِرَا  
كَمْ عَبَّ مِنْ دَفَاقِهِ وَامْتَا  
وَصَغَا الرَّيِّعُ بَوَجهِ وَأَشَا  
يَسْرِي نَسِيمًا أَمْ يَهْبُ رِيَا

قُمْ وَابْكِ لِلشَّعْرِ النُّبُوغِ وَقُلْ لَهُ  
وَاهْتَفِ بِصُومَعَةِ الْيَمَانِ فَقَدْ خَلَا  
وَلَّى بِسَرِّ الْعَبْقَرِيَّةِ شَاعِرُ  
لَمْ تَسْعِدِ النَّصِيحِي بِمِثْلِ رِاعِهِ  
شَعْرُ حَوَى الدُّنْيَا وَنَسَقَ حُسْنُهَا  
يَسْتَلْهِمُ الْأَكْوَانِ وَحِيَّ جَمَاهَا  
وَيُزْجِجُ عَنْ مَاضِي الْعُصُورِ سِتَارَهَا  
هُوَ مِثْلُ هَذَا الطَّيْرِ فِي صَدْحَاتِهِ  
وَأَرَاهُ كَالْبَحْرِ الْخِضَمِ عُبَابُهُ  
وَيُظَنُّهُ الْمَلَاخُ طَوْعَ شِرَاعِهِ  
يَهْدِي ، إِذَا هَدَا ، الثَّرَى أَصْدَافُهُ  
وَأَرَاهُ حِينَ يَرِقُّ حَاطِرَ نَسْمَةٍ  
شَعْرٌ يَشْفُ عَنْ الْحَيَاةِ وَدَاعَةٍ  
وَيُبَيِّنُ مِنْ غَضَبِ النُّفُوسِ وَصَفْوَاهَا  
وَيَفِيضُ مِنْ نَبْعِ الْقُلُوبِ فَآتَةٍ  
وَالشَّعْرُ مِرَاةُ الْحَيَاةِ وَلَمْ يَزَلْ  
وَالشَّعْرُ مِنْ أَدَبِ النُّفُوسِ وَلَنْ تَرَى  
وَلَقَدْ تَذَوَّقْتُ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ

\*\*\*

قُلْ لِلْكِنَانَةِ عَنْ رِمَائِكَ أَقْصِرِي  
صَيَّادَ أَسْرَابِ الْجَمَالِ إِذَا رَنَا  
فَلَقَدْ فَقَدْتُ الرَّاحِي النَّضَّاحَا  
جَاءَتْهُ مَا عَرَفْتُ لَدَيْهِ جَمَا



يدني القصي من الشوارد لفظه  
من كل معنى بالروائع حافل  
وقصيدة كالروض باكره الحيا  
من الطبيعة يستزيد جمالها  
ذهب الذي غننى خبائل روضها  
المرقص الزهرات فوق غصونها  
والمُسعد الأيكات منه يملئهم  
أوحى له المرح الوجود فصاغه  
لما جلا سر الحينا لقلبيه  
سبحان من أهدي الخيال يراعه  
فتسمعه فلم يزل من شعره

\*\*\*

يا نازحاً عنا نزلت بعالم  
فاحلل بجنات الخلود ورو من  
واملاً من الزهر المنور والجنى  
ستري الرسول على منظر روضها  
يسعنى (بحسان) إليك وأنتما  
يختل في برديّة من برديّة  
يستاف من ميلاده شوقية  
فاشرح هواك له وبث لواعجاً  
أبلغ إلى (صبري) التحية والهوى  
وامسح دموعك عن أسيرة (حافظ)  
وتساق أقداح المسرة معهما  
واذكر على الارض الشقية رفقة  
في عالم ما زال في غلوائه  
أشرق بوجهك في غياهب ليله  
وأضئ على شط الحياة منارة  
ونم الغداة وحسب روجك أن ترى

ويروض منها النافر المراح  
يجلّى كما تجلى الشمس صباحا  
فاهتز ريحاناً ورفاً أقاحا  
غرراً كآيات الكتاب وضاحا  
حتى مددني الى النسيم الرّا  
والمستخف عبيرها الفواحا  
كانت به الجنات قبل شبحا  
شدوا، وعلمه الشواح فناحا  
أفضى بأسرار القلوب وبأحا  
وهدى له الإبداع والإسجحا  
شاد يهز بسحره الأرواحا

تلقى الأعبة فيه والنزاحا  
عين النعيم فؤادك الملتاحا  
كنفئك واطرح عبئك القداحا  
يهدي إليك بيابها المفتاحا  
وضحان من فجر النبوة لاحا  
حالك القريض خيوطها أمداحا  
الله كان لمسكها النفاحا  
كانت لمن دموعك الشرّاحا  
عنا وحي جبينه الوضاحا  
فلقد لقيت بقرية الأفراحا  
فلكم ملأت بدمعك الأقداحا  
باتوا عليك يُقبلون الرّا  
ومنى على رث الحطام تلاحي  
يخلع دجاء اذا جبينك لاحا  
وأطلع بكل دجية مصباحا  
من نور مجديك هذه الأوضاحا



# حول حافظ وشوقي

وأثرهما في احياء الشعر العربي

د- ماعيل مظهر

عاش حافظ وشوقي في عصر انتقال كثير فيه الكلام في الجديد والقديم ، وانتحي فيه النقد الادبي مناحي جديدة ، واتخذ معايير حديثة غير تلك التي عكف عليها ادباؤنا ، وسلك طرقاً مشعبة كانت نتاجاً للتوسع في المعرفة ولتأثير الاساليب العالمية الحديثة في النقد الادبي . وعلى كثير ما تكلمنا في القديم والحديث ، وفي النقد ، لم نستطع حتى اليوم ان نحدد العلاقة بينهما او ان نميز بين ما نلعي بالحديث والقديم ، ولم نتمكن ، بعد من ان نضع لاصطلاح التجديد حدوداً محدّدة ومقاييس معينة نهتدي بها في ادبنا الجديد على ما يقولون . وأنت تقرأ في الادب القديم شعراً لم يشق له المجددون غباراً حتى اليوم ، كما تقرأ في الشعر الحديث قطعاً وقصائد يعاف القديم والحديث معاً ان تنسب الى الشعر ، بل هي بترائيل المعابد اشبه منها بالشعر الذي يقتحم بنا ابواب الحياة كما يقول هيكمل . لهذا ارجع الى اختيار قطعة من الشعر القديم في الوصف نتخذها اساساً للبحث الذي زيد ان نمضي فيه علماً نخلص من ذلك الى نتيجة يحسن الركون اليها في تحديد معايير النقد وفي التفريق بين معقولي الحديث والقديم . وهي قطعة في وصف فيل قالها ابو الحسن الجوهري واليك هي ، ثم احكم أهي الى الحديث اقرب ام الى القديم : —

فيل كرضوى حين يلهـ	بس من رفاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملئت	اكفانها برقاً ورعدا
رأس كقطة شاهق	كسيت من الخيلاء جلدا
فتراه من فرط الدلا	ل مصعراً للناس خددا
يزهى بخراطوم كنهـ	ل الصولجان يرد ردا
يسطو بساريتي لـ	ين يحيطان الصخر هددا
اذناه مروحتان اسـ	سندتا الى القودين عقدا
عيناه غارتان ضيـ	قتا لجمع الضوء عمدا



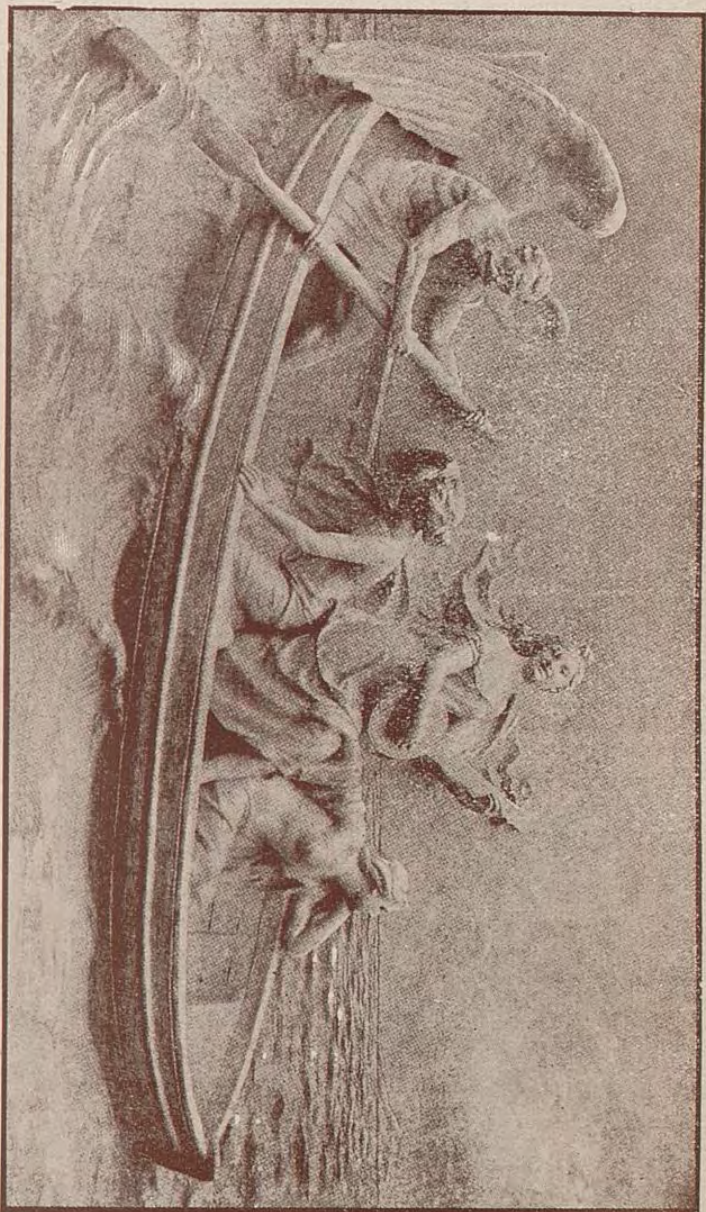
فك كفوّه الخلد  
تلقاه من بُعد فتحه  
متناً كبنيات الخو  
رنباً كمثل السوط يض  
يخطو على مثل أحمد  
او مثل اميال نضد  
متملكاً فكأنه  
متلفعاً بالكبرياء  
اذكى من الانسان

بيج يلوك طول الدهر حقدا  
سبه غماماً قد تبدى  
رنق مائلاً في الدهر كدأ  
رب حوله ساقاً وزندا  
ة الخباء اذا تصدى  
ن من الصخور الصم نضدا  
متطلباً ما لا يؤدى  
كأنه ملك مفدى  
تى لو رأى خلا لسا

فقد تحيّل بعض الادباء وان شئت فقل جلهم ، وكان تخيلهم خطأ ، ان كل قديم وكل ما ينسج على منوال القديم لا يمت الى نهضة الأدب الجديدة بسبب ولا يتصل معها بفكرة او اسلوب ، وان كل ما يخرج الأدب الحديث من الآثار لا يكون جديداً « ناهضاً » إلا اذا تنكب طريق الأدب القديم وخالف اساليبه . وهذا في الواقع هو المحور الذي دار من حوله النقد في تصور القديم والحديث والحقيقة أن بين كل قديم وكل حديث اسباباً لا تقطع وعرى لا تفصم او تفصم عروة الأدب في مجموعه . وأنت ان اردت ان تقف على السبب الذي يرجع اليه ما يخرج الادب الجديد من آثار تبلغ نهاية السخف حيناً وغاية ما يصل اليه التفريط في توخي الأساليب المنتقاة حيناً آخر ، فلا تذهب بعيداً واعرف ان السبب ينحصر في أنك لم تدرس القديم دراسة وافية ولم تستوعب اساليبه العليا ، ولم تقف على نواحيه الكثيرة وطرائقه ومعايره اللغوية والأسلوبية . وكذلك اذا اردت ان تعرف السبب في اننا لا نستسيغ القديم بكميته فاعرف ان سبب ذلك هو اختلاف الاوضاع الاجتماعية وتشعب نواحي المعرفة والمخترعات والمكتشفات وتباين الذوق وتراحي حدود التصور الى آفاق لم يبلغها القدماء . على ان الخطأ يأتي من ناحية واحدة هي اننا لا نتخذ من مجموع هذه الحالات مقياساً يقف عنده حكمنا على القديم والحديث . أما اذا حاولت ان تنكر هذه الحقائق فهذه قطعة قديمة نريد ان يبين لنا اديب ما فيها من ريحة القديم الذي يعافه الحديث . فاذا استطاع فنحن اول المؤمنين بأننا فيما نذهب اليه على خطأ واننا بعيدون عن الصواب

اما ما نريد ان نستطرد اليه ، ونتخذ فيه هذه القطعة شاهداً ، فتحديد أمرين احدهما فلسفي والاخر ادبي ، لهما اقوى الاواصر باعتبارات تقوم اليوم في الادب العصري . اما الاعتبار الاول فذو علاقة بمعايير النقد الادبي . فان اكثر الناقدين يتوخون النظر الى الكمال في نقد المؤلفات والآثار الادبية التي يتناولونها . وهم اذ يعجزون عن ان يجدوا لفكرة الكمال





### رحلة الزمان

يمثل الزمان شيخ مجنح ممسك بمسك بجذاف القارب — ثم امرأة تنظر الأمام فهي تمثل الرجاء (المستقبل) ثم أخرى تضرب على آلة موسيقية تمثل الطرب (الحاضر) وثالثة مسندة رأسها بذراعها تستعيد الذكريات فهي تمثل الذاكرة (الماضي)  
 امام صفحة ٥٥١

مقتطف ديسمبر ١٩٣٢



معياراً صحيحاً ، ينظرون دائماً الى المثل العليا في الشعر او النثر و يقيسون عليها الآثار التي ينتقدونها ، فيذهبون في الغلو او القسوة في النقد ابعد مذهب . على ان اتخاذ المثل العليا في المنتجات الادبية معياراً للنقد ، ان كان ضرورة عقلية تقسرننا عليها اذواقنا وتحملنا عليها مطالعنا ، الا ان الناقدين يجب ان لا يذهبوا في تقديم الى الحد الاقصى من القياس على المثل العليا ، بل يجب أن يتخذوا معياراً أكثر من هذا تسامحاً واقرب الى التجاوز ، ليتمكن ان ينتج النقد نتائجاً وأن يصفوا من كثير مما يذنبه من مظاهر التحامل والمفاضلة التي كثيراً ما يلجأ النقاد اليها عجزاً وجرياً وراء اساليب النقد القديمة . اما ذلك المعيار فينحصر في أن يكون النقد مقصوداً على قياس النسبة بين الآثار المنقودة وبين المثل العليا . فاذا توخى النقاد ذلك استقام النقد وخلص من كثير من المغالاة التي تلبس النقد في العصر الحاضر . وهذا يذكرني بفكرة بها الاديب « مكس نورداو » في احد مؤلفاته اذ قضى بأن ادراك الحقائق نسبي ، وان هذه القاعدة عامة تنصرف على كل ضروب المعرفة الانسانية من علم وأدب وفن . ومثل على ذلك بعدد من المكفوفين اخذوا يصفون فيلاً ، فادرك كل منهم من القيل بقدر ما احس من الجزء الذي وضع يده عليه . فالذي امسك برأسه قال انه « كقطة شاهق » والذي قبض على خرطومه قال انه « كمثل الصولجان » والذي لمس اذنه قال انه « كمروحة اسندت الى الفودين عقدا » ومن وضع يده في فمه قال انه « كفوهة الخليج » ومن امسك بذنبه قال انه « كمثل السوط يضرب حوله ساقاً وزنداً » ومن احس قوائمها قال انه « كاعمدة الخباء » . وهكذا فالكل مصيبون ولكن بقدر ما وقع تحت حسهم منه ، ولكن الحقيقة خفيت عليهم اجمعين . وهذا مثل النقاد في كل ضروب المعرفة الانسانية . فاذا راعينا ذلك خلصنا بالنقد الى الناحية التي تنقذنا من كثير من فوضى الادب في هذه الايام

اما الاعتبار الثاني فيتعلق بفكرة التجديد وتحديد العلاقة بين القديم والحديث والمعيار الذي يجب ان يقوم في دوائر الادب العليا ليكون اساساً لادراك العلاقة بينهما والتفريق بين هذين المعقولين . ولا يزيد ان نذهب في هذا الامر مذهباً غير مقرر ، بل نعود الى مبدأ قرره في المجلثا الاستاذ « جلبرت مري » G. Murray استاذ اللغة اليونانية في جامعة اكسفورد في كتابه « نشوء شعر الملاحم عند اليونان » The Rise of the Greek Epic ونكتفي بتلخيص ما ذهب اليه لعلنا بعد النقد نقبله كتصور يمكن ان يحدد العلاقة الادبية التي تقوم بين القديم والحديث : قال الاستاذ « مري » في ص ٢٣ - ٢٨ من طبعة اكسفورد سنة ١١١ ما ملخصه :  
يقرر الاستاذ « مري » أن اوربا وقعت تحت آصار الآداب القديمة حيناً من الدهر . وان الاساليب الاغريقية قد بلغت حوالى القرن الخامس قبل الميلاد ، كما ان الاساليب الرومانية قد بلغت خلال الفترة التي تقدمت ميلاد المسيح والفترة التي تلت ميلاده ، اقصى مبلغ من كمال الوضع



وانتقاء السياق وسيولة المعاني وسبك القوالب الكلامية في الشعر والنثر، وأن هذه الأساليب قد اتخذت مثلاً علياً حاول أن ينسج عليها الكتاب والشعراء، كما اتخذها النقاد أساساً يقيسون عليه أقدار الكتاب والشعراء فكان الدنو من هذه الأساليب أو البعد عنها، أصبح المعيار الاصيل للنقد الادبي ثم يقول إن اغريق العهد الاول ورومان العهد الثاني، قد استطاعوا ان يخرجوا من صور الادب ما لم يستطع اخلافهم خلال الف كاملة من السنين، وان ادباء عصر الانحطاط كانوا يشعرون بهذه الحقيقة شعوراً كاملاً. ويعتقد الاستاذ مري ان هذه الحقيقة فيما يختص بالادب بيئة لا تحتاج الى دليل، ولذلك ذهب يدلل عليها من فروع المعرفة الأخرى كالطب مثلاً الذي ظل حتى عصر النهضة الأوروبية واقفاً عند الحدود التي وصل إليها جالينوس وابقراط ومضى في تدليله على هذه الحقيقة حتى وصل الى التاريخ، فقضى بأن أي مؤرخ يحاول الآن ان يتخذ اسلوب ثوقديدس «Thucydides» اليوناني اماماً له في تدوين التاريخ او شرح حوادثه، وان كل قصصي يحاول ان يحذو حذو «اسخولس» انما يشعر وشيكاً بأنه عاجز عن مجازاة الأساليب القديمة، لأنها لدى الحقيقة ليست مثلاً تحتذي في الاسلوب الادبي، من حيث الجمال أو السداد. غير اننا إذا أردنا ان نفهم ما هو «الاسلوب» وأما بان الاسلوب هو «الشكل» الذي يعبر عنه بالقالب الكلامي، وان الشكل يتضمن «الروح» لان لكل اسلوب روحاً خاصة تستمد منه روح الكاتب، استطعنا بعد هذا ان نعرف الحقيقة وان نفقه تصور القديم فقهاً كاملاً. فان ما نعي بالقديم ينحصر في عدد من المؤلفات تضمنت من الحيوية ما جعل الناس يستسيغونها ويشعرون بنفع من قراءتها، في حين ان غيرها من الكتب التي عاصرتها قد عجزت عن ان تبعث في الناس نفس هذا الشعور، وفقدت كل قيمتها الادبية أو العلمية أو الفلسفية. ينبغي ان يكون في الكتاب الذي يحفظ قيمته الي سنة والانسانية على اختلاف شعوبها مقبلة على قراءته والانتفاع به ولا تزال تطلب منه المزيد، سر غير معروف ولا مدرك. والانسان بطبعه يميل إلى استجلاء هذا السر أو الوقوف على حقيقة الباعث الذي يحفظ لذلك المؤلف قيمته فيجعلها ثابتة على الزمان. وهذا في الواقع هو السبب الذي يحملنا على ان ندرس القديم في الادب والفلسفة والفنون. اما السبب في بقاء هذه المؤلفات على الدهر، فيرجع إلى ان الشكل أو القالب، ثم الروح التي يحملها الاسلوب، تعيشان اكثر مما تعيش المادة. ومحصل هذا ان هنالك صفات تجعل الآثار الادبية تعيش ولا تموت. والذي يعيش ندعوه نحن قديماً (كلاسيك) هذا ملخص رأي ذلك الاديب الكبير. والخطأ الذي تقع فيه انما ينحصر في اننا لم نميز بين القديم الخالد والقديم الفاني. ولم نفرق بين القديم ذا الروح والقديم الميت. بل أطلقنا القديم اطلاقاً تناول كل ما وصل اليه عن القدماء، وحاولنا ان نفلسف بأساليبنا منه جميعاً من غير تمييز بين مراتب القديم ومن غير ان نكون تصوراً يحدد اصطلاح القديم تحديداً يهدينا



السبيل السوي في الانتاج أو النقد. والحقيقة أننا يجب أن نعتقد أن القديم روح تبعث في الجديد حياة تكمن في تضاعفه، إنما يسبغ عليها أسلوب الجديد ثوباً جديداً فيظهر هذا ويختفي تلك. فإذا أضفنا إلى هذا ما ذهبنا إليه من قبل أن للادب حياة تنظم الطبيعة حلقاتها في سلسلة متواصلة على مرّ العصور، لم نجد بداً من أن نقول بأن القديم والحديث اصطلاحان يرطان بين طرفي حقيقة واحدة، وأن حاجة الادب اليهما ضرورة لا يستطيع أن يتخلى عنها طرفا الادب، ونعني بهم دعاة القديم ودعاة الجديد

\*\*\*

تعاصر حافظ وشوقي في هذا العصر، الذي لا يخرج عن أنه عصر انتقال وتطور. عصر لم تتميز فيه المعقولات الادبية، ولم تحدد فيه التصورات ولا الاصطلاحات، ولم يتخذ فيه النقد معايير قيمة يصح السكون إليها في تقدير الآثار الادبية أو الشخصيات. لهذا نجد أن من افدح الظلم أن نمضي في نقدها من غير أن نقدر الاحوال التي احاطت بهما وجعلتهما يتراوحيان بين كفتي ميزان تشيلان أو ترجحان على مقتضى ظروف لم تمكنهما يوماً من أن يكونا فيها حكيمين أو بالاحرى زعيمين يتحملان مسؤولية الزعامة بما يترتب عليها أو ينتج عنها من الآثار. ولقد ظلم حافظ، كما ظلم شوقي، حينين، ولسوف يظلمان ميتين، بما خلغنا عليهما من القاب، لو علمنا الحقيقة أو علمنا ما سوف يترتب عليها لنبذاهما ولرضيا أن يعيشا غير متوجحين بها. وما قولنا شاعر النيل في احدهما، وأمير الشعراء في الثاني، إلا مجرد تفریط في البذل وافرط في الغلو، سوف يحمّلانها ما لا يجب أن يحملا من مسؤوليات النقد الذي لم يخلص شيء في هذا الوجود من سلطانه الثابت. وأول ما يخطر على ذهننا ازاء ذلك سؤال طبيعي. فإذا كان شاعر النيل وأمير الشعراء، قد عاشا في طور انتقال وتطور، فاي أثر تركا في حركة الانتقال وأي غذاء ذهني أو مذهبي غدياً به حركة التطور؟

لقد كانا في الوطنية كلا على السياسيين أو الوطنيين. كان شاعر النيل كلاً على مصطفى كامل وكان أمير الشعراء كلاً على الخديو. وتراوح كل منهما بين الكفتين على غير أساس من الفكرة أو الايمان أو قيادة ناحية بعينها من نواحي السياسة أو الوطنية بثها في شعره. بل أن كلٍّ ما اخرجنا في السياسة من الآثار لم يتعد أن يكون نواحاً على الماضي أو بكاءً على الحاضر أو مثلاً يضرب للعظة. اما ان يكون لهما أثر في تكوين الفكرة السياسية أو زعامة ناحية منها، فتلك دعوى لا نظن أن نافداً يستطيع أن يدعيها لاحدهما أو أن احدهما كان يستطيع أن يدعيها لنفسه في العشرين السنة الاخيرة كان شوقي وحافظ في أوجهما الاعلى. وفي العشرين السنة الاخيرة شهدت مصر أول بوادر الاتصال بحرية الفكر في العلم والفلسفة. فيها خرجت الصحافة على تقاليدھا القديمة وخرج المفكرون على الاساليب التي ورثوها عن القدماء. فيها ترجمت كتب عامية كان مجرد ذكر اسمها أو اسم مؤلفيها تجديفاً وكفراً، وفيها هوجمت التقاليد العتيقة



بعنفٍ وشدة في بعض النواحي ، فلم يتحرك الشاعران ، وكأنهما في غور من كهف الزمان ، بل لم يحرك حافظ إلا اسم ارسطوطاليس عند ما نشر الاستاذ لطفي بك السيد ترجمة كتابه الاخلاق ، وارسطوطاليس كما نعلم جميعاً كان سنادة الكنائس والشيخ في نصرانية العصور الوسطى ، وسنادة اصحاب المذاهب في صدر الاسلام ، وعلى تتالي عصور عديدة . بل لانذهب بعيداً اذا قلنا ان حافظاً لم يحركه ارسطوطاليس ولا كتابه في الاخلاق ، بل حركته علاقة الصداقة والود ورابطة الحزبية مع مترجم الكتاب . وان هذا لا دخل في التدليل على ان شاعر النيل وأمير الشعراء ، كلاهما كان بعيداً عن ان يمدح حركة التحرير الفكري ببیت واحد من الشعر ، وكذلك موقف شوقي ازاء ارسطوطاليس وترجمته لا يختلف كثيراً عن موقف حافظ وكانت امامهما الطبيعة عطرة فياحة ، عبقة وضاحة . كان امامهما الانسان بما فيه من اسرار ومخايل وحقائق ، فلا نظرا في الطبيعة ولا شديداً بالانسان ، فكأنهما قد انكرا في شعرهما الحياة ، حياة الطبيعة ، وحياة ابنها الثائر . وكانت امامهما مشكلات مصر الاجتماعية التي تطورت بتطور الفكر والاتصال بالمدينة الغربية الحديثة . كانت امامهما مشكلة المرأة وحرية التعليم ونظام الطبقات وعلى رأسها جميعاً مشكلة الفلاح الاجتماعي . أكل التطفل الاجتماعي في مصر عظم الفلاح ولحمه ومصر دمه الزكي ، وحطت عليه الامراض بأنواعها وانتابته النوائب والكوارث وناء عليه الفقر وعملت فيه الخصاصة ، ولا يزال حتى اليوم يعاني من آثار ذلك الخراب والدمار والجوع . كل هذا والشاعران في شغل بال الرثاء والنواح على الكثيرين ممن يحتملون اكبر مسؤولية فيما وصلت اليه حالة الفلاح من الانحطاط في هذا العصر

وكان امامهما بعد كل ذلك مختلف ابواب الحياة مادية وعقلية . فهل ارضيا الفن ام نصرا الدعوة الى العلم الصرف أم اخذا بيد الفلسفة ؟ ليس شيء من هذا بواقع في حياة شاعرنا العظيمين . وان دعوى تحاول نقض هذا لا تحتل النقد ساعة واحدة

اذن فاذا كان الاثر الذي تركاه في حياة مصر والشرق ؟ كانا الجسر الذي عبر عليه الادب من القدماء الى ابناء الزمان الحاضر ، احيا سنة الاسلاف وسارا بها الى الاخلاف في صورة لا تختلف كثيراً عن الصورة التي طبع بها اسلافنا الشعر ، ولا تقرب قيد املة من مثاليات العصر الحديثة ولقد كان فرقهما من التعرض للشؤون الاجتماعية التي لها صلة بالدين عظيماً حتى انك لن تقع في شعرهما على بادرة تدل على تعبير عن دعوة لاصلاح حال الزوجية والقضاء على تعدد الزوجات او زواج الاطفال او نظام الحالات الشخصية التي ظل يحتكم فيها شرع الأئمة حتى عصرنا هذا الا قليلاً . هذا في حين ان الشعر أداة قوية وفأس بآرة تقطع في اصول الاشياء حسنة وقييحة ، بقدر ما تقطع كل ادوات الادب الاخرى مجتمعة

هذا في النواحي الاجتماعية . فهل كان لهما أثر ثابت في تغيير أساليب الشعر ومناهجه القديمة



أو صبه في قوالب جديدة لم يألها القدماء ؟ وهل نهضا بالشعر خلاً وثاقه من معايير العتيقة ؟

\*\*\*

للشعر القديم اساليبه ومعايره ومثالياته . كما ان له حدوده التي لم يخرج عنها أو يكون قد افلت من ذلك الاطار الذي وضعه القدماء للشعر ليكون شعراً ذا قيمة ووزن قياساً على ما تكون في اذهانهم من تصورات هي بحكم الحالات الاجتماعية وضيق افق المعرفة وعدم تحيز اسلوب الفكر الحر ، غاية ما استطاع القدماء أن يكوّنوا من معايير الشعر وغيره من مختلف المعلومات والفنون . ولقد تكونت شاعرية حافظ وشوقي من الاكباب على نماذج القدماء ، فقد نهلا من اساليب شعراء العصر العباسي ومن اساليب شعراء الاندلس قدراً كبيراً صبغ شعرهما بصبغة قديمة تسمع فيها رنات شعرية نعث بها في دواوين شعراء الصدر الاول من الخضرمين ونخامة الالفاظ التي امتاز بها كثير منهم ، ممزوجة بكثير من رقة الاندلسيين ، حتى في الرثاء وهو يملأ نصف ديوان حافظ وثلث ديوان شوقي ، فانك تجدهما قد اكبّا على الاسلوب القديم وذكر صفات الميت والطعن في خصومه أو خصوم الشاعر ، وعلى الجملة تستطيع ان تقول انهما لم يفلتا من القيود التي قيد بها القدماء الشعر . اما كبر ميزة امتاز بها الشعر القديم فارتباطه بالارضيات ، سواء في الوصف ام في الخيال ، ولم يتعال قط الى المثل الالهية العليا ، التي امتاز بها كثير من الشعراء المحدثين في الشرق والغرب . ولقد عكف القدماء على الاكثار من ذكر الحسيات ، سواء في ذلك الشعر الذي ندعوه جاهلياً ، ام الشعر الذي ندعوه شعر ما بعد الاسلام ، فان اروع ما في معلقة امرئ القيس او الاعشى خلاعة شنيعة ، واكثر ما في شعر زهير حكيم كالتي تجري على ألسنة الوفود اذا مثلت امام الملوك صيغت شعراً ، وكلها ممسوسة بالحسيات والشهوات ، وعلى الجملة بكل ما هو ارضي دون ما هو سماوي . اذن نقضي بان شاعرينا قد عكفا على اساليب القدماء صياغة وموضوعاً ومكانتهما تنحصر في انهما احيا الشعر في عصر اتخذتهما فيه الطبيعة حلقتين من حلقاتها الحية لتعبر من فوقهما جسر الزمان وتسل من طريقهما بين الاسلاف والاخلاف . لم يحدثنا من انقلاب جديد لا في الاسلوب ولا في الفكر ، ولم يحاولا ان يدرسا الحالات القائمة من حولهما لا في الناحية الاجتماعية ولا في الناحية العلمية او الفلسفية . اما ما حاولا في هذه الناحية فلا يخرج عن انه خرج في شعرهما مكدوداً مهزولاً ، شأن من يرى الاشباح عن بعد كبير ، فحاول ان يصفها ويميز تفاصيلها ، ولكنه لا يصف الا اشباحاً تتخيل له في نهاية الافق العريض

\*\*\*

ذهبت من قبل في الشعر مذهباً مؤداه ان العرب عرفوا الشعر بانه الكلام الموزون المقفى اي الكلام الذي يجري على بحر من بحور الشعر الموضوعه ، وينتهي بقافية واحدة ، وعندهم



ان كل ما يجري هذا المجرى من الكلام شعر . والحقيقة ان هذا التعريف الذي ينصرف على اكثر ما قاله العرب من الكلام الموزون المقفى أبعد الاشياء عن تعريف الشعر . فقد يكون كلام موزون مقفى وبينه وبين الشعر بعد ما بين الموت والحياة من الفروق ، وقد يكون كلام منشور يمت الى الشعر بأقرب الاسباب . اذن فالوزن والقافية لا يكونان الشعر ، بل على الضد من ذلك يستعين الشعر بالوزن والقافية لتكون له تلك الانغام الموسيقية التي تميز الشعر عن بقية ضروب الكلام . واذن تكون الشعرية اصل اداتها الوزن والقافية ، على الضد مما ذهب اليه العرب من القول ، بأن الوزن والقافية اصل اداتهما الشعرية . واذا جارينا العرب على تعريفهم فقد وسعنا حدود الشعر ، ولكن قتلنا الشعرية . واذن وجب ان نضع تعريفاً للشعر هو عندي ما قال به الاستاذ « كرتيوب » استاذ الشعر في اكسفورد ومن كبار الادباء والمؤلفين ، وهو ان « الشعر عبارة عن الهمام يصدر عن شاعر موهوب . اما مصدر ذلك الهمام فأمر يعدو حدود البحث والانتقاد » . وانما تزيد الشعرية او تنقص بمقياس حده الاوسط مقدرة الناقد على تتبع مصدر الهمام في الشاعر ، فاذا استطاع النقد ان يصل الى عمق يعرف عنده مصدر الهمام ، فالشعرية ناقصة غير كاملة ، واذا عجز النقد عن ان يصل اليه ، فالشعرية قريبة من الكمال . وانت تنظر في ديوان من دواوين الشعر فيستوقفك بيت او ابيات انت تشعر بأن الشاعر نفسه لم يدر كيف صب معناه في ذلك القالب من الكلام واللغة ، وتشعر بأن المعنى والتصوير من صنع الهمام لا من قوة الصناعة . من صنع الطبع لا من التطبع . وانما تقاس شاعرية الشاعر بقدر ما في شعره من اثر هذا الهمام . وعلى هذا لا يبعد ان يكون الشعر عبارة عن تعبير عن الوجدانيات بالماديات من طريق الهمام . لا من طريق الصناعة ولا التكلف . ولا شك عندي في ان هذا المذهب ينقص من مجموع ما يعتبر شعراً في كل لغات العالم ، لاني اللغة العربية وحدها . ونحن لو اردنا ان نستخلص الشعر الحقيقي من دواوين الشعراء ، لقل الشعر قلّة لا تتصورها ، ولكن نكون قد فزنا بالشعر الذي يؤثر في النفوس ويقوي مشاعرهما ويحفز عزيمتها ويهديها ويذكها ويخلق فيها الاخيلة الجديدة ويحرك القلوب ، ونكون قد خرجنا من الشعر بأثرة التهذيبي ونكون قد فصلنا بين الشعر الوجداني الصحيح والنظم ، وفرقنا بين معقولين من معقولات الادب ، لكل منهما مركزه وخطره من مستحداثات العقل الانساني . ولن تقع في العالم كله على ديوان يزيد فيه الشعر الصحيح على الشعر المنظوم اي يزيد فيه الهمام على الصناعة . وشاعرانا لا يعدوان هذه القاعدة . ولكن قد يتفاضلان في شيء واحد . فان ما في شعر شوقي من الوجدانيات يرجع ما في شعر حافظ وما في شعر حافظ من جزالة لفظ وقوة سبك يزيد ولا شبهة على ما في شعر شوقي

وانت لا تنكر ان الوجدان اكثر ما ينطلق مع الرثاء . واكثر ما يأتي به شاعرانا ،

وتحجر  
محبوس في  
في فوزي

قابل  
خيال المرثي  
الاولى الحظ  
فقيه دلالة  
الارض، ور  
في الا  
وأهته والمو

تستطيع  
كل يوم ول  
(١) نش



لا ينطلق من الوجدان وإنما ينطلق من الأرض السابعة . فرثية شوقي الأولى في مصطفى كامل هي بذاتها قصيدته التي سماها شهيد الحق ، مع اعتبار فوارق الزمان والظروف . واليك تنقأ منها إلام الخلف بينكمو إلأما وهذي الضجة الكبرى علاما ؟ وفيم يكيد بعضكم لبعض وتبدون العداوة والخصاما واين الفوز ؟ لا مصر استقرت على حال ، ولا السودان داما ؟ واين ذهبتمو بالحق لما ركبتم في قضيته الظلاما لقد صارت لكم حكما وغنا وكان شعارها الموت الزؤاما الى ان يقول : شهيد الحق قم تره يتيما بارض ضيعت فيها اليتامى اقام على السفاه بها غربيا ومرر على القلوب فما اقاما سقمت فلم تبت نفسي بخير كان مبهجة الوطن السقاما ولم ار مثل نعشك اذ تهادى فغطى الأرض وانتظم الاناما

وتجري القصيدة كلها هذا الجرى . وعندي ان هذا الرثاء نظم لا يخرج عن انه كلام محبوس في قواف وأوزان . وإذا أردت ان ندلك على هذا فاقرأ مرثية شاعرنا علي محمود طه في فوزي المعلوف لترى الفارق بين شعر الصناعة وشعر الوجدان :

رقت عليه مورات الغصون وحفّة العشب بنواره  
ذلك قبر لم يشده المنون بل شاده الشعر بأثاره  
بناه من لبنات الفنون وزانه المجد باحجاره  
التي به الشاعر عب الشجون واودع القلب باسراره (١)

قابل الآن بين الأرض السابعة التي تخرج منها مرثية شوقي والسماء السابعة التي يهبط منها خيال المرثية الثانية . ان في الأولى نظما وصناعة ، اما في الثانية ففيها الوجدان والقلب . في الأولى الحضيض وفي الثانية العلاء . وان كان في هذا دليل على صحة ما نذهب اليه من معايير الشعر ونقده ، ففيه دلالة اخرى على ان الشعر العربي قد ولد ميلاداً جديداً . اخذ يخاطب السماء بعد ان كان يخاطب الأرض ، ورفع رأسه إلى قمة العلاء ، بعد ان كان مطأطأ الرأس الى الحضيض ، ولا يكاد يرى ما تحت قدميه في الأولى يخاطب شوقي الجماهير والسياسيين والملوك . وفي الثانية يخاطب الشاعر الشعر وأهله والموت وسلطانة والفن وعظمته وشجون القلب وجارف الدمع وسياله :

« ودهر على العالم دارت رحاه فلم تدع رسماً لاطلاله »

تستطيع أن تصيغ كل ما في القصيدة الأولى نثراً فلا يخرج عن كلام الجرائد الذي تقرأه كل يوم ولا تشعر بانك تجهد نفسك في الصياغة ولا في اخراج المعنى . اما اذا حاولت ذلك



في المراتبة الثانية ، فانت مكدود الوجدان تأثر النفس ، تختلف على روحك الآثار وتلابسك حالات لست تدريها . وهذا هو الشعر ، وما دونه النظم والصناعة تتكوّن صناعة النظم من عناصر يمكنك ان تحصيلها ، وفي مقدورك ان تحددها . تتكوّن من الاوزان والقوافي والموسيقى واللفظ والمعنى وروح الشعر . اما « الشعر » فمِمّ يتكوّن ؟ انما يتخذ الشعر هذه العناصر أدوات يستعين بها على أن يبرز مصوغاً في قوالب هي الصناعة الشعرية اما الشعر فليس من هذه القوالب في شيء . أنه « جوهر » عرضة الصناعة ، وأنت اينما بحثت عن الجوهر لتدركه بجواسك فانك عاجز ما لم تستعن بوجدانك وروحك ، لا بحسك وحده . فاذا وقعت على الشعر الصحيح رأيت أنه ليس الوزن ولا القافية ولا اللفظ ولا المعنى ولا الموسيقى ، انما هو شيء غير هذه جميعاً . مثلك لو أخذت قطعة من المادة بين يديك وحاولت على قول القدماء ان تميز فيها بين الجوهر والاعراض . فليس الجوهر هو الثقل ولا اللون ولا الطول ولا العرض ولا الصورة ولا أي شيء مما يجري مجرى الاعراض المحمولة في الجواهر . اما الجوهر فابن هو ؟ هو موجود ادراكاً ، لان الاعراض محمولة فيه . اما وجوده حساً ، فذلك ما ليس في مستطاعنا ان نصل اليه . اما اذا ادركت هذا ، فانت مفرق اذن بين « الشعر » ، وبين صناعة النظم .

\*\*\*

طوى الشعر العربي صفحته مرتين ، ونشرها مرتين خلال تاريخ اللغة العربية . بظهور الاسلام طوى الشعر العربي صفحته الجاهلية ونشر صفحته الاسلامية الاولى ، ثم طوى صفحته هذه بسقوط الدولة العربية عن عرش الخلافة وظلت مطوية حتى هذا العصر الذي قدر لحافظ وشوقي ان يكونا الرائدان الذين يفتحانها مرة أخرى . على ان هذا الحكم يظهر جأراً اذا لم نبين عما نقصد من ان حافظاً وشوقي كانا راّدي الشعر الذي يفتحان صفحته بعد ان طويت هذه القرون الطوال بعد ان سقطت الاندلس وخرجت من يد العرب ، طغى على الشعر العربي روحاً متناقضاً احداها دنيوية وأخرى أخروية . طغت على فئة من الشعراء روح الاستجداء بالشعر يتخذونه وسيلة لقضاء الحاجات الدنيوية ، وعكف اهل الاسلام على الفقه وعلى العلوم الاسلامية يتخذونها سلوى عن خروج الحكم من ايديهم وسقوط دولتهم . وشملت فئة أخرى روح التصوف فكان منهم شعراء غلب عليهم التصوف وروح التفقه في الدين من طريق غيبي ، فكانوا يتخذون الشعر طريقاً الى بث روحهم والى الغاز الشعر ليتوجهوا به الى الطريق الاعلى ، ولكن في قوالب دنيوية ، ومثلهم ابن الفارض ، لاني لا اذكر من اهل الباطن وغالبهم عالج الشعر ، ليكون وسيلة لتأدية رسالته من فاقه من حيث الدنو من روح الشعر بقدر ما قرب اترابه من روح التفقه . اضف الى هذا اثر العجمة الذي اذاعه الخارجون عن السليقة العربية في ابواب الادب العربي ، وزد الى هذا وذاك اغراض السياسة عليها اللعنة ، فان السياسة خلال كل العصور ما



أبرزت من أثر ثابت اللهم إلا إفساد ما أنبت روح المجتمع من الامجاد، وما اشادت روح المجتمع الانساني من شيء إلا وكان طعنة لمفاسد السياسة. واذكر بجانب كل هذا نظام القطاعات الذي وقعت تحت عبئه أكثر ممالك الاسلام، بما فيه من روح الاستبداد والاستعباد واحتكام الجهل ذي القوة، بالعلم ذي الضعف والاستكانة، وطلب العالم والاديب والفيلسوف رزقه من افراد جهلاء وان كانوا امراء، ومن جماعات اشد من هؤلاء جهلاء، و تلك المصيبة انست ما تقدمها وما لها مع طول الدهر نسيان

ولقد ارخى ذلك الليل البهيم سدوله على جوانب العالم العربي من العراق الى مراکش ومن شمال سورية الى مصر، وعصفت بالعروبة الروح المغولية فاتت على كل ما فيه من صور الادب، ولم تترك فيه قائماً ولا صعيداً، ولم يفلت من أثر تخريبها إلا بضعة الآثار التي نجدها اليوم بين ايدينا من مخلفات العرب والمستعربين، تلك المخلفات التي نجت من ذلك السد العظيم الذي اقامه هولاء كو على نهر دجلة بمجلدات المكتبة العربية في بغداد. واتى زمان استعجم فيه أهل البربر وسوريا كرهاً في الروح المغولية، وانت اليوم تشعر في كثير من مجامع سوريا انك في قطعة من فرنسا، وانك في جزائر واق الواق اذا هبطت تونس والجزائر او مراکش، وكنت تشعر وانت في مصر انك في حلقة اذكار عاشت فيها كل التقاليد الدخيلة على الاسلام والعروبة، ولم يبق من اسس المجد الذي اقامته الدولات العربية إلا كتاب الدواوين محبوسين في اقفاص من استبداد الامراء وارادتهم، مكرهين على ان يعيشوا بعيدين عن التأثير في اهل زمانهم، او ان يحيا من الادب العربي ما دارت عليه رحي المغول في كل انحاء العالم العربي فتركته خرائب واطلالاً

وعجز القدر عن ان يضيف إلى تلك السلسلة التي تصل دائماً بين ماضي الانسانية وحاضرها حلقات جديدة من ابناء آدم وحواء قروناً، استطاع بعدها ان يضيف اليها حلقتين هما حافظ وشوقي، فوصل بهما بين ماضي الادب العربي وحاضره، واحيا بهما روح العروبة الصحيحة بعد ان عدت تلك العاديات عليها. وفي هذا يتكوّن كل ما يمكن ان نعزو اليهما من عظمة خالدة اما الموازنة بينهما فلا نستطيع ان نقول فيها إلا ان كلا منهما يمتاز بناحية خاصة، وان لشوقي المنزلة الاولى على كل حال. ولو اننا أردنا ان نستطرد إلى نقد شعرها اذن لضائق المقتطف عن ان تسع ما نكتب، وانا لنبقى على ذلك لفرص أخرى عسى ان تتاح لنا

ولقد اختتم الشعر العربي بموت الشاعرين العظميين عهداً وفتح عهداً، ولا اغالي اذا قلت ان الشعر العربي سوف يفوق فيه كل الصور التي تتالت عليه منذ فجر التاريخ الى اليوم. سيغزو الشعر العربي نواحي الطبيعة وابواب الحياة، ويؤثر في المجتمع ذلك التأثير الثابت الذي لن يحدته إلا الشعر، غير مشوب بأرجاس الذات والتهالك على الارضيات



# حافظ واللغة العربية

للشيخ عبد القادر المغربي (١)

الفجعة في حافظ هي خيبة اللغة العربية فيه ولم ينشأ المجمع العلمي إلا لخدمة هذه اللغة. والحرص على ارضائها : فاذا بكت اللغة بكى المجمع . واذا صاحت اللغة : واثكله واوحيداه صاح المجمع صياحها : واثكله واوحيداه ! وهذه لغة الضاد في موت ( حافظ ) اقامت مأتماً عاماً شمل بلاد العرب كلها : من طنجة الى السلبيانية : تبكي في مأتماها هذا حافظاً وتندبه «لبنان» (٢) يبكيه وتبكي الضاد من حلب الى الفيحاء الى صنعاء « وان اجتماعنا هذا صورة مصغرة للمأتم الكبير الذي اقامته اللغة لتأبين حافظ. وأقولنا في هذه الحفلة انما هي صدى نديها وعويلها :

« لقد (٣) رزئت أم اللغات وحيدها فان لم تكنه فالأب البرّ والجداً »

« مشت تلوّى خلف نعشك كلما دعا باسمها الداعي اجداً لها وجداً »

« فلما بلغت القبر خرّت لوجهها تضحّ وتشكو من تباريحها الجهدا »

حافظ ايها السادة هو الشاعر الشاعر . وهو فوق ذلك لغوي وأخباري

أما كونه شاعراً فأمر لا يحبله احد . ومن يحبل ان «حافظاً» كان اذا قال شعراً لا يلبث أن تتناقله الافواه . وتتلمظ بحلاوته الشماه ؟ . شعر حافظ يمتزج بالعاطفة فيولد فيها رقة الشعور . ويمتزج بالنفس فيولد فيها ذوق اللغة . ويمتزج باللسان فيغرس فيه ملكة الفصاحة مدارسة كتب الأدب . واستظهار الفصيح من نوارد اللغة ، لا يمتزج النفس واللسان ملكة الفصاحة بقدر ما يمنحها شعر ك شعر حافظ : نقي اللفظ منسجم الأسلوب مشرق الديباجة يعبر عن خوالج النفس الوطنية النائرة فيحفزها نحو مطامحها العظمى . وينير امامها الطريق الى مثلها الاعلى . شعر حافظ كالمصباح يمشي نوره بين ايدي ابناء امته . فيهديهم الطريق . لا بعيداً عنهم يمشي وحده . ويتركهم في ظلمات لا يبصرون . شعر مثل شعر «حافظ» يحكي لغتنا ويحقق قوميتنا ويثبت اقدامنا في اوطاننا . كان (حافظ) رحمه الله يقول الشعر لخدمة أمته . لا لخدمة شهرته . وإن فتى عربياً او فتاة عربية تحفظ من شعر حافظ قصيدة (غادة اليابان) او قصيدة « خرج الغواني محتججين وبت ارقب جمعنه »

فتستفيد منها ملكة في اللغة الفصحى . وحمية في حب الوطن . اكثر من مئة قصيدة غامضة المعنى .

(١) من محاضراته في حفلة تأبين حافظ في المجمع العلمي العربي بدمشق وقد نشرت في مجلته

(٢) من مرثية احمد شوقي في حافظ (٣) من مرثية احمد محرم في حافظ



اعجمية الأسلوب . ولولا اني اتكلم عن (حافظ) من ناحيته اللغوية لسردت لكم شواهد تؤيد ما ذكرت على ان احداً منكم قلما يحبل ذلك من امره . ومعظمكم يستظهر الكثير الطيب من شعره نحن معشر العرب اصبحنا منذ سنين نهاجم في عقائدنا وفي تقاليدنا وسائر اوضاع اجتماعنا ولم نخل لغتنا المحبوبة من هذه المهاجمة العنيفة ايضاً . لم نخل من تنسين هائل يوائها . ويحاول القضاء عليها . ذلك التنين هو فكرة مشؤومة ترمي الى احياء اللغة العامية وإماتة اللغة الفصحى . ها هي اللغة العربية في حدود سنة (١٩٠٠) اي منذ ثلاثين سنة تقف على ضفاف النيل . شاحبة اللون . مرتجفة الاعضاء والهة ذاهلة . تندب نفسها . وتشكو مصابها : « يا ويح أهلي أبلي تحت أعينهم على الفراش ولا يدرون ما دائي »

داؤها ايها السادة هو ما خامر نفوس ابنائها من زهدهم فيها . وانصرافهم عنها الى غيرها من اللغات الاجنبية . والى نصرة الفكرة المشؤومة : فكرة احياء اللغة العامية تلك الفكرة الممثلة في أحد دهاة الانكليز (المستر ويلمور)

هبط (المستر ويلمور) مصر في ذلك الحين . وقام بدعاية واسعة النطاق للغة العامية المصرية . وخطب في الموضوع وكتب . وهاور وناظر . وألف كتاباً نشره على المصريين . يدعوهم الى فكرته . ويقنعهم بصحة رأيه . ومما يؤسف له أن يجد (ويلمور) أنصاراً له من الشعبين . شايعوه على رأيه . وأقاموا ضجة في القطر المصري اهتزت لها البلاد العربية قاطبة . وكادت تكون لويلمور ولا شياعه الغلبة لو لم تصدمهم نهضة حماة اللغة الفصحى . وفي طليعتهم فقيدنا بالامس (حافظ ابراهيم) فيرفع صوته في وسط تلك الضجة . منشداً قصيدته الخالدة على لسان اللغة الفصحى : تخاطب ابناءها وتسألهم اغاثتها . فتقول :

أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ  
ينادي بوأدي في ربيع حياتي  
ولو تزجرون الطير يوماً علمتمو  
بما تحته من فرقة وشتات  
ثم تلوم الصحف على خوضها في هذا الموضوع فتقول :

أرى كل يوم في الجرائد مزلقاً من القبر يدينني بغير أناة  
وأسمع للكُتَّاب في مصر ضجة فاعلم أن الصائحين نعاي  
ثم تحضهم على الاخذ بالحزم في دفع الضر عنها :

فيا ويحكم أبلي وتبلى محاسني ومنكم وإن عزَّ الدواء أَسَاتي  
فلا تكلوني للزمان فإني أخاف عليكم أن تحين وفاتي  
ثم ذكرتهم بمجدودهم أبطال الجزيرة الذين كانوا يغارون عليها :

سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً يعزُّ عليها أن تلين قناتي  
حفظن ودادي في البلى وحفظته لهنَّ بقلبي دائماً الحسرات  
وعانتهم على ملهم الى اللغة العامية المزوجة بالالفاظ الافرنجية



أيهجرني قومي عفا الله عنهمو الى لغة لم تتصل برواة  
سرت لوثة الإفرنج فيها كما سري لعاب الأفاعي في مسيل فرات  
جفأت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات  
وعادت اللغة الفصحى إلى وصف مزاياها والتساؤل لماذا عفا بنوها . وهي لم تقصر في  
خدمة دينهم وحضارتهم . فقالت :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن أي به وعظات  
فكيف أضيّق اليوم عن وصف آله وتنسيق اسماء المحترعات  
أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن فهل سألوا الغواص عن صدقاتي

ثم عيرت ابناءها بالغربيين الذين عزّوا ولما عزّت لغاتهم فقالت :  
أرى لرجال الغرب عزّاً ومنعة وكم عزّ اقوام بعزّ لغات  
أنوا أهلهم بالمعجزات تفنّناً فياليتكم تأتوب بالكلمات  
ثم ختمت شكواها بتقديم إنذار مخيف إلى الكتاب الحسني الظن بلغات الإفرنج وآداب الإفرنج فقالت :

إلى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائي بعد بسط شكاتي  
فإما حياة تبعث الميت في البلى وتنبئ في تلك الرموس رفاقي  
وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمرى لم يقس بمات

كانت هذه القصيدة من شعر (حافظ) من أمضى الاسلحة التي شهرت في وجه (المستر  
ويلمور) فأخفقت دعوته . وطويت رايته . ونكص على عقبيه إلى بلاده . وكأن أمير الشعراء (احمد  
شوقي بك) يشير إلى هذا الموقف المحمود الذي وقفه (حافظ) في وجه دعوة (ويلمور) فقال في رثائه له :

يا حافظ الفصحى وحارس مجدها وإمام من نجلت من البلغاء  
ما زلت تهتف بالفصيح وفضله حتى حميت أمانة القدماء

وكما حنق (حافظ) على (ويلمور) حنق أيضاً على المستر (بلانت) الانكليزي الذي اشتهر في الدفاع عن  
القضية المصرية ضدّ قومه الانكليز : فان هذا الرجل كان يرفع من شأن القصص العربية السخيفة العبارة  
ويقول عن قصة (بني هلال) انها نوع من القصص المسمى (إبيك) وانها إلبلاذة عربية صغيرة  
فما كان قوله هذا ليسرّ (حافظاً) بل كان يحسبه خدعة ودعوة إلى اللغة العامية

ثم إن فوز (حافظ) في هذه المعارك نشطه إلى متابعة العمل في نصره اللغة . فاستمرّ  
يحيي فصيحها . وينثر الدرّ من كلبها إلى آخر نسمة من حياته . بل كان في مجالسه . وبين طلاب  
الادب المطيفين به — كأثّه (استاذ سيّار) يصحح أغلاطهم . ويرشدّم الى الفصيح من  
القول . والصحيح من الاساليب . اما مقدرة حافظ اللغوية العملية فتتجلى لنا في الالفاظ الفصيحة  
التي كان يودعها قصائده ومصنفاته . وقد شهد له بهذه المقدرة (الشيخ ابراهيم اليازجي) :  
فقد كان يستعيد ذوق حافظ في اللغة . واختيار فصيح كلماتها . قال الشيخ عبد العزيز البشري



« إن (حافظاً) لا يرى جلال الشعر وبهاءه في التعلق بدقائق المعاني : لان هذه المعاني تقع للدهاء والعامية . وانما جلال الشعر وبهاؤه في اشراق الديباجة . ونصاعة القول »  
وقال خليل بك مطران : « لحافظ غرام باللفظ لا يقلُّ عن الغرام بالمعنى : وهو يؤثر البيت الذي جاد لفظه على البيت الذي جاد معناه . فاذا فاته الابتكار في تصور المعنى . لا يفوته الابتكار في تصويره باجزل الالفاظ . وأبلغ الاساليب » . إذن يمكننا القول بان (حافظاً) كان لغوياً من الوجهة العملية التطبيقية كما كان لغوياً من الوجهة العاطفية القومية  
وكثيرون من نقاد الادب المعاصرين حمدوا الله على أن كان أسلوب (حافظ) في شعره غير أسلوبه في نثره . فقد كان رحمه الله يتأنق في شعره مع مراعاة السهولة والسلاسة . اما في نثره فأمره على العكس . كان يتأنق فيه وينضب نفسه في انتقاء كلماته . لكنه لم يوفق الى جعله سهلاً سلساً . فلم يعد نثره مقبولاً الا لدى الخاصة وجهاً بذه الادب  
على أن بعضهم مهّد لحافظ طريق العذر : كالاستاذ لطفي جمعه فانه قال :  
« ان (حافظاً) على كلِّ قد احسن الى قراء العربية وكتّابها : وذلك لانه أنعش أسلوب الكتابة . وحفز الهمم للبحث عن الالفاظ الجزلة . وأثر في كتابة الصحف أثراً نافعاً »  
ثم إن عناية (حافظ) باستعمال غريب اللغة كان على اشده في ترجمة (البؤساء) فلم يُرض ذلك أنصار الادب الحديث . وإنما أرضى انصار الأدب القديم كالشيخ محمد عبده فانه رحمه الله كان يعجب بكتابة حافظ وما تضمنته من الالفاظ الجزلة وكان يقول : « ان كان بؤس حافظ هو الذي أدى إلى استخراج كتاب البؤساء فندعو الله ان يزيد بؤس حتى يزيدنا من هذا الادب الجميل » ولا غرو ان يرحب بجمعنا العلمي بنثر (حافظ) كما رحب به الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . لاننا معشر أعضاء المجمع أول ما يهمننا من الآثار الأدبية ان تكون لغتها صحيحة . وان تستوعب من روائع كلمات اللغة ما كاد يميتة الجهل . ويطمس عليه شيطان الشعبية واللغات كما تنمو باضافة كلمات أجنبية اليها تنمو بأحياء القديم الفصيح من كلماتها . وقد تفتن (حافظ) إلى هذا فأودع مصنفاته الكثير الطيب من تلك الكلمات . وان كتابه (الاقتصاد السياسي) الذي ألفه أو ترجمه (مع صديقه خليل بك مطران) ليشقف الطلاب على هذا العلم . ويقرر لهم قواعده لكنه أودعه من (الالفاظ الكتابية) ما جعله كتاب أدب ولغة . أكثر مما هو كتاب علم واقتصاد . وكذلك شأنه في كتابه (سطيح) الذي نقد فيه أحوال المصريين وأفرغ حوادثه في قالب قصة نسب روايتها الى من سماه (سطيحاً) . فالكتاب إذن رواية قصصية وكان ينبغي ان تستجمع شرائط القصة وليس من شرائطها أن تكون بهذه الاساليب الفخمة . وأن تحتوي هذا القدر من الالفاظ الجزلة وهذا كتابه (البؤساء) الذي نقل فيه الى العربية بؤساء (فيكتور هيغو) . وفيكتور هيغو جعل أبطال بؤسائه من طبقات مختلفة . وجعل كل بطل منهم يتكلم باللهجة التي اعتادها طبقته . فالسوقي العامي مثلاً لا يتكلم بلغة العالم الأديب . ولا العكس . وطريقة (هيغو) هذه مطابقة للمبدأ



الذي قرره أديب العرب الأكبر ( الجاحظ ) في كتابه الحيوان : من أن الواجب في نقل عبارات السوق والفاظ العامة أن تروى كما هي أي مغلوطة ملحونة والأذهب رونقها وضعف تأثيرها وشاعرنا ( حافظ ) رحمه الله كان كفءً بفصيح اللغة وجل ألفاظها يحمله على أن يترجم كلام السوق من أبطال البؤساء بعبارة نغمة الالفاظ لا ينطق بها عادة إلا الفصحاء فالبناء الذي يبني رصيف الشارع إذا أراد أن يتكلم هل ينطق بكلمات ( تيامن ثم تياسر ) و ( ركب المحجة ) و ( ما أخلقك يا فلان بكذا ) . هكذا ( حافظ ) ترجم لنا كلام البناء الافرنسي . ووصف لنا فرساً بأنه ( سحير . عصلب . أهنع . أدك . مفتوح اللبان ) و ( فلان لبث معلقاً بخيط من الاجل تحت شقي مقصّ الفناء ) ... الى غير ذلك مما حمله ولوعه به على استعماله في غير موطنه . مواطن هذه الكلمات كتب الادب و ( المقامات ) . لا القصص والروايات . حافظ بهذا الاعتبار خلق لغوياً كاتباً . بل كاتباً مقاماتياً قديماً . لا كاتباً روائياً حديثاً . اما هو في الشعر فعلى العكس : اذ كان لا يستعمل غريب اللغة بكثرة تدل على شرهه وحرصه . فن ثم لم يكن لغوياً في شعره . كما كان لغوياً في نثره . ولكن هذا الشره الى غريب اللغة في النثر إن كان ساء اقواماً فإنه لم يكن ليسوء مجتمعنا العلمي الذي يحرص على ان تحي اللغة العربية باحياء الفصيح من كلماتها . والقديم الرائع من تعابيرها . لذلك كانت خيعة المجامع اللغوية بحافظ من جهة لغته ونثره تعادل بل تفوق خيعة الامة العربية به من جهة نظمهِ وشعره

\*\*\*

وصفنا لكم ( حافظاً ) العضو في مجامع اللغة والادب أما ( حافظ ) العضو في مجالس الانس والطرب فاليكم طرفاً مما يتسع له المقام :

يظهر أن أهل ( حافظ ) تنبأوا يوم ولادته بأن سيكون مولودهم كثير الحفظ لخبار العرب وأشعارهم ومستملح نواذرهم فسمّوه ( حافظاً ) . روى اصدقاء ( حافظ ) انه كان يعمل على وضع مصنف في المرقص من شعر العرب : يختار فيه لكل شاعر بيتاً من اروع ابياته وقد جمع مواد ذلك الكتاب . حتى بلغ نصفه . فاختر لبعض الشعراء مثلاً قوله :

ولا بد لي من جهلة في وصاله فهل من كريم اودع الحلم عنده

واختار لغيره غيره وهكذا . وان اتسع ( حافظ ) في حفظ بليغ اشعار العرب على هذه الصورة اثر فيه ذوقاً في اللغة العربية . فكان انقى الشعراء المعاصرين عبارة . وأصحهم تركيباً . وأكثرهم تدقيقاً في اختيار الفصيح الرائع من الالفاظ . وليس هذا فقط بل إن حفظه لخبار العرب جعله نديماً ظريفاً : غير مملول المجلس . ولا مأجوم الحديث

وقد استحسن الدكتور ( زكي مبارك ) ان نطلق على ( حافظ ) ومن كان على شاكلة من حفّاظ اخبار العرب — كلمة ( محدث ) قال . وهو الذي يسميه الافرنسيون Causeur وانا

على ان

اتفق له مرة  
بكل دقة  
اسماعيل ثم  
هذا القصر

ولعمري

لحمي في غدو  
يروي غرائ  
الامام الشيخ  
رحم  
علينا مثلهم

(١) هذه



لا اوافق الدكتور على ما قال : لان لقب (المحدث) غلب في لغة الاسلام على راوي احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وان في آدابنا العربية كلمة اخرى احق بالقبول وأجدر وهي كلمة (أخباري) نسبة الى التبحر في الاخبار. والاتساع في الرواية

وقد كان (الجاحظ) اكبر (أخباري) قام في الاسلام. وبعده المسعودي والمحسن التنوخي صاحب نشوار المحاضرة وغيرهم كثيرون. وسمي (الجاحظ) هذا العلم (علم الخبر) وأثر عنه أنه قال (علم الخبر هو علم الملوك). وعلى هذا يمكننا ان نقول: ان حافظاً كان اكبر المعاصرين في (علم الملوك) عندنا. كما كان (اناتول فرانس) اكبر استاذ في هذا العلم عند الافرنسيين. وكان (حافظ) رحمه الله يعرف من نفسه التفوق في هذا العلم: استأذن يوماً على المغفور له (سعد زغلول) وكتب اليه هذين البيتين:

قل للرئيس جزاه الله صالحةً بأن شاعره بالباب ينتظر  
إن شاء حدثه أو شاء اتحفه بكل نادرة تُروى وتبتكر

وقد اتفقت كلمة من ترجم لحافظ كما اتفقت كلمة فضلاء دمشق الذين حضروا مجالسه في زيارته الاخيرة لبلدهم — أنه اربع اخباري واطرف نديم عرفوه في حياتهم. ولولا وقار (مأتم التأين) لروينا لحضراتكم شيئاً من ملحمة الادبية مما يدل على شدة ذكائه. وقوة حفظه

\*\*\*

على انني مهما اغفلت ذكر خبر من اخبار حفظه. لا احب ان يفوتني ذكر خبر مستغرب اتفق له مرة في نسيانه: ذلك ان (حافظاً) يحفظ اخبار الاولين والآخرين ويروي ما يحفظه بكل دقة وثبوت. ولكنه مع هذا ذهل مرة عن خبر (قصر الجزيرة) الذي كان للخطيب اسماعيل ثم اتخذ فندقاً لكبار السياح ثم صار قصراً لآل لطف الله — فروى لنا (حافظ) ان هذا القصر اصبح (بستان حيوان). وذلك قوله من قصيدة<sup>(١)</sup> وصف فيها ذلك القصر:

كنت بالامس جنة المحور يا قصير فأصبحت جنة الحيوان

ولعمري ان نسيان (حافظ) لخبر هذين القصرين اللذين هما على مرمى سهم من نظراته. وطالما لهما في غدواته وروحاته — أمرٌ مستغرب جداً روي في غرائب أخباره بعد مماته. كما كان رحمه الله يروي غرائب أخبار من كان قبله في حياته. وهذا النسيان من (حافظ) يشبه ما روي عن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده انه استأذن يوماً على بعض إخوانه. فسأله الحاجب عن اسمه. فأطرق يتذكر رحم الله (الشيخ عبده) ورحم (حافظاً). وهل ترون الزمان. أيها الاخوان. يخلف علينا مثلها في العلماء والشعراء؟ إن فعل نكن حقاً من السعداء

(١) هذه القصيدة منشورة في ديوان حافظ المطبوع سنة (١٩٠٧) ولم أجدها في ديوانه الذي طبع سنة (١٩٢٢)



## الشهب



الشهاب ما يرى في الليل كأنه كوكب انقضَّ من ناحية في السماء واختفى في ناحية أخرى . وقد اصطلاح الذين كتبوا في علم الفلك الحديث بالعربية<sup>(١)</sup> على ان النيزك شهاب كبير ينقض كالشهب ولكنه ينفجر ويسمع لانهجاره صوت شديد ثم يختفي . والرُّجُم شهب او نيازك تصل الى الارض كججارة معدنية مفردة رَجْمُ

ومنظر الشهب المنقضة من اروع المشاهد الطبيعية وأبقاها أثراً في النفس . قال الدكتور نمر في المقالة المشار اليها في الهامش: « فلن ننسى هول ليلة شهدناها ايام الصبوة وقد انقضت شهبها حتى غصت بها الآفاق وانبهرت بسناها الآفاق . وكان الرجال يهللون ويكبرون والنساء راخيات الشعور ينادين بالويل والاطفال تضج والمدينة في هرج ومرج كأن الأرض خربت وكواكب السماء تساقطت . والذي يعتري العامة الآن كان يعتري الناس من قديم الزمان ولذلك علقوا حدوث هذه الحوادث بأنباء لها وقع وشأن . روى مؤرخو العرب ان ليلة وفاة الخليفة ابراهيم بن محمد في شهر اكتوبر سنة ٩٠٢ للمسيح انقضت كواكب السماء حتى استنار بها الفضاء وخيل للناس ان عيون السماء تبكي على الخليفة نجوماً . وروى المؤرخون الفرنسيون ان شهب السماء انقضت انقضاضاً عظيماً في ٢٥ ابريل سنة ١٠٩٥ حتى كأنها منهمل المطر او متناثر البرد فتطير وابها وخافوا من انقلاب عظيم في النصرانية .... » ووصف السر روبرت بول Ball الفلكي الانكليزي وابل الشهب المنقضة في ١٣ و ١٤ نوفمبر سنة ١٨٦٦ قال ما ترجمته: كان الليل حالكا لغياب القمر والسماء صافية وامتازت الشهب المنقضة بكثرتها وشدة تألقها . ففي تلك الليلة المشهودة كنت اقوم بعمل العادي وهو رصد السدم بمنظار رُس العاكس . وكنت اعلم ان علماء الفلك تنبأوا بانقراض وابل من الشهب ولكنني لم اكن اتوقع ذلك المشهد الرائع الذي رأيت . وكانت الساعة نحو العاشرة اذ سمعت من احد مساعدي صوتاً حوّلني من المنظار الى قبة السماء فرأيت شهاباً منقضضاً تاركاً وراءه خطاً طويلاً من الضياء ثم تلاه آخر ثم جعلت الشهب تنقض جماعات فدل ذلك على ان تنبؤ العلماء قد صح او كاد . . . ولبثنا ساعتين او ثلاثاً نتمتع بمشهد لن يحصى من ذاكرتي . وزاد عدد الشهب المنقضة حتى اصبحنا لاندرى لكثرتها في أية ناحية راقبها فكانت تارة تنقض فوق رؤوسنا وطوراً الى اليسار او الى اليمين . ولكنها كانت كلها منبعثة من نقطة عند الافق . فلما تقدم

(١) الدكتور فارس نمر في مقالة عنوانها « الشهب والنيازك والرجم » في مقتطف مارس ١٨٨٤ صفحة



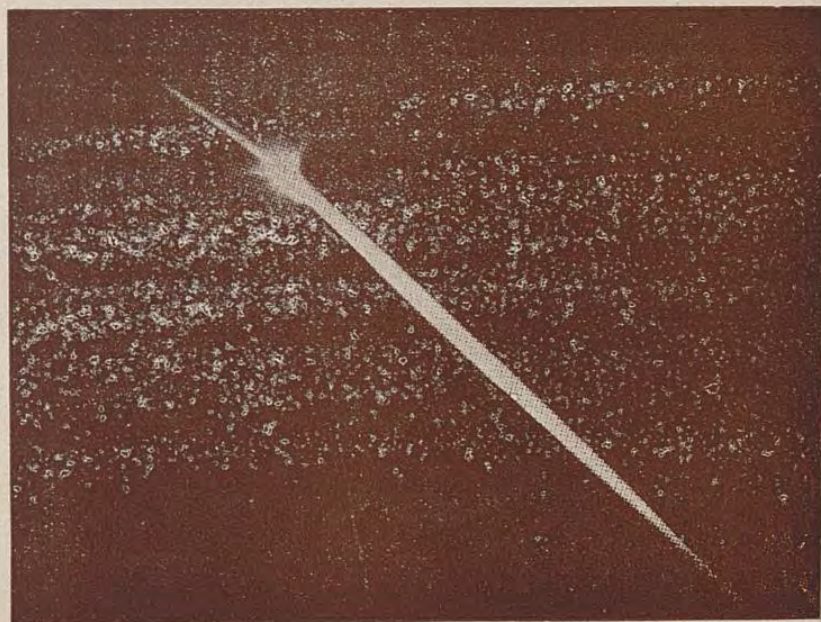
امام صفحة ٥٢٧

شهاب اجتاز لوحة التصوير في خمس دقائق



نيزك وهو الشهاب الذي ينفجر ويسمع لانفجاره دوي

مقتطف دسمبر ١٩٣٢





الليل وارتفعت كوكبة الاسد فوق الافق الشرقي ، ورأينا مساري الشهب صادرة منها »  
 ووصف احد الكتّاب وابل الشهب الذي شوهد في شمال اميركا الشمالية في ٩ فبراير سنة ١٩١٣ قال ما خلاصته : «ظهر بقعة في الشمال الغربي جسم ناري احمر واصفر ذهبي له ذنب فصار الهويناء في خطر افقي الى ان بلغ اقصى الجنوب وغاب عن الابصار . ولم يكده يغيب حتى ظهر مجموع من الاجسام النارية اقتفت اثره ، وسارت سيره كأنها سرب من المركبات النارية ، مؤلف من اجسام مجموعة مثنى وثلاث ورباع . ولكل منها ذيل يحرقه وراءه . ولما غاب ظهر مجموع ثالث . والغريب بطء سيرها <sup>(١)</sup> — لبعدها — وانتظامها مثنى وثلاث ورباع . ولما مر نصفها ظهر جسم كبير جداً . . . فلما غاب آخرها سُمِعَت خمسة اصوات او ستة كالرعد آتية من الشمال الغربي » . ويرى الدكتور فشر احد علماء مرصد هارفرد ان مشهد هذا الوابل اروع مشاهد الشهب التي وُصفت

﴿ حجمها ﴾ الشهب اجسام مادية مظلمة منثورة في رحاب الفضاء او تدور في افلاك معينة حول الشمس ، تلتقي بها الارض في مسيرها حول الشمس بسرعة ١٨ ميلاً ونصف ميل في الثانية . ومعظم هذه الاجسام دقيق الحجم لا يزيد عن الرمل الدقيق او رشاش البنادق او الحصى الصغير . فاذا دخلت جو الارض وهي سائرة بسرعة كسرعة الارض او تفوقها ، اصطدمت بالغلاف الهوائي ، فتخفّ سرعة ، وتحوّل طاقة حركتها الى طاقة حرارة — تتباين حرارة هذه الاجسام اذ تتألف من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ درجة سنتغراد — فلا تلبث ان تضي . فهي اذاً لا تضي الا بعد ان تدخل جو الارض على نحو سبعين ميلاً فوق سطحها وتحتفي في الغالب ، بعد ان تنفذ مادتها ، على خمسين ميلاً ، بعد مسير يبلغ طوله نحو ٣٥ ميلاً — لانها لا تنقُص في خطر عمودي — وقد قدّر الاستاذ شايلى مدير مرصد جامعة هارفرد ان نحو عشرة ملايين من هذه الاجسام تدخل جو الارض كل يوم ، ولكننا لا نرى منها الا طائفة قليلة ولو استعملنا المنظار ، لان بعضها ضئيل النور جداً . على ان بعض هذه الاجسام كبير الحجم لا يتلاشى في اثناء تألقه لدى مروره في الهواء فيصل الى سطح الارض ويصدمها صدمة عنيفة يحدث فيها غوراً كبيراً وهي الرُّجُم كما مر

ففي ولاية اريزونا غور يقال له غور الشيطان يبلغ قطره ٤٠٠٠ قدم وعمقه ٦٠٠ قدم وهو يشبه فوهة بركان ويقال انه نشأ من انقراض رجم ضخم في العصور السابقة للتاريخ ولا يعلم ما يقاربه في العصور الحديثة . وانما انقُص رجم في سيبيريا سنة ١٩٠٨ يقال انه أحدث ريحاً حارة في اثناء انقراضه ذوت لها الاشجار في البقعة المجاورة لمكان وقوعه . ولما كان ثلاثة ارباع سطح الارض مغموراً بالماء فالمرجح ان كثيراً من الرُّجُم يقع في البحار ويغوص الى اغوارها

(١) قدر الدكتور تشان سرعتها بستة اميال في الثانية اي ٢١٦٠٠ في الساعة وهي سرعة عظيمة اما بدت بطيئة للمراقب على سطح الارض اذا قيسَت بسرعة الشهب المادية لانها مرت في طبقات الجو العليا



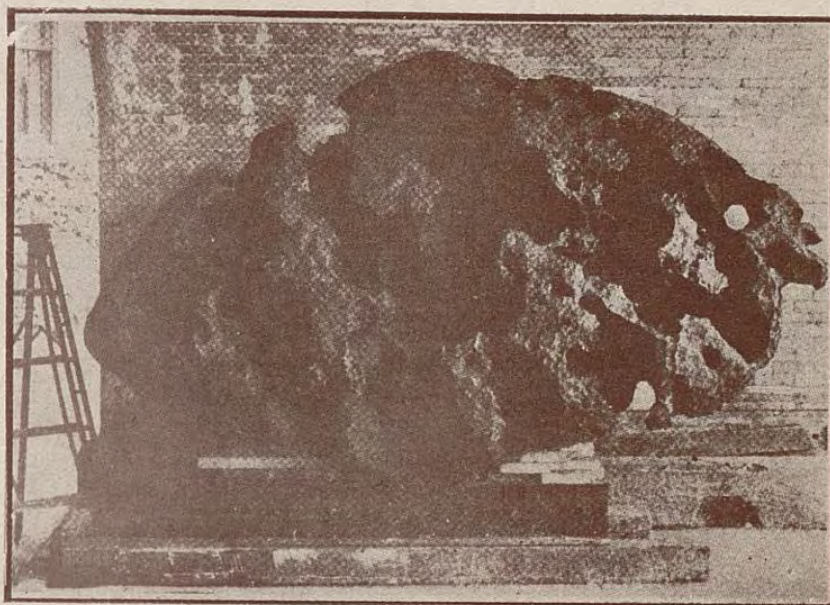
ويقال ان القومندور پيري — مكتشف القطب الشمالي سنة ١٩٠٩ — كان في سنة ١٨٩٤ يقضي الشتاء في جرينلندا فصار به بعض رجال الاسكيمو ليروه «قطع الحديد الضخمة». فعرف پيري انها بقايا ثلاثة رُجُم كبيرة. ولكنه لم يجد ما يمكنه من معرفة تاريخ انقضائها وانما نقل اليه بالسماع انها انقضت نحو مائة سنة قبل ذلك. وكان رجال الاسكيمو يدعونها «الكلب» و«المرأة» و«الخيمة» وفقاً لشكلها. وعاد پيري في السنة التالية لنقلها ففاز بنقل الكلب والمرأة بعد ما لقي الامرّين. واما الخيمة فاستعصت على رجاله حتى كانت سنة ١٩٠٣ ففاز بنقلها فلما وزنت بلغت ٣٦ طناً ونصف طن، وهي محفوظة في متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك

﴿مادتها﴾ ان الرجم التي نقلت الى متاحف التاريخ الطبيعي — كرجم پيري — مركبة من صخور مبلورة او حديد او من مزيجهما. ولكن هل الشهب الصغيرة التي تتلاشى قبل وصولها الى الارض مركبة من صخور مبلورة وحديد كذلك؟ ان الاجابة عن هذا السؤال لا تجيء الا عن طريق السبكتروسكوب (آلة الحلّ الطيفي) على شريطة ان يقام التلسكوب ويوجه الى الشهاب المنقض، لكي يصوّر طيف نوره. ولكن هذا متعذر لان الشهاب ينقض فجأة ولا يلبث منقضاً الا لحظة من الزمان لا تكفي لتوجيه السبكتروسكوب اليه. وقد تمكن بعض الفلكيين من تصوير شهاب منقض في اثناء تصويرهم لطيف النجوم، واما اختلط طيف الشهاب بطيف النجوم، فتعذر عليهم تبين الواحد من الآخر. وفي سنة ١٩٢٤ فاز العالمان الالمانيان هاس Haas وشواسمان Schwassmann بتصوير طيف شهاب منقض فتبين فيه خطّي عنصر الكالسيوم المعروفين بحرفي H, K وخطوط عنصر الحديد. وحديد الرجم يكون عادة خليطاً من الحديد والنيكل وعناصر اخرى. ولم يسفر البحث في بناء الشهب عن وجود اي عنصر جديد فيها غير موجود على الارض

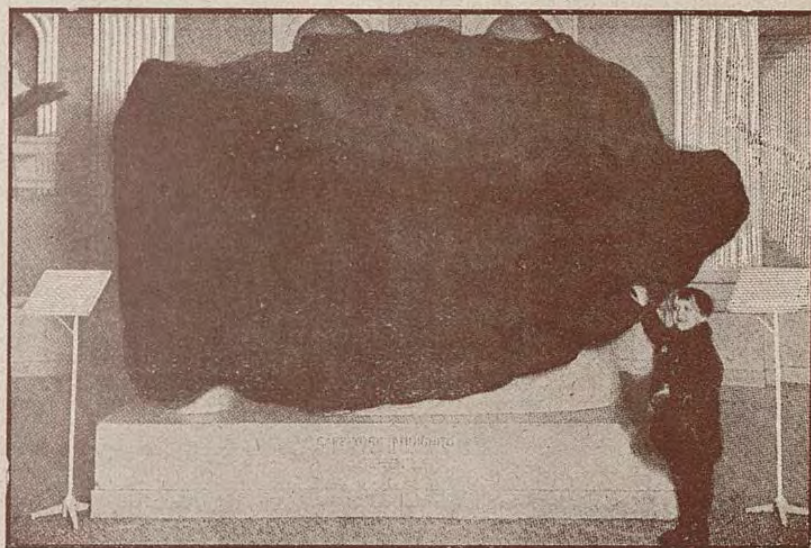
(اصلها) ذهب بعض العلماء الى ان الشهب اجسام انطلقت من براكين القمر قبلما خمدت ولكن علماء الفلك لا يأخذون بهذا الرأي الآن. ويرى غيرهم انها بقايا سيار تهشم او هي مخلفات من المادة التي تكوّنت منها الارض. ثم ان بعضهم يقول انها اجزاء من ذوات الازناب وعلى ذلك جلّة علماء الفلك الآن. فقد كشف الباحثون ان طائفة كبيرة من الشهب تسير في افلاك معينة حول الشمس وان هذه الافلاك تتفق في كثير من الاحيان مع افلاك بعض المذنبات. فالشهب التي انقضت سنة ١٨٨٥ من بقايا مذنب بيلا Biela الذي اكتشفه القبطان بيلا النمساوي سنة ١٨٢٦ فلما ظهر هذا المذنب سنة ١٨٤٥ انشطر قطعتين تباعدتا ولما ظهر سنة ١٨٥٢ كان البعد بين شطريه قد زاد فلما حان ظهورها سنة ١٨٧٢ انقضت الشهب انقضاضاً عظيماً من المكان الذي كان ينتظر ظهورها فيه. فترجح ان جانباً منه تمزق أو تفرقت دقائقه فسهل جذبها واحترقت من احتكاكها بجو الارض. ومع ذلك يبقى عدد من الشهب لا نستطيع تعليلها بما تقدّم اي انها ليست من اجرام المجموعة الشمسية. وقد اثبت البحث انها اتصلت بنا من اعماق الفضاء. ذلك ان



كل جسم له  
اهليلجي  
تزيد سرعته  
سرعة بعض  
وا  
قص فون  
نوفمبر سنة  
إلى الجنوب  
وراءها خط  
الشهب في الو  
وتوينغ  
ذلك حافظاً  
الشهب في  
٩٠٢ —  
أبرهيم بن  
وتنبأ بأن  
فثبت  
حول الشمس  
سنة في الش  
لا ترى منق  
رى بعض  
ولما حاد  
الخارجية ج  
وتنسب  
الاسد حو  
المسلسلة  
Perseus في  
في ٢ يناير و  
الدلو  
تنقض من



أكبر الرجم التي وجدت في أميركا . طولهُ عشر أقدام وعلوهُ ست أقدام ونصف  
قدم ونحانته أربع أقدام وثلاث بوصات ووزنه ١٠٧ أرطال انكليزية



أحد الرجم التي نقاها پيري من جرينلندا الى متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك  
وقد وقف جنبها صبي عمره ١٣ سنة لبيان حجمها

امام صفحة ٥٦٩

مقتطف دسمبر ١٩٣٢



كل جسم لا تزيد سرعته على ٢٦ ميلاً في الثانية لا يستطيع ان يفلت من جذب الشمس فيسير في فلك اهليلجي — تزيد استطالته أو تقل بحسب سرعته — حول الشمس . فاذا دخل جوتنا جسم تزيد سرعته عن ٢٦ ميلاً في الثانية ثبت لنا انه قادم من خارج المجموعة الشمسية . وقد قيس سرعة بعض الشهب ففاقت ٢٦ ميلاً في الثانية وبلغت سرعة بعضها ٧٥ ميلاً في الثانية

❖ وابل الشهب ❖ وثمة احيان لا تنقض الشهب مفردة متفرقة بل تنقض كوابل . وقد قص فون هوبولد ( Humboldt ) العالم الطبيعي الالماني في اسفاره انه استيقظ في فجر ١٢ نوفمبر سنة ١٧٩٩ ليرى وابل الشهب فقطى اربع ساعات يشاهد الشهب تنقض من الشمال إلى الجنوب فوق الافق الشرقي بعضها كبير كالقمر وبعضها في حجم المشتري . فكانت تترك وراءها خطوطاً من الضياء وكان بعضها ينفجر . وفي ١٢ نوفمبر سنة ١٨٣٣ شوهد وابل من الشهب في الولايات المتحدة الاميركية فاشار حينئذ العالمان الاميريكان اولمستد Denison Olmstead

وتوينغ A. C. Twining إلى انهما شاهدا الشهب تنبعث من ناحية كوكبة الاسد . فكان ذلك حافزاً للعلماء إلى البحث وجعلوا ينقبون في المؤلفات القديمة ليطلعوا على وصف انقضا الشهب في العصور الماضية . فوضع الاستاذ نيوتن احد اساتذة جامعة ياييل جدولاً يبدأ سنة ٩٠٢ — وهي السنة التي اشار اليها الدكتور غرلدى ذكر انقضا الشهب يوم وفاة الخليفة ابراهيم بن محمد — فتبين له ان انقضا وابل الشهب من كوكبة الاسد يقع مرة كل ٣٣ سنة ، وتنبأ بان الوابل التالي يقع في ١٣ نوفمبر ١٨٦٦ — وهو الوابل الذي وصفه السر روبرت بول فثبت من بحث الاستاذ نيوتن امران : الاول ترجيح وجود منطقة من الشهب تدور حول الشمس وتقترب من الارض في كل نوفمبر . وان الارض تخترقها مرة كل ثلاث وثلاثين سنة في الشهر عينه وهذا لتعليل ان وابل الشهب الاسدي Leonids نسبة إلى كوكبة الاسد لا ترى منقضة كوابل الا مرة كل ثلاث وثلاثين سنة في شهر نوفمبر . ولكن هذا لا يمنع ان نرى بعض الشهب الاسدي كل سنة في نوفمبر اذ تقترب الارض من هذه المنطقة

ولما حان ميعاد وابل الشهب الاسدي سنة ١٨٩٩ لم تنقض كما كان ينتظر وظن ان السيارات الخارجية جذبت الشهب فكانت بعيدة عن الارض لما مرت الارض في منطقتها وتنسب شهب الوابل إلى الكوكبة التي تنقض منها فالشهب الاسدي تنقض من كوكبة الاسد حوالي ١٣ نوفمبر وشهب المرأة المسلسلة Andromedids تنقض من كوكبة المرأة المسلسلة Andromeda حوالي ٢٧ نوفمبر والشهب الفرساوسية تنقض من صورة فرساوس Perseus في ١١ يوليو و ٢٠ اغسطس وشهب التنين Draconids تنقض من كوكبة التنين Draco في ٢ يناير وشهب اللورا ( السلياق ) Lyrids تنقض من كوكبة اللورا Lyra في ٢٠ ابريل وشهب الدلو Aquarids تنقض من كوكبة الدلو Aquarius في ٦ مايو و ٢٨ يوليو وشهب الجبار Orionids تنقض من كوكبة الجبار Orion في ١٠ و ٢٤ اكتوبر



# الشخصية

من الناحية الفسيولوجية

للكرنور ابراهيم ناجي

﴿ الشخصية ﴾ — ما هي الشخصية ؟ ! ان مشكلة الشخصية عند الفلاسفة تدور على حقيقة وجود الذات ، وهل هناك شيء ثابت يسمى الذات او الروح او النفس ؟ أفوليسم جيمس يشير الى ما يسميه تيار الوعي ويقول ان تجارب المرء الخاصة ، في سبيل ذلك المجري ، تتوحد في احساس يُشعر بما يسمى بالذاتية Selfhood والفلاسفة الحديثون امثال ميرنجتون وبرنجل باتيسون ، وبرادلي ، يؤمنون بحقيقة الذات ، ويبرهنون على ذلك في بحوث طويلة ، وينقسمون مذاهب لها مريدون واشياع

ومن الوجهة الاجتماعية ، يعرف العالم لوران Laurent الشخصية بانها صفة التفرد ، والنزعة الخاصة originality ، ولست ذا شخصية مطلقاً حتى يكون لك اسلوبك الخاص ، فان كنت اديباً ، فلا يهم أن تقرأ أو تلاحظ ، أو تنقد ، وانما المهم أن يكون لك تفكيرك الخاص واسلوبك الذي تتفرد به وتتميز ، وان كنت سياسياً ، او زعيماً وطنياً فالمثل الاعلى هو غاندي فله طريقته الخاصة في الدعوة ، وفي النضال ، وهو متفرد بمغزله ، وعريه ، وشكله ، وقد تفرد اخيراً بأسلوبه في الموت ! على ان الذي نحن بصده الليلة ، والذي يهمنا من الناحية العملية هو وجهة نظر الاستاذ ماريون وتعريفه للشخصية بانها مرادفة للارادة المتحررة ، الارادة التي خلصت من العقبات ، والمناقضات التي تعترضها في افق العقل ، وتكبلها : الارادة التي تحررت بعد الموازنة ، والتمحيص ، وتقليب الرأي : الارادة المتزنة الهادئة الواثقة ، الماضية الى غرضها في اطمئنان وعظمة ، الارادة المتحررة لا الرغبات ، ولا الميول ، فما الرغبات والميول إلا سبب قلقه مضطربة غير ثابتة ، ملازمة للغرائز ، وما هي الا غمامة تتلبد في افق الروح ، ولا تمطرها !

الارادة المرادفة للشخصية ، المرادفة للشعور بالذات ، والكرامة ، والقوة ، هي غرض المربين ، وعماد الذين يسعون في تكوين امة من الامم وانشاء جيل قوي العزيمة متين الخلق زيد ان نكون شخصيات قوية ، مع الاعتراف بأن المواهب الخارقة غير متاحة لكل فرد ، وانها شعل الهية من السماء تختار افراداً دون افراد غير اننا بدرسنا للعوامل المكونة للشخصيات

(١) من محاضرة القيت في جمعية الشبان المسيحية في القاهرة وقد تناول ابراهيم المصري الموضوع من الناحية النفسية ونشر بحثه في البلاغ



القوية وفهم الاسرار التي ادت الى بروزها ، والاشياء التي تضعفها او تكبلها او تلاشيها ، نستطيع ان نفهم الجوانب الخفية في النفس ، ونغوص في اغوارها السحيقة للبحث عن كنوز مخبئة ، فندسمو بأنفسنا وبغيرنا ونبني اجيالاً قوية كاملة

اما العوامل النفسية في بناء الشخصية وقوتها ، في ان اذكر منها فقط ما يتعلق ببحثي ، فأقول ان ذوي الشخصيات البارزة تفردوا فيما تفردوا به بأنهم درسوا انفسهم ، ودرسوا انفس الناس ، وانتهوا من المقارنة ، على نور الاخلاص التام ، والتحرر الكامل من الغرور ، الى رأي ، الى طريقة ينتهجونها في سبيل الكمال . والواقع ان درس النفس من اشق الامور فأغلب الناس ذوي الشخصيات العادية مفتونون بأنفسهم متحيزون لصفاتهم ، يصفون عليها الواناً من العظمة ليست لها . ولذلك يقفون عند حد ولا يتقدمون ابداً بينا الآخرون يبحثون في اغوار المنجم عن الماس ، فيبرزونه ويصقلونه ، حتى يصير خافقاً للابصار ، ويتعهدون احسن ما فيهم كما يتعهد البستاني اجل اشجاره بالري والتشذيب ، وبينما هم في ذلك الصقل النفسي ، يمشون نحو الكمال والتفرد ، يكون لذلك اثره في وجوههم ومشيتهم وحدثهم واشاراتهم وانا لا نعلم على وجه من الدقة كيف تطبع الروح الجسد على هذا النمط ، ولكن الواقع اننا لا نكشف انفسنا بكلماتنا بل على الضد من ذلك نتكلم لنسدل قناعاً على حقيقتنا ، وعند ما نشير او نمشي ، او نأتي بحركة ما على غير قصد ، نكشف اخفى ما في طبائعنا ، والاستاذ فانس على حق حين يسمي الجسد مرآة الشخصية ، ويريك في كتابه البديع <sup>(١)</sup> كل دقائق الشخصية في تلك المرآة **﴿ فشية ﴾** الشخص مثلاً تدل على مقدار الارادة والقوة الحيوية وضبط النفس وهي تضع الانسان في مكانه في الهيئة الاجتماعية وتدل على جنسه وعلى حرفته وقليلاً ما تخطيء ، فالجندي الذي ترك الجيش مثلاً نستطيع ان نميزه مهما تكلف غير مشيته على ان المشية مع ذلك لا تدل على قوة الذهن في شخص من الاشخاص

**﴿ الصوت ﴾** الصوت لا يهم علوه ولا انخفاضه في الدلالة على الشخصية ولكن العلماء الحديثين يعنون بشيء واحد ، ويسترعون انتباهنا له ، فيقولون انه بصرف النظر عن دلالة الصوت على ابناء امة من الامم واستحالة التقليد مهما طاللت اقامة شخص غريب بين قوم ليسوا بقومه ومهما تعلم لغتهم واتقنها — كل هذا يقولون انه لا يدل على شخصية الانسان دلالة رنين الصوت الموسيقي . the timber, instrumental sound of the speakers voice. فمثلاً تجمع نبرات une فتحدث لنا حزناً أو مفرحاً فاننا لو ارفقنا السمع قليلاً ، وعودنا آذاننا بالمرآة ، أمكننا ان نصيب في الحكم على كثير من الناس . مثلاً ، عرفت من عهد قريب رجلاً يتحدث بنغمة مختنقة متزنة بلا رنين ، وعند ما يحاول ان يقنعي بتغيير



النعمة إلى صوت جاف كصوت للصلب ، وعلى الإطلاق كان يخيم الغموض والابهام على كل هذا ، فلم أكن مطمئناً إليه ، واستنتجت على الفور انه رجل ذو روح محتزنة جافة مبهمة كماله صوته وقد صدق ظني فيما بعد . كذلك تعرفت إلى آخر صوته كرين النحاس فاذا بمعاملاته لاصحابه — على ثقافته وسعة علمه — لها هي الاخرى هذا الرنين وعنفه

وثالث تعرفت إليه ، وكان لصوته رنة الناي الحنون ، فتبين لي بعد معاشرتي اياه ، ما استقر في اعماق روحه من الرقة ، والذوق الفني ، وحب الجمال ، والاحساس به والخلاصة أننا بمرارة قليلة لا نخطئ تقدير الشخصية من نبرات الصوت

❖ (الايدي) ❖ اما اليدان فقد قرأت كتاباً للكاتب النموسي المشهور ستيفان زفيج يدعى ٢٤ ساعة في حياة امرأة ، اجاد فيه وصف ، شخصيات الناس من ايديهم دون النظر في وجوههم ، واره في ذلك مصيباً كل الصواب فان اليد تدل على شخصية صاحبها في احدى حالات ثلاث وهي ساكنة ، أو وهي تشير ، أو وهي تصافح . اما الحالة الاولى فاهم ما فيها الزاوية التي بين الاصابع مجتمعة ، والمعصم . فقد ترى يداً تشابه يد القرد ، واخرى كخشب الطير المفترس ، وثالثة لا تراها حتى تشعر بالقسوة الكامنة في صاحبها وغيرها تدل على نبل الاصل ولا يمكن ان تخطئ مهما تقلب الزمان بصاحبها . اما الحالة الثانية وهي الاشارة فتدل بوضوح على مبلغ الاحساس والرشاقة ، والثقافة ، والعصبية

اما المصافحة فهي اوضح من كل هذا ، فهذا يصافك من قلبه وهذا يدعك تصافحه ، وذلك ينج في يدك حربة لايداً وآخر يفلت يده بسرعة .... فلمسة اليد البسيطة الذي يدقق تكشف اغواراً سحيقة من الروح لا يدري صاحبها انه مزق سترها ، بهذه المصافحة من دون ان يشعر اما الجمجمة ، من تركيب الرأس والفك والعينين ، فهي بلا شك المرآة التي لا جدال في صحتها وصدقها . ولا سبيل إلى الاستفاضة اليوم فان الموضوع مغرٍ بالتوسع فيه ولكني أقول عن الرأس ان الشائع ان الاذكاء هم كبار الرؤوس وهذا ليس بصحيح دائماً ، وان بروز الجبهة ايضاً دليل الذكاء وهذا ليس بصحيح دائماً وانما الصحيح ان الخط الممتد من الحاجب إلى مؤخر العنق في الاذكاء يكون مقوساً تقويساً كافياً ومتناسباً<sup>(١)</sup> وحافظاً لنسبة معقولة بينه وبين الخط الواصل بين الاذنين ، اما الناس ذوو الرؤوس المسطحة المضغوطة فليسوا على شيء من التفرد ولا الذكاء . اما من جهة العينين فقرب احدهما من الاخرى يدل على ضيق الذهن والخسة بعكس العيون البعيدة في الوجه الفسيح ، فهي تدل على العبقرية او على شبهها وهو الجنون ولعل اهم ما في العين هو الالق . البريق . النور الذي تشعه ، ويدل على الصحة والحيوية ، والقوة ، والعصبية ، والاحساس بالحياة ، وما هو مضحك وغريب فيها

(1) Having a good sweep and symmetry



اما الفك ، فهناك الفك العنيف الدال على الوحشية ، كفك الغورلاً ، والمتوسط القوة الذي لو تكلم لقال اني قوي وقادر على التغلب على اي عقبة كائنة صعوبتها ما كانت ، والفك المنتهي الى ذفن شوهاء ، مدفونة في العنق ، تدل على تشوه خلقي بل على شخصية ضعيفة عاجزة ان هذا الموضوع الشائق موضوع مميزات الجسد ودلالاتها على الشخصية لا ينتهي واني لاشعر اني امشي وراءه فهو يصرف عنايتي عن سواه من الامور التي اود بسطها اليلة

قلت ان الارادة القوية والشعور بالذات والكرامة غرض التربية فاذا صرفت النظر عن الناحية الروحية قلنا اننا نحتاج في تربية الشخصية الى سلامة الدم وسلامة الاعصاب وسلامة الغدد الصماء **سلامة الدم** \* نظرة واحدة اليها السادة الى مواطنينا الفلاحين تحزن وتبكي ، اذا لبثوا في القرى اصيبوا بالبلهارسيا والانكاستوما التي تسبب فقر الدم ، فيصاب المخ ضمن اعضاء الجسد ، فتضعف قواه ويبلد الذهن ، واذا انتقلوا الى المدن بهرتهم بملاهيها ، وضجيجها ونساءها فتتلقفهم الامراض السرية وهم لا يعرفون عنها شيئاً ، فتنتقل الى دمائها ابنائهم وتكن فيها حتى اذا كبر الشاب شعر بأعراض مبهمة ذهنية ، او جسدية ، فاذا تنبه طبيبه الى تحليل الدم وجد انه يحمل نصيبه من جهل ابيه ، وقد لا يظن الطبيب لكونه المرض . فيتغلغل في الجسم ويسري الى المجموع العصبي فينفث فيه سمه ويهدم الشاب في الوقت الذي تنتظر منه كمال الشخصية ونسوجها ! هل يزيد شخصيات قوية مستقلة النزعة ، علينا ان نعني بفلاحينا ونحافظ على سلامة دمائهم ، ولا نكل عن محاربة ادوائهم

**سلامة الاعصاب** \* نظرة اخرى الى المدن تحزن وتبكي . كلكم تسمعون عن ويلات المخدرات . ان المخدرات تهدم المجموع العصبي وتبيد الارادة ابادة . اي الشخصيات تكونون في شباب خائر القوى محطم الاعصاب ! اي شخصيات تكونون من هشيم تذروه الرياح ومن حطام مؤذن بالرواح ! تريدون شخصيات قوية انقذوا الشباب من آفته **الغدد الصماء** \* هنا اصل الى اهم الابحاث الجديدة . الى علاقة الشخصية بناحية كانت خافية ، فالتى عليها البحث الجديد اي نور قوي كشف !



تسمعون ايها السادة عن الغدد الصماء ، فما هي ؟ هي غدد تفرز افرازاً يتصل بالدم مباشرة ، يسمى الهورمون Hormone وتتعاون الغدد معاً في حفظ توازن الصحة والخلق ، والذي يهمننا اليوم : الغدة الدرقية ومركزها تحت الحنجرة ، وغدة فوق الكلى ، والغدة النخامية ، وهي في الجمجمة ، والخصيلتان في الرجل والمبيضان في المرأة . هذه كلها تتعاون معاً وقد تتعارض مفرزاتها كما تتعارض مجاذيف القارب ، ولكنها تؤدي كلها الى عرض واحد ، وتنازراً تآزراً قوياً مع المجموع العصبي في حفظ توازن الجسم ، ولا يمكن ان يختل افراز واحدة منها من دون ان يختل الآخر ، واذا اختل نظامها اصيب المجموع العصبي بضعف ظاهر ، ومن هنا أثرها في الشخصية



ومن العجيب الذي كشفته الحرب ان الجنود الذي يصابون بما يسمونه صدمة القنابل ، يصابون بالنور استنيا ، ويعقب ذلك اختلال في افراز الغدة الدرقية ، وصاحبها غدة فوق الكللى ، وتورمان ويريد افرازها ، وينقص افراز الخصىتين ، ويحدث ضعف تناسلي . فغدة فوق الكللى هي غدة الخوف والقلق ، فاذا ازداد هذان ازداد افرازها ومرضت ، وتبعها صديقتها الغدة الدرقية ، فاذا رأينا رجلاً كهذا رأينا رجلاً سريع دقات القلب ، مرتجف الاطراف ، نحيلاً ، غزير العرق اما عكسه ، الذي يقل فيه افراز الغدة الدرقية قلة مرضية وهو الذي اريد ان اتناوله اليوم في بحثي ، فطراز تروته كثيراً ، وهو طراز الشخصية البليدة الكسولة ، فاذا كان طفلاً صاح به ابوه كل ساعة وهو لا يدري ما علمته — يدعوه الى الدرس ، وتضربه امه وتلقبه بالبليد — وما ذنب المسكين ، واذا كان رجلاً فهو بطى الفهم ، قليل الجلد ، كثير النسيان ، يتكلم فيما لا فائدة فيه ، ولا يتحدث عن نفسه بشيء ، ولا يستطيع صب الفكر او الجهد على عمل ما ولا يعتمد عليه في شيء ويكسوه الشحم في امكنة خاصة ، فاذا كان رجلاً وجدت له سنام فوق ظهره كسنام الجمال واذا كانت سيدة اكتنز الشحم في الردين ومعظم الرجال يصابون بالصلع الباكر والشيب ، وسقوط شعر الحاجب ، وتكون حرارتهم دائماً تحت المتوسط الطبيعي . يجب ان نغز هؤلاء الاشخاص ، ولا نهمهم بضيايع الشخصية بلا مسوغ فانهم يتحسنون بالعلاج اذا تناولوا خلاصة الغدد بامارة الطبيب

واخيراً هل لكل الامراض تأثير هادم للشخصية وهل كل ما يهدم الجسد يهدم الشخصية ؟ الواقع ان الشخصية اذا تم تكوينها ، لا يؤثر فيها المرض ولكن يحول دون تكوينها اذا لم يكن قد تم فعلاً . على ان هناك مرضاً واحداً له تأثير غريب في الحيوية ، ذلك هو السل . اني اوجه انظاركم اليها السادة إلى العيون الواسعة البراقة الجميلة ، في المسلولين ، وإلى صفاء ذهنهم وجمال نفوسهم ، واذا كر لكم ان الشاعر شيلر كان مريضاً بالسل ، ولكن ذلك المرض العجيب زاد ذهنه صفاءً ، وعبقريته حدة . ثم ان توكسين السل منبه للقلب . منبه للمجموع العصبي . منبه للمجموع التناسلي ، يبعث الامل . ورحم الله شوقي حين قال

الى الحياة سكنت وهي مصارعٌ وإلى الاماني يسكن المسلول !

ولكن ذلك التنبه يتلاشى مع الاسف في وسط الدمار المريع الذي يحدثه المرض في طغيانه واذا كر لكم ايضاً ان الشاعر كيتس مرض بالسل ومات بعد سنتين من مرضه انتج في خلاهما جل انتاجه الخالد  ختام  والان كلمة اخيرة ! ان غاندي ، يضرب لنا مثلاً بصيامه ، في ان قهر الجسد ، الى حد محدود مساعد على تقوية الروح ، معظمهم للشخصية ، بينما الاسترسال في الاعتناء بالجسد وتدليله هادم للشخصية مضعف لارادتنا اننا لانستطيع ان نكون كننا غاندي ولكن امامنا المثل السامي فلنسر على منواله والسلام





# سنة سرعة النور

في نظرية النسبية

النور والاثير — سرعة النور — استقلالها عن مصدر النور — ماذا حل محل الاثير

لنقول الحراد



النور والاثير

لوحجت عملية (ميكلسن — موري) التي شرحناها في المقال المنشور في مقتطف اكتوبر الماضي، اي لو ظهر فرق بين رحلتي الشعاعتين في الوقت والمسافة كما كان منتظراً، لحسبوا برهاناً دامغاً على وجود الاثير . وثمة يتيسر لهم ان يستخرجوا سرعة الارض بالنسبة اليه وهي تمخر فيه . ولكن خيبة العملية وتعليلها بتقلص الارض في اتجاه حركتها تركا الاثير كما كان فرضاً بلا برهان لان نتيجتهما لم تنف وجوده وليس فيها شيء يناقض وجوده حتى « نظرية التقلص » لا تناقض وجوده ولا تنفيه . الاثير فرض كوسيلة لانتقال النور ، والعملية المشار اليها لا تثبت الاستغناء عن هذه الوسيلة . وانما شيء آخر يثبت هذا الاستغناء سندكره فيما بعد

ولو لم تتدارك « نظرية التقلص » حيرة اهل العلم في فشل العملية لما وجد العلماء تعليلاً لها الا وجود الاثير باعتبار ان طبقة منه ملازمة لسطح الارض كملازمة طبقة الهواء له . وفي هذه الطبقة الاثيرية سارت شعاعتا جهاز ميكلسن كما يسير القطار وكل جسم متحرك على سطح الارض ، وكما تسير الطائرة في طبقة هواء الارض ، فلا يكون لسرعة الارض حساب في سرعة الاجسام المتحركة على سطحها وفي جوها ، كما ان الماشي على ظهر السفينة لا يحسب لسرعة السفينة حساباً مع سرعته . وما رجحت نظرية التقلص على نظرية ملازمة طبقة الاثير لسطح الارض الا لان هذه النظرية اضعف جداً من نظرية التقلص بسبب ان الاثير مفروض انه لطيف جداً فلا يعقل ان سطح الارض يجر معه طبقة منه ، الا اذا كان الاثير خاضعاً لسلطة جاذبية الارض كخضوع طبقة الهواء لها . وهذا الفرض ضعيف ايضاً لافتراض ان طبيعة الاثير مختلفة كل الاختلاف عن طبيعة المادة والا لا يمكن اكتشافه وتحقيق وجوده لا شراً كه حينئذ بنواميس المادة او ببعضها



ثم ان ما يرجح نظرية التقلص هو البرهان الذي بسطناه في المقال السابق على اقتحام نواة الذريرة (Atom) في جوها الكهربائي المغنطيسي واستخرجنا منه قيمة تقلص هذا الجو بعبارة رياضية . واما اذا كانت ثمة نظرية تقضي على نظرية الاثير او على الاقل تغني العلم عنها فهي نظرية ان النور ليس الا موجات كهربائية مغنطيسية تسير في جو جاذبي . وليس هنا محل لبسط هذه النظرية التي يسلم بها علماء هذا العصر جميعاً . وخوها ان النور نوع من انواع التشعيع العديدة التي تصدر امواجاً (وما هي الا حطام الكهارب المندثرة المنحلة فكأنها ابسط صور المادة) ولذلك تنتشر في الفضاء بلا واسطة . لانها ليست حركة امواج في شيء متموج بل هي الشيء المتموج نفسه . ولذلك يستغنى بها عن الاثير . هذه نظرية اهل العلم الآن

## سرعة النور

كان من نتائج عملية ميكالسن تحقيق ان النور سرعة ثابتة لا تتغير اي لا تزيد ولا تقل بل هي على وتيرة واحدة في كل مكان وكل زمان والى اي جهة ولا سلطة لعوامل القوة عليها من هذا القبيل . فهي على سطح الارض وعلى سطح اي جرم وفي كل خلاء بين الاجرام على حد سواء . ثم ان الاشعة تنتشر الى جميع الجهات بالتساوي . وليس لمصدر النور سلطة على النور ولا سرعة النور مستمدة من مصدره ولا مصدره يكسبه سرعة مع سرعته ولا هو خاضع لنواميس الحركة والقوة أي لا يدخل تحت قانون الاستمرارية Inertia والمسارة Acceleration ولذلك لولا تقلص الجسم المتحرك في اتجاه حركته كالارض مثلاً لظهر لنا ان شعاعة النور الواردة من الشرق تبلغ الينا قبل الشعاعة الواردة من الشمال أو الجنوب وبالأحرى قبل الواردة من الغرب لاننا نستقبل تلك بسرعة ٣٠ كيلو متراً في الثانية وندير عن الشعاعة الغربية بسرعة ٣٠ كيلو متراً . ولكن السرعة الارضية (وكل سرعة جرمية) تحدث تقلصاً في الجرم يقابل هذا الفرق بين سرعة النور وسرعة الجرم بحيث لا يظهر لنا فرق في سرعة النور من أي جهة جاء حتى يتراءى لنا كأن الارض ثابتة لا تتحرك بسرعة ٣٠ كيلو متراً . وانما يظهر هذا الفرق بين سرعة الارض وسرعة النور لشخص يقيم خارج الارض . لو كان شخص في الشمس يستطيع أن يرقب حركة الارض والنور العابر على سطحها لرأى أي نقطة من سطح الارض تستقبل رأس لمعة نور شرقية قبل موعد وصولها بثلاثين كيلو متراً في الثانية أي أن سرعة النور تصبح عند تلك النقطة ٣٠٠ الف الا ٣٠ كيلو متراً

بعد هذا البيان يفهم القارئ أن استقرار سرعة النور على حالة واحدة الى جميع الجهات لا يراد به أن سرعة الارض لا يحسب حسابها إذا كانت الارض مقبلة (أو مدبرة) إلى النور الوارد من أي جرم بل يراد به أن سرعة الارض لا يحسب حسابها مع سرعة النور بالنسبة لاهل



الارض الذين وهم على سطح الارض مشتركون معها في سرعتها كما ان المقيمين في السفينة الماخرة لا يحسبون حساب سرعتها مع سرعة شخص ماشٍ على ظهر السفينة لان السفينة بالنسبة اليهم وإلى ذلك الماشي على ظهرها تعتبر كأنها راسية وإنما هي تعتبر سائرة بالنسبة الى البحر والسطح . وإنما يحسب حساب سرعة الارض مع سرعة النور بالنسبة لاي جرم آخر خارج عن الارض ولا شركة له بحركتها . فساكن المريخ مثلاً لا بد أن يدخل حساب سرعة الارض مع سرعة النور في حالتي اقبال الارض أو أدبارها عن اتجاه النور بل نحن سكان الارض متى شئنا أن نحسب سرعة الارض بالنسبة إلى سرعة أي نجم آخر بيننا وبينه تباعد أو تقارب فلا بد أن ندخل سرعة أرضنا في حساب سرعة النور الوارد إلينا من ذلك النجم لان حركة ذلك النجم غير مشتركة مع حركة الارض

ومن ذلك يتضح أن مسافة المرآة الشرقية في جهاز ميكلسن لم تقصر بالنسبة إلى غيرها من موجودات الارض لان كل ما على الارض متقلص مثلها فبقيت نسبة المسافات بينها واحدة لم تتغير . لذلك لا نستطيع تمييز ذلك التقلص . وإنما مسافة المرآة الشرقية قصرت بالنسبة إلى الشمس ( أي إلى مَنْ في الشمس يراقب ما يحدث على الارض — على افتراض المستحيل ) . وما اكتشفنا هذا التقلص بالرغم من اختفائه عنا وكتمان الطبيعة له عن ملاحظتنا إلا بواسطة عملية ميكلسن . أي أن رجوع الشعاعين معاً بالرغم من اختلاف مسافتهما كان كاشفاً لحدوث ذلك التقلص

فعملية ميكلسن التي فشلت في اكتشاف علاقة الارض بالاثير نجحت نجاحاً عظيماً في اكتشاف ظاهرة طبيعية خطيرة الشأن بُنيت عليها نظرية النسبية وهي ظاهرة تقلص الجسم المتحرك في اتجاه حركته

\*\*\*

قد يسأل القارئ : لو استطاع ميكلسن أن يقيس مسافة كل من المرآتين بعد أن يغير وضعهما فهل كان ممكناً أن يكتشف إن احدهما صارت أقصر مسافة من الاخرى أو أقصر مما كانت ؟ نجيب : هب أن ميكلسن يستطيع بطريقة عجيبة أن يجد مقياساً لضبط هذا الفرق الزهيد فالمقياس نفسه يتقلص ايضاً متى قاس به المسافة شرقاً غرباً ويعود إلى طوله الاول متى قاس المسافة جنوباً شمالاً . ولذلك يستحيل عليه وهو على الارض ان يختبر الفرق بين المسافتين . وإنما يختبره شخص ليس على الارض اذا كان في مكانه أن يرصد أشياء الارض ويضبط أقيستها . فما من وسيلة لا اكتشاف هذا التقلص الا نتيجة عملية ميكلسن التي خالفت المنتظر من وصول احدي الشعاعين قبل الاخرى



ولا يخفى على القارئ أن مقدار هذا التقلص زهيد جداً كزهادة سرعة الأرض بالنسبة إلى سرعة النور فلا يمكن أن تلاحظه عين. وإذا شاء القارئ أن يعلم كم يتقلص قطر الأرض الذي هو في اتجاه سيرها فليبدل الأرقام بالحروف في عبارة لورنتز التي استخرجناها في المقال السابق هكذا

$$\frac{1}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} = \frac{1}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} - 1$$

والنتيجة بعد التحويل من كيلو مترات إلى قراريط هي قيراطان ونصف. هذا على اعتبار أن الرقم (١) في المعادلة يعبر عن طول قطر الأرض

ولكي يقصر قطر الأرض حتى يصير نصفه يجب أن تكون سرعة الأرض نحو ١٦١٠٠٠ كيلو متر. يمكن استخراج ذلك إذا ضربت عبارة لورنتز بنصف. ولو بلغت سرعة الأرض أو أي جرم إلى حد سرعة النور أي ٣٠٠ ألف كيلو متر لتلاشت الأرض من الوجود. ولتحقيق ذلك رياضياً اجعل  $v = c$  في عبارة لورنتز فتراها بعد البسط = صفراً. ولذلك يستحيل أن توجد سرعة تساوي سرعة النور أو تفوقها. فإذاً سرعة النور أعظم سرعة في الوجود ولا تفوقها سرعة. وهذه خاصية أخرى للنور ليست لغيره من الأجسام. ولأن النور متناهي السرعة وثابت السرعة صلح مقياساً للأبعاد الحقيقية. فاصطلح الفلكيون على قياس أبعاد الأجرام بالمسافات التي يقطعها النور في الثانية أو الدقيقة أو الساعة أو اليوم أو العام الخ فيقال أن الجرم الفلاني يبعد عنا كذا ساعات أو أياماً أو سنين من سني النور

استقلال سرعة النور عن سرعة مصدره

من النواميس الطبيعية أن الجسم المتحرك يمنح سرعته لكل جسم مرتكز عليه أو متعلق به. فإذا كنت في قطار أو في الترام وهو يسير بسرعة كذا في الثانية وعمد السائق إلى توقيفه اندفع جسمك إلى الامام لأنه لا يزال مكتسباً سرعة القطار فيندفع بقوة استمرار السرعة التي كانت للقطار. وإذا كنت على أرض القطار بطيخة مثلاً تدرجت إلى الامام للسبب نفسه. وإذا كنت في سيارة تسير بسرعة ١٥ متراً في الثانية مثلاً واطلقت من مسدس قذيفة بسرعة ١٠٠ متر في الثانية إلى الامام انقذت الرصاصة بسرعة ١١٥ اذ تضاف إليها سرعة السيارة التي كانت ممنوحة لها قبل انطلاقها. وإذا اطلقت الرصاصة إلى الوراء انقذت بسرعة ٨٥ متراً إذ

تنقص من سر  
تكاد تكون  
من يده قذيف  
يقذف القذيفة  
بمقتضى هـ

وهو مدبر عنا  
سرعته إلى الا  
مقاربة بعضها  
فهل النور خا  
منه؟ أم هو  
المنير) ولا يخف  
إذا كان ال

القطار والرصا  
بتعليل آخر غير  
منح السرعة)  
أو تحت حكم م  
سفينة الواحد  
ثم يعودان فيل  
السفينة بسر  
بشعاعتين ص  
معامله ثم عا  
هذا إذا فر

ربما كان به  
ذلك الجرم تك  
لا شأن لسرعت  
القارئ يشك  
تصور س  
ظهرها في منت



تنقص من سرعتها سرعة السيارة التي كانت ممنوحة لها ( إلى الامام لا الى الوراء ) قبل انطلاقها تكاد تكون هذه السنة الطبيعية غريزة في ذهن الانسان إذ ترى الغلام مثلاً وهو يقذف من يده قذيفة كحجر او كرة إلى ابعد مدى يستطيعه — نراه يركض الى الامام مسافة ثم يقذف القذيفة وهو راكض لكي يزيدها سرعة على السرعة التي ينشئها عضل يده عند القذف بمقتضى هذه السنة نفسها تسمع صفير القطار او دويته وهو مقبل عليك اقوى مما تسمعه وهو مدبر عنك لان امواجه الامامية تكتسب مع سرعتها سرعة القطار ولان القطار منحها سرعتة إلى الامام لا الى الوراء . لهذا السبب عينه تكون امواج الصوت الامامية متقاربة بعضها الى بعض والامواج الخلفية متباعدة على نحو ما شرحناه في المقال السابق . فهل النور خاضع لهذه السنة ؟ أي هل يكتسب مع سرعتة سرعة الجسم الذي صدر منه ؟ ام هو مستقل عنه فلا يأخذ من سرعتة في مسيره الى الامام ( بنحو اتجاه الجسم المنير ) ولا يخسر من سرعتة في مسيره الى الوراء ( عكس اتجاه الجسم المنير ) ؟

إذا كان النور يكتسب من الجسم المنير الذي اصدره سرعتة كما يكتسب الصوت سرعة القطار والرصاصة سرعة السيارة في المثالين السابقين حينئذ تنحل قضية عملية ميكافس بتعليل آخر غير تعليل التقلص — تعليل افضل وأصح منه لأنه بسبب هذا الناموس ( ناموس منح السرعة ) لا بد ان تعود الشعاعتان في وقت واحد لانهما صادرتان من مصدر ارضي او تحت حكم مصدر ارضي وسأرتان في حيز ارضي فشانهما كشأن شخصين يسيران على ظهر سفينة الواحد الى مقدمها والآخر الى جنبها — يسيران مسافتين متساويتين بسرعة واحدة ثم يعودان فيلتقيان حيث افترقا . سواء كانت السفينة راسية او ماخرة لأنه لا شأن لحركة السفينة بسرعتها ما دام لا يخرجان منها بل هما باقيان فيها . كذلك لا شأن لسرعة الارض بشعاعتين صدرتا من مصباح على الارض الواحدة في اتجاه سير الارض والاخرى في اتجاه معامد له ثم عادتا عن مرأتين متساويتي البعد فلا بد ان تتلاقى الشعاعتان عند مصدرها في وقت واحد هذا اذا فرضنا ان النور يكتسب مع سرعتة سرعة مصدره

\*\*\*

ربما كان بعض القراء يستصعب التسليم بأن القذيفة المنطلقة من جرم الى اي جهة فوق ذلك الجرم تكون سرعتها واحدة ما دامت حركتها مقصورة على سطح ذلك الجرم كأن لا شأن لسرعتة مع سرعتها . مع ان « ناموس منح السرعة » هو سبب هذه النتيجة فاذا كان القارئ يشك في ذلك فنضرب له مثلاً

تصور سفينة طويلة ( ٦٠ متراً ) تمخر البحر بسرعة مترين في الثانية مثلاً . وعلى ظهرها في منتصف المسافة بين مقدمها ومؤخرها شخص اطلق في وقت واحد رصاصتين



بسرعة ١٠ امتار في الثانية الواحدة الى هدف في المقدم والاخرى الى هدف في المؤخر . فهل تبلغ احدهما الى هدفها قبل الاخرى ام تصيبان الهدفين في وقت واحد ؟ والجواب انها تصيبان الهدفين في وقت واحد . ولو كان المجال يتسع لعملية رياضية لانبجلى هذا الجواب للقارىء كل الجلاء ، ولوجد ان الوقت الذي تستغرقه الرصاصتان في رحلتهما هو ٣ ثوان . ولا متحان صحة هذه النتيجة نقول : في ٣ ثوان تقطع السفينة  $3 \times 2 = 6$  امتار والرصاصة الاولى تقطع  $3 \times (2 + 10) = 36$  سرعتها مع سرعة السفينة والرصاصة الثانية تقطع  $3 \times (2 - 10) = -24$  سرعتها الا سرعة السفينة . فالفرق بين مسافتي الرصاصتين في الجو هو ١٢ متراً نصفه كان مقدار ابتعاد الهدف عن الرصاصة الاولى في اثناء العملية . والنصف الآخر مقدار اقتراب الهدف الآخر نحو الرصاصة الثانية . ولهذا اصابت الرصاصتان الهدفين في وقت واحد فترأى لمطلقهما انهما قطعتا مسافتين متساويتين في وقت واحد . ذلك حقيقي بالنسبة اليه ولكن بالنسبة لشخص آخر يراقب التجربة على الرصيف ليس الامر كذلك

\*\*\*

نفرض ان الهدفين على حافة الرصيف والمسافة بينهما تساوي طول السفينة تماماً اي ٦٠ متراً . وفي منتصف هذه المسافة شخص على الرصيف يراقب . ثم نفرض ان السفينة مرت محاذية للرصيف . فلما صار الشخص ذو المسدسين تجاه موقف الشخص الذي على الرصيف اطلق الرصاصتين على الهدفين . فاذا كان هذا الرقيب يستطيع ضبط موعد اصابة الرصاصتين للهدفين رأى ان الرصاصة المطلقة الى الهدف المقابل للمقدم اصابته قبل ان تصيب الاخرى هدفها ، لان الاولى مكتسبة سرعة السفينة مع سرعتها والهدف ثابت لا يسير مع السفينة فبلغت اليه في ثانيتين ونصف واما الاخرى فكانت تخسر من سرعتها سرعة السفينة فبلغت الى هدفها في ٤ ثوان ونصف

وحاصل هذا الشرح ان «ناموس منح السرعة» الذي نحن بصدده يعدل الفرق الذي تحدثه سرعة الجرم المتحرك بين مسافتي قذيفتين تُقذفان من نقطة عليه الى اي جهتين فتقطع القذيفتان مسافتين متعادلتين في وقت واحد . ولذلك نرى ان قنبلة المدفع كيفما توجهت قطعت نفس المسافة بالنسبة الى سطح الارض لا بالنسبة الى الفضاء ( ان كان في الفضاء جسم ثابت ينسب اليه ) ولولا ان الارض تكسب القنبلة سرعتها اذا سايرتها وتحتل منها بقدر سرعتها اذا عاكستها سيراً ، لكانت القنبلة التي تسير بسرعة تضاهي سرعة الارض على محورها ( نحو ١ ميل في الثانية ) اذا انقضت الى الشرق تهادى مضاعف مداها واذا انطلقت الى الغرب سقطت امام فم المدفع



هل ينطبق ناموس منح السرعة على النور ؟

بناءً على هذا الناموس الطبيعي اي ان الجسم المنطلق عن جرم آخر ينطلق بسرعة واحدة الى جميع الجهات ( اللهم ضمن سطح هذا الجرم ) سواء كان الجسم الذي ينطلق عنه ساكناً او متحركاً ، وانما الفرق في السرعة بين انقذافه مع اتجاه الجرم وانقذافه ضده او الى جانبه يظهر لرقيب خارج عن ذلك السطح غير متحرك بحركته — بناءً على هذا الناموس زعم العالم الطبيعي السويسري ريتز ان النور الصادر من مصدر ارضي ( كما في جهاز ميكلسن ) لا بد ان يسير الى كل الجهات بسرعة واحدة كمسير القنبلة على سطح الارض الى اي جهة بسرعة واحدة وكمسير الرصاصتين على ظهر السفينة . ولذلك في رأيه فشلت عملية ميكلسن في استكشاف سرعة الارض في بحر الاثير . ويستحيل ان تستكشف باي عملية أخرى ايضاً للسبب عينه . فان صحت نظرية ريتز هذه تسقط نظرية فترتجرلد ( تقلص الارض في اتجاه حركتها ) . وبسقوط هذه تسقط « نظرية النسبية » برمتها لانها مبنية على نظرية استقلال سرعة النور عن سرعة مصدره . ولكن العلامة الفلكي الهولاندي دي ستر De Sitter برهن برصد النجوم المزدوجة ان سرعة انتشار النور لا يمكن ان تتوقف على سرعة الجرم الذي يبعث النور . وقد اعتمد العلماء على هذه الحقيقة لانهم وجدوا مؤيدات كثيرة لها . وثبت لهم ان اشعة النور تمتاز باستقلالها في سرعتها عن سرعة اي جرم تصدر منه . ليس لمصدرها تأثير عليها . فنظرية ريتز ساقطة

ولايضاح الفرق بين سرعة النور وسرعة الرصاصة في السفينة او القنبلة على سطح الارض نقول : اتنا ونحن على الارض لا نحسب حساباً لسرعة الارض مع سرعة الاجسام التي عليها لانها ( اي الارض ) يسيرها تسترد من الجسم المتحرك عليها السرعة التي منحها اياه ولكننا نحسب حساب سرعتها مع سرعة النور لانها لا تمنح النور شيئاً من سرعتها . فاذا عبرت شعاعة نور على سطح الارض مع اتجاه سير الارض طرحنا سرعتنا من سرعة النور واذا عبرت معاكسة لخط مسير الارض أضفنا سرعتنا الى سرعته . وانما نحسب في الحالتين حساب تقلص الارض

$$\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}$$

فتتعدل المسافتان لوقت واحد

فاذا كنا نرى ان اشعة النور تقطع على سطح الارض مسافات متعادلة إلى جميع الجهات فليس ذلك لان سرعة الارض سقطت من الحساب بل لان تقلص الارض عوض الفروق



التي نحسبها لسرعة الارض : فكأن التقلص قام مقام منح السرعة  
اذاً ، ناموس سرعة النور يختلف عن ناموس سرعة الاجسام ويمتاز عليه بهذا الاستقلال .  
واستقلاله هذا جعل النسبية مبدأ او ناموساً قائماً بذاته ايضاً . ولذلك لم يبق بد من مراعاة  
عبارة لورنتر المذكورة آنفاً في كل معادلة من معادلات الميكانيكيات تصحيحاً لها . ولايضاح  
ذلك فصل آخر

ماذا حل محل الاثير

هذا الموضوع يستلزم كلمة موجزة جداً في موضوع الجاذبية وهي اهم نقطة في «النسبية  
الخاصة» . فسّر فارادي الجاذبية بانها جو ينشره الجسم حوله . ولهذا الجو خاصية تجعل جسماً  
آخر ينجذب إلى الجسم الاول كما هي الحال بين الشمس وسياراتها مثلاً ، أو بين الارض والقمر .  
وقد فرض فارادي هذا الفرض لازالة ما علق في الازهان من ان الجسم الواحد يجذب الآخر ،  
لان الجذب عن بعد بغير واسطة غير معقول . ففرض له الجو الجاذبي . فالذي يجذب القمر  
والحجر إلى الارض ليس الارض نفسها وانما الجو الجاذبي الذي نشرته الارض حولها يدفع  
القمر او الحجر نحوها . فالارض انشأت الجو حولها . والجو تولّى وظيفة الجذب او حركة  
الانجذاب . فالارض لا تجذب الحجر بل هو ينجذب اليها بواسطة الجو الجاذبي

يستفاد مما تقدم ان فكرة استحالة الفعل عن بعد بغير واسطة حملت فرادي ان يفترض  
هذا الجو لكي يتخلص من المستحيل في امر واقع ( الجذب عن بعد ) . فاذاً الجو الجاذبي مجرد  
فرض فقط لتسهيل حل ذلك اللغز اي لغز الانتقال او الفعل عن بعد بلا واسطة . فلما اكتشف  
مكسويل ان النور امواج كهربائية مغنطيسية قال العلماء استغنيانا عن الاثير . ولكنهم ما  
لبثوا ان فرضوا الجو الجاذبي بدل الاثير ليكون واسطة لنقل الامواج الكهربائية المغنطيسية  
ومنها امواج النور كما يكون واسطة لنقل فعل الجذب او الانجذاب . اذن ، ما استغنوا عن  
فرض حتى اضطروا الى فرض آخر بدله مثله . فكأنهم ابدلوا الاسم فقط فجعلوا لفظ «الجو  
الجاذبي» بدل لفظ « الاثير » . وليس الجو الجاذبي حقيقة اثبت من الاثير بل هو شيء  
مفروض كما ان الاثير شيء مفروض . ولا يزال مثله حقيقة مجهولة

على ان الجو الجاذبي يختلف عن الاثير بكونه غير مالى الفضاء على نمط واحد بل تتفاوت  
حدته بتفاوت الابعاد عن الجسم المحدثه . فكأنهم باختلاق هذا الجو قد نقحو نظرية فرض  
الوسيط بين الفاعل والمفعول به — الجاذب والمجذوب او المموج والتموج او وسيلة الموج .  
فهو اذاً وسيط على كل حال سواء سُمّي اثيراً او جوّاً اجاذبياً . وبهذا الفرض الجديد اصبح  
الاثير اقرب إلى المادة منه الى الروح الاثيرية او الاثير الروحاني

نقولاً الحداد

شبرا — مصر



## وجودی

## لا محمد محرم

وُجودی، لَسْتُ لِي، فَمَنْ تَكُونُ؟ أَسَرُّ أَنْتَ عَنْ نَفْسِي مَصُونُ  
يُصِيبُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ عَامِي وَيُصِيبُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ عَامِي  
أَمِنْ نَفْسِي عَلَى نَفْسِي غِطَاءٌ؟ فَكَيْفَ أَنَا؟ أَشَكُّ أَمْ يَقِينُ؟

\*\*\*

وُجودی، مَا عَرَفْتُكَ غَيْرَ مَعْنَى تَغْلُغِلَ فِي الْخَفَاءِ، فَمَا يَبِينُ  
غَرِيقٌ فِي الظَّلَامِ، وَلَا مَغَاصٌ وَلَا جِسْرٌ يُلَادُّ بِهِ أَمِينُ  
أَقِيمْ عَلَيْهِ سُرُورٌ مِنْ عُبَابٍ تَضِلُّ عَلَى جَوَانِبِهِ السَّفِينُ  
اطِلْ، وَيَضْرِبُ التِّيَّارُ وَجْهِي فَأَيْنَ أَنَا؟ أَحَرُّ أَمْ سَجِينُ؟

\*\*\*

وجودی، أَيْنَ أَنْتَ؟ أَلَا سَبِيلُ الْيَنَكِ، فَيَسْهَدُ الْعَانِي الْحَزِينُ؟  
وَمَنْ أَنَا فِي بَنِي الدُّنْيَا؟ وَمَا لِي وَلَدْتُهَا، وَمَا وَعَرِ الْقُرُونُ؟  
أَلْتَشْغَلُنِي الْحَيَاةُ بِكُلِّ حَيٍّ وَتَوَلَّعُنِي بَمَنْ طَوَتْ الْمَنُونُ؟  
أُرِيدُ هَوَادَّةً، وَتَتَوَرَّ حَوْلِي هُمُومٌ، مَا لِعَاصِفِهَا سَكُونُ؟  
وَتَسْلُبُنِي خُطُوبُ الدَّهْرِ نَفْسِي فَمَا خَطْبِي؟ أَحْيٍ أَمْ دَفِينُ؟

\*\*\*

وُجودی، مَا وَجَدْتُكَ غَيْرَ خَصْمٍ تَلِينُ قُوَى الْخُصُومِ وَلَا يَلِينُ  
قَرِينُ مَضْرَقٌ لَا بُدَّ مِنْهُ إِذَا مَا رَأَيْتَنِي، فَضَى الْقَرِينُ  
تُسْطِيلُ عِدَاوَتِي، وَأَنَا الْمَعَادِي وَتَهْدِمُ قُوَّتِي، وَأَنَا الْمَعِينُ  
أُرِيدُ الصَّمْتَ أَسْتَبْقِيكَ جُهْدِي وَتَنْطَقُنِي الْحَوَادِثُ وَالشُّؤُونُ  
وَمَا لِي أَرْقُبُ الْعُقْبَى فَأَشْتَقِي؟ وَمَا الْعُقْبَى؟ أَجَدُّ أَمْ مَجْجُونُ؟

\*\*\*

وُجودی، مَا الْوُجُودُ، وَمَا وَرَأْيِي؟ إِذَا عَدَتِ النَّوَى، وَمَضَى الرَّهْنُ؟



رَأَيْتُ الْمَرْءَ لَا يُغْنِيهِ عَقْلٌ  
سَأَلْتُ الْعِلْمَ كُلَّ فَتَى عَلِيمٍ  
وَمَا تُغْنِي الشُّرُوحُ ، وَإِنْ تَنَاهَتْ  
وَمَا الْعُقُلَاءُ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

وَلَا يَهْدِيهِ فِي الْأَحْيَاءِ دِينُ  
فَلَا سَمَحَ أَفَادَ ، وَلَا ضَمِينُ  
إِذَا اسْتَعَصَتْ عَلَى الْعَقْلِ الْمُتَوْنُ  
إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى الدُّنْيَا الْجُنُونُ

\*\*\*

دِيَارَ الشَّرْقِ ، هَلْ بَكَ مِنْ قَطِينٍ ؟  
ظَلِمْتُ ، وَفِي فِي الْأَدَبِ الْمُصَفَّى  
ظَلِمْتُ أَبِي وَنَفْسِي إِنَّ مِثْلِي  
كَرِيمٌ تَدْفَعُ الْأَخْلَاقُ عَنْهُ  
أَقُولُ فَيُفْزِعُ الشُّعْرَاءُ صَوْنِي  
لِرَبِّي مَا عَمِلْتُ وَعِنْدَ قَوْمِي  
أَمِنْ أَدَبِي تَبَيْتُ الطَّيْرُ تَبْكِي ؟

دَعَيْتُ ، مَا الدَّيَارُ وَمَا الْقَطِينُ ؟  
وَضَعْتُ ، وَفِي يَدِي الْكَزْزُ الثَّمِينُ  
لَغَالٍ فِي التَّوَالِغِ لَا يَهُونُ  
وَيَمْنَعُ رُكْنَهُ الْأَدَبُ الْحَصِينُ  
وَمَا أَنَا فِي بَنِي وَطَنِي ظَنِينُ  
دُيُونِي ، حِينَ تَلْتَمَسُ الدُّيُونُ  
فَمَا أَدَبِي ؟ أَشَدُّ أَمْ رَيْنُ ؟

\*\*\*

وُجُودِي ، أَيْنَ كُنْتُ ؟ وَلَيْتَ شِعْرِي ؟  
لَسْتُ أَعْجَبْتُني فَرَضِيْتُ حِينًا  
كَهَرْتُ وَمَا عَرَفْتُ مَكَانَ نَفْسِي

عَلَى طُولِ الْمَقَامِ ، مَتَى تَبِينُ ؟  
لِذَلِكَ مَا جَنَى الرَّأْيُ الْغَبِينُ ؟  
فَمَا أَذْرِي أَشَيْخُ أَمْ جَنِينُ ؟

\*\*\*

وُجُودِي ، حَانَ مَوْعِدُ كُلِّ صَادِرٍ  
نَهَانِي عَنْ حَيَاةِ السُّوءِ عَلِيٍّ  
أَشَدُّ عَلَى الْفَنُونِ يَدِي ، وَإِنِّي  
يَصُونُ الْحُرَّ مُهْجَتَهُ فَيَبْتَقِي  
رَأَيْتُ الْعَزَّ أَجْمَعَ فِي رِاعٍ

وَأَبْطَأَ مَوْعِدِي ، فَتَى يَحِينُ ؟  
بِمَا يَصُمُّ الرِّجَالَ ، وَمَا يَزِينُ  
لَنِي زَمَنٍ جِهَالَتُهُ فَنُونُ  
وَيُهْلِكُ نَفْسَهُ الضَّرْعُ الْمُهِينُ  
يَصُونُ جَلَالَهُ خُلُقُ مَسِينُ



وما يَبْقَى الهَزِيرُ بِغَيْرِ نَابٍ وَلَوْ أَنَّ السَّحَابَ لَهُ عَرِينُ

\*\*\*

سَلِّ (الهرم) الخلد بعد (خوفو)  
خصيم الدهر تستعصي ذراه  
يزلزل راحف الأحداث منه  
فتي الدولات، يلهمها هداها  
وينهي المالكين، فلا غرور  
نصيح لا يغش، ولا يداجي  
زها نبت المالك في ثراه  
مشيع نعشها، إن كان موت  
ثري دارت عليه رحي الليالي  
حمى (فرعون) دمر كل عال  
أماذنة الخلود يطل منها  
تمر به العصور، فمستسر  
بناء العبقريّة في صباها  
تدين له الصواعق، وهو رأس  
تشكت طول صخبته الليالي

\*\*\*

وجودي، أنت لي ولكل حر  
حنين ما رأيت، ولا خلود  
إذا عزّ السبيل على أناس  
خدين جلاله، نعم الخدين  
خلود ما بنيت، ولا حنين  
فأنت إمامهم، وأنا الضمين

احمد محرم

(۱) الدرين ما اسود وقدم من النبات

(۲) الشين من يقوم بخدمة العريس في العرس، والامر متقارب



غير هياب و  
أعدائه وتنه  
الدماء مذرار  
والفينة جواد  
فيتجلى في اخ

## المنذر بن ماء السماء

ملك الحيرة

٥١٤ - ٥٦٣ م

بقلم يوسف رزق الله غنيمة وزير مالية العراق سابقاً

في بدء

بين الفرس و  
علاقته بالروم  
التخوم الفار  
التي بعث بها  
(٥٢٧ -  
واشتعلت نار  
وكان الا

هو المنذر الثالث ابن امرئ القيس سمي ابن ماء السماء بلقب امه ماء السماء ذلك اللقب الذي غلب على اسمها لجمالها وحسنها<sup>(١)</sup> او لكرمها ورقة طبعها<sup>(٢)</sup> وقيل سميت به نسبة إلى السماوة وكانت تدعى بماء فسمتها العرب ماء السماء<sup>(٣)</sup> وقيل كان اسمها ماوية او مارية بنت عوف ابن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن الخزرج بن تيم الله بن الحر بن قاسط<sup>(٤)</sup> ويقال بل هي ربيعة اخت كليب والمهلل التغلبيين<sup>(٥)</sup> وروى بعضهم ان المنذر لقب ماء السماء لجوده وسخائه كما يملأ قطر الغيث الارض<sup>(٦)</sup>. وعرف المنذر بذى القرنين لضفيرتين كانتاه من شعره<sup>(٦)</sup>

معاهدة صلح  
شمعون اسقف  
الذي كان قد  
معاهدة صلح  
نجهل الا  
المنذر بلاد  
يتحالف مع  
والحرب على  
ومما يد

حكم هذا الملك عهدان تتخللهما فترة فالعهد الاول في زمن قباز وهو بدء ملكه في الحيرة تولى عرشها بعد وفاة أبيه سنة ٥١٤ وهي السنة السادسة والعشرون من حكم قباز وعلى ذكر قباز نقول انه تزين بتاج الاكسرة سنة ٤٨٨ وفي سنة ٤٩٦ طرده جاماسب وحكم دولة الساسانيين. وعاد قباز ثانية إلى الحكم سنة ٤٩٨ وما كان لقباز من استيلاء جاماسب على دولته حدث للمنذر الثالث. فان الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي استولى على الحيرة بمعاونة قباز وطرد المنذر الثالث في سنة ٥٢٩ وبقي عليها حتى سنة ٥٣١ وفي هذه السنة طرد كسرى انوشروان الحارث بن عمرو الكندي واعاد المنذر الى حكم الحيرة وبقي عليها حتى وفاته سنة ٥٦٣ وهذا هو عهد حكمه الثاني<sup>(٧)</sup>

قبل ان نأتي على تاريخ الحيرة في عهد المنذر بن ماء السماء لنقل كلمة في خلق هذا الملك :

او سرجيس  
ملك اليمن ا

(١) حمزة الاصفهاني ٧٠ (٢) شيخو : النصرانية وآدابها ٨٨ (٣) معجم البلدان مادة سماوة قال ياقوت ان ماء السماء هي ام النعمان . اما السماوة فهي بادية بين الكوفة والشام قفرى . وقال السكري السماوة ماء لكب (٤) الطبري ٩٢:٢ وحمزة الاصفهاني ٧٠ ذكر الطبري اسمها مارية والاصفاهاني ماوية (٥) النصرانية وآدابها ٨٨ (٦) الطبري ٩٢:٢ (٧) ابو الفداء ٧٤:١ ويجعل كوسن دي برسفال بدء حكم ابن ماء السماء سنة ٥١٣ ونهايته سنة ٥٦٢



كان المنذر قوي الشكيمة لا يستميله الوعد ولا يلويه الوعيد يخوض غمارات الموت غير هيب ولا وجل وينزل معامع القتال ثابت الجأش كالأسد الضرغام فيلقى الرعب في قلوب أعدائه وتنهزم فلول جيوشهم مولية الادبار هلعة لان الرجل كان ظالماً عاتياً فتاً كاسفك الدماء مذراراً لاشباع اطماعه ونفسه الوثابة وإرضاء لواهمة الحادة الخيال وكان يظهر بين الفينة والفينة جواداً كريماً تعف عن نفسه الشرّ شأن الرجال الذين يقضون ايامهم في اضطراب وقلق . فيتجلى في اخلاقهم مظهران متشاكسان مظهر القسوة ومظهر العطف على البشرية المتألمة

\*\*\*

في بدء ملك المنذر كان قباز ملك الفرس قد عقد الصلح مع الهياطلة بعد حروب دامت بين الفرس والهياطلة عشر سنوات (٥٠٣ — ٥١٣) فاتيح له آئذ ان يوجه نظاره إلى علاقته بالروم لأن الروم كانوا قد استفادوا من انهماك الفرس بحرب الهياطلة فتقدموا من التخوم الفارسية وعززوا حصونهم في مدينة دارا ولم يصغ الانبراطور النسطاس إلى الاعتراضات التي بعث بها إليه قباز على لسان وفد اوفده إليه وتابع يوسطنوس الاول Justin I (٥١٨ — ٥٢٧) سياسة سلفه العدائية تجاه الفرس . وقصارى القول توترت العلاقات بين الدولتين واشتعلت نار الحرب بينهما في ارمينية الفارسية<sup>(١)</sup>

وكان الانبراطور يوسطنوس الاول يخطب ودّ المنذر بن ماء السماء ويحاول ان يعقد معه معاهدة صلح وولاء . فأرسل إليه وفداً في هذه المطاوي للمفاوضة يخبرنا احد كتبة السريان شمعون اسقف ارشم أنه في ٢٠ كانون الثاني (يناير) سنة ٥٢٤ غادر مدينة الحيرة مع القس ابراهام الذي كان قد اوفده الامبراطور يوسطنوس الاول إلى المنذر ملك العرب ليفاوضه في عقد معاهدة صلح فالتقى الوفد بالمنذر في رملة Ramla<sup>(٢)</sup>

نجهل الدواعي التي حدثت بالانبراطور إلى إرسال هذا الوفد في ذلك التاريخ وغزوات المنذر بلاد الروم كانت بعد ذلك التاريخ على ما نحدس إلا اننا نرتئي أن يوسطنوس أراد أن يتحالف مع ملك الحيرة ليأمن حدود برية الشام في زمن كانت علاقته بالفرس غير مرضية والحرب على قاب قوسين او اندلعت نيرانها في ارمينية الفارسية

ومما يذكره لنا شمعون الارشمي في رسالته هذه انهم ( اي هو والقس ابراهام وجرجس او سرجيس اسقف الرصافة )<sup>(٣)</sup> علموا آئذ أن المنذر أخذ رسالة من ذي نواس الحميري ملك اليمن اليهودي يستحثه فيها على اضطهاد النصارى وقتلهم في الحيرة كما فعل هو

(1) Sykes : His. of Persia : I:480-481 (2) Duval : Litt. Syriacque 148-151

(3) السمعاني المكتبة الشرقية ١: ٣٦٤ طبعت رسالة شمعون الارشمي بالسريانية وترجمت الى اليونانية والبرتغالية



بنصاري نجران<sup>(١)</sup> فأثر كلام ملك اليمين في المنذر وأراد أن يعتنق إيمان المنتصرين من جيشه فدعا قوماً منهم وعرض عليهم جحود إيمانهم فقام أحد ضباطه فقال له: «ان تنصرونا قد سبق جلوسك على عرش المناذرة فبهات أن تقنعنا بالعدول عن ديننا وعلى كل أن كان رفقائي لا يثبتون في مذهبهم فاني لا أجحده مطلقاً ولست أخاف العذاب ولا الموت كما تحققت ذلك لما رأيته في وقائع الحروب اذا لم يك سيفي اقصر من سيف سواي» فلما سمع المنذر كلامه عرف انه لا يستفيد شيئاً فعدل عن قصده وترك كلاً من جنوده يتبع دينه<sup>(٢)</sup>. وفي سنة ٥٢٨ كانت الحرب سجلاً بين الروم والفرس وكان جيش الروم بقيادة بلساريوس Belisarius فني بنحسار فرأى الملك يوستينيانوس Justinian (٥٢٧-٥٦٧) خليفة يوستينوس الاول تقوية جيشه فقواه. وكان الجيش الفارسي بقيادة فروز مهران يتقدم الى دارا<sup>(٣)</sup> وزى في هذه التضاعيف المنذر بن ماء السماء يغزو الحارث بن ابي ثمر ملك غسان وينتصر عليه وبغتم الغنائم الكثيرة والمال الوافر ويمعن في اجتياح سورية ويتقدم الى انطاكية ويستولى عليها ويقدم الى الالهة العزى ضحايا بشرية اربعمائة راهبة كما ذكره الكتبة السريان وسلب ونهب وقتل وأتت الرعب في القلوب<sup>(٤)</sup>

لم يطل الأمد على المنذر في حكمه بعد هذه الواقعة بل قام عليه الحارث بن حجر آكل المرار الكندي<sup>(٥)</sup> وطرده من الحيرة واستولى عليها بمؤازرة كسرى قباد لأنه شايعة في المزدكية مذهب مزدك بن بامدادان الزنديق الذي ظهر في ايام قباد المذكور فوالاه قباد المذكور ودان بالمزدكية الأمة الناس بالتساوي في الاموال والاشتراف في النساء أي مذهب الشيوعية<sup>(٦)</sup> وكان المنذر قد رفض المزدكية فاغتاز منه قباد ونقم عليه<sup>(٧)</sup>. وقال حمزة الاصفهاني<sup>(٨)</sup> في هذا الموضوع. فضعف ملك العرب لان مادة قوة ملوك العرب كانت من جهة ملوك الفرس فعندها ملكت بكر بن وائل عليها الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار فهرب المنذر من دار مملكته الحيرة ومضى حتى نزل إلى الجرساء الكلي وأقام عنده وكانت هذه الحوادث نحو سنة ٥٢٩. ثم أن أمراً القيس الثالث<sup>(٩)</sup> (والد المنذر بن ماء السماء) كان يغزو قبائل ربيعة فينكي بهم

(١) راجع عن هذا الاضطهاد الطبري ١٠٥:٢ وابن الاثير ١٧١:١ (٢) شيخو: النصرانية وآدابها ٨٩ (٣) Sykes: His. of Persia I:481 (٤) تاريخ ميخائيل الكبير طبعة شابو ١٧٨:٢ وتاريخ زكريا الخطيب طبعة لندن ٢٤٤:٣ (٥) قال القلقشندي: في كتابه نهاية الارب في معرفة انساب العرب ص ٣٣١ كندة قبيلة من كهلان وكندة هذا ابوههم واسمه نور وانما سعي كندة لانه كند اباه اي كفر نعمته وكندة هذا هو ابن اخي جذام ولحم وعامله وبلاد كندة باليمن وكان لكندة هؤلاء ملك بالحجاز واليمن ومنهم امرؤ القيس الشاعر المشهور. آه. وكانت كندة قبل ان يملك حجر عليهم بغير ملك يأكل القوي الضعيف ففسد امورهم وساسهم احسن سياسة واتزع من اللخمين ارضهم (٥٠٣ م) ثم ملك بعده ابنه عمرو المقصور ثم استخلفه الحارث وعظم شأنه حتى ولاء قباد على العراق زمناً (٦) ابو الفداء ٧١:١ (٧) ابن الاثير ١: ١٧٥ (٨) كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانباء ٧١ (٩) يذكر الاصفهاني اسمه امرء القيس البدء ونظنه غلطاً والاصح الثالث

(١) يفهم من تاريخ الطبري ٢ ابن تبع الاقرن (٥) وجاء هذا الشعر في وقت آكل المرار فك ابن المنذر فك عشر شاباً من الحيرة بالفتية من رسله فارسلوا (٦) الاثني



ومنهم أصاب ماء السماء وكانت امرأة أبي حوط الخطأ ثم أنه ترك الحزم في غزوة من غزواته فثارت به بكر بن وائل فهزموا رجاله وأسروه فبقيت تلك العداوة في نفوس بكر بن وائل إلى أن وهى امر الملك قباذ فعندها أرسلت بكر إلى الحارث بن عمرو الكندي فلكوه وحشدوا له ونهضوا معه حتى أخذ الملك ودانت له العرب <sup>(١)</sup>

بقي الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي ملكاً على الحيرة حتى مات قباذ وتولّى تاج الاكسرة كسرى أنوشروان العادل سنة ٥٣١ وانتقض على مزدك فقتله وقتل اشياعه شر قتلة وطهر البلاد من الزندقة وبلغه أن الحارث آكل المرار دان بالزندقة وحامى الزنادقة بمعنى أن المزدكيين الذين طاردتهم كسرى وخشوا قصاصه هربوا ملتجئين إلى الحارث في الحيرة فبعث كسرى إلى المنذر بن ماء السماء من اشخصه إليه فقواه برجال من الاساورة وردّه إلى الحيرة ملكاً <sup>(٢)</sup> وكان الحارث يومئذ في الانبار فبلغه الامر فخرج هارباً في صحابته وولده فرّ بالشوية وتبعه المنذر بالخليل من تغلب وايد وبهر فلحق بارض كلب ونجا وانتهبوا ماله وهجائنه وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار فقدموا بهم إلى المنذر <sup>(٣)</sup> فأمر المنذر بقتلهم بجفر الاملاك في ديار بني مرينا العباديين بين دير هند الكبرى والكوفة فقتلوا . ورثاهم امرؤ القيس الشاعر الذائع الصيت وهو حفيد الحارث آكل المرار وكان مع هؤلاء الذين قبضت عليهم تغلب من بني قومه وهو أفلت واليك مرثيته <sup>(٤)</sup>

ألا يا عينُ بكّي لي شنيئا وبكّي لي الملوك الذاهبين  
ملوكاً من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلون  
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا  
ولم تغسل جاجهم بغسل ولكن في الدماء مرملينا  
تظل الطير حاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا <sup>(٥)</sup>

وفي هذه الموقعة يقول عمرو بن كلثوم في معلقته <sup>(٦)</sup>

(١) يفهم من رواية الاصفهاني ان احتلال الحارث الكندي الحيرة كان بالرغم عن قباذ . ويؤيد هذه الرواية ما جاء في تاريخ الطبري ٨٦: ٢ ان الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ملك الحيرة هو ازرقة خاله تبع بن حسان بن تبع بن ملكي كرب ابن تبع الاقرن (٢) حزة الاصفهاني ٧١ (٣) ابن الاثير ١: ١٧٥ (٤) الاغانى ٨: ٦٢ وشعراء النصرانية ٧ (٥) وجاء في معجم البلدان في مادة (دير بني مرينا) وفي شعراء النصرانية ص ٥٧ ان امرأ القيس قال هذا الشعر في وقعة يختلف وصفها عما جاء في الاغانى كما اثبتناه في النص اعلاه وهو ان قيس بن سلمة حفيد الحارث آكل المرار اغار على المنذر فهزمه حتى ادخله الخورنق ومعه ابناه قابوس وعمرو ولم يكن ولد له يومئذ المنذر ابن المنذر فكش المنذر ذو القرنين وهو ابن ماء السماء حولاً ثم اغار عليهم بذات الشقوق فأصاب منهم اثني عشر شاباً من بني حجر بن عمرو كانوا يتصيدون وكان معهم امرؤ القيس الشاعر ولكنه أفلت وقدم المنذر في الحيرة بالفتنة فحبسهم بالقصر الابيض شهرين ثم ارسل اليهم ان يؤثي بهم نخشي ان لا يؤثي بهم حتى يؤخذوا من رسله فارسلوا اليهم ان ضربوا اعناقهم حتى ما اتاكم الرسول فأتاهم الرسول وهم عند الجفر فضرّبوا اعناقهم به (٦) الاغانى ٨: ٦٢



فَأَبَوْا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مَصْفِدِينَا

كان الحارث آكل المزار قد فرّق ولده في قبائل العرب فلّمك ابنه حجراً على بني أسد وغطفان وملك ابنه شرحبيل (قبل يوم الكلاب) على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة وطوائف من بني دارم بن تميم والرباب وملك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم ابن حنظلة والصنائع وهم بنو رقية وملك ابنه عبدالله على عبد القيس وملك ابنه سامة على قيس<sup>(١)</sup> فكان المنذر بن ماء السماء يتحين القرض للانتقام من أعقاب الحارث فوقع خلاف بين ابني الحارث شرحبيل وسلمة آلت الى حرب وقتال وبعد وقائع دامية في يوم الكلاب التجأ أحدهم سامة ببني تغلب فاخرجت تغلب سامة من بينهم فلجأ الى بكر بن وائل فلما صار عند بكر اذعنت له وحشدت عليه وقالوا لا يملكننا غيرك فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فأبوا ذلك خلف المنذر ليسيرن اليهم فان ظفر بهم فليذبهم على قلة جبل اواره حتى يبلغ الدم الحضيض وسار اليهم بمجموعهم فالتقوا باواره فاقتتلوا اقتتالاً شديداً وانجلت الواقعة عن هزيمة بكر واسر يزيد بن شرحبيل الكندي فأمر المنذر بقتله. وقُتل في المعركة بشر كثير واسر المنذر من بكر اسرى كثيرة فأمر بهم فذبخوا على جبل اواره فجعل الدم يحمى فليلع الله لو ذبحت كل بكري على وجه الارض لم يبلغ دماؤهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم الى الحضيض وأمر بالنساء ان يحرقن بالنار فتشفع رجل من قيس فأطلقهن المنذر واشتهرت هذه الموقعة عند العرب بيوم اواره الاول<sup>(٢)</sup> لا نعلم متى حدثت موقعة يوم اواره. هل بعد عودة المنذر الى حكم الحيرة تواتراً أو بعد غزوة سورية للمرة الثانية في عهد كسرى انوشروان كما سيجيء ذكرها. وبعد زوال ملك الحارث بن عمرو بن حجر آكل المزار قال امرؤ القيس يرثي ملك جده ويصف تباريح الزمان:

أَبْعَدَ الْحَارِثُ الْمَلِكُ بْنُ عَمْرٍو لَهُ مُلْكُ الْعِرَاقِ إِلَى عَمَانَ

مَجَاوِرَةَ بَنِي شَمْجِي بْنِ جَرْمٍ هَوَانًا مَا آتِيَتْهُ مِنَ الْهَوَانِ

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَمْجِي بْنِ جَرْمٍ مَعِيزُهُمْ حَنَّانُكَ ذَا الْحَنَانِ<sup>(٣)</sup>

وبقي المنذر بن ماء السماء يطارد آل آكل المزار ويبطش بهم وهم يهابونه. ومنهم امرؤ القيس الشاعر الطائر الشهرة. فلبثوا عهداً عند الحارث بن شهاب حتى بعث اليه المنذر مائة من رجاله يوعد به بالحرب ان لم يسلم اليه بني آكل المزار فأسلهم ونجا امرؤ القيس. فخرج على وجهه وأقبل على فرسه الشقراء لاجئاً الى ابن عمته عمرو بن المنذر بن ماء السماء. لان ام عمرو هند بنت عمرو بن حجر بن آكل المزار وذلك بعد قتل ابيه واعمامه وتفرق اهل بيته وكان عمرو يومئذ خليفة لابيّه المنذر بيقّة وهي بين الانبار وهيت فمدحه وذكر صهره ورحمه

(١) الاغانى ٦٢ : ٦٣ (٢) ان الاثير ٢٢٨ : ١ (٣) شعراء النصرانية ٦٧



وانه قد تعلق بحباله ولجأ اليه فأجاره عمرو ومكث عنده زمناً ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه وانذره عمرو . فهرب الى هانيء بن مسعود بن عامر احد رؤساء بني شيبان فلم يجره وقال له انا في دين الملك فأتى سعد بن ضباب الايادي سيد قومه فأجاره<sup>(١)</sup>

وذكر مؤرخو الروم مثل ننوز وبروكوب وغيرهما ان امرء القيس وهم يسمونه قيساً قبل وروده على القيصرييوس سستينانوس اوفد اليه وفداً يطلب منه النجدة على بني اسد وعلى المنذر ملك العراق<sup>(٢)</sup> ذكر سايكس<sup>(٣)</sup> ان في سنة ٥٣١ اتخذت التدابير في بلاد فارس لاجتياح سورية بمحالفه العرب بامرة المنذر بعد ان اخفقت مفاوضة الصلح مع الروم الا ان القائد الساهر بلساريوس وقف على هذا الخبر وسير عساكره سيراً حثيثاً وجعله حائلاً بين الغزاة وانطاكية . ولما فشل الجيش الفارسي في تحقيق جُلِّ مقصدهم انجلوا عن البلاد الرومية وكان في نية القائد الرومي ان ينسح لهم المجال في جلائهم هذا الا ان عسكره ضجَّ صاخباً وأراد ان يطارد الفرس فوافقهم مرغماً ولكنهم خسروا وتخرج موقفهم ولم يتمكن قائدهم من الخلاص من هذه الورطة الا بمهارة عسكرية . وكانت هذه آخر موقعة من الحروب وجاء خبر موت قباذ آنئذ فكفَّ الجيش الفارسي وانجلي يفهم من رواية سايكس ان في اخريات أيام قباذ كان المنذر في رأس العرب الذين نصرروا الفرس في هذه الحرب مع ان مؤرخي العرب ذكروا ان المنذر كان على غير وئام مع قباذ وان الحارث آكل المرار كان قد اغتصب ملك الحيرة بمؤازرة قباذ نفسه كما مرَّ بنا قبيل هذا . فان صحَّت رواية سايكس هذه فلا نجد لتعليقها سبيلاً الا ان العلائق بين المنذر وقباذ كانت قد بدأت بالتحسن وكان ملك الفرس محتاجاً الى المنذر وكان المنذر يرجو خيراً من التقرب من خسرو قباذ وربما كان يطمع في الغزو . ومع هذا فان بعض المؤرخين يروون ان زحف المنذر على سورية في هذه السنة عينها ٥٣١ كان نجدةً لكسرى أنوشروان وليس لقباذ والواقع ان في هذه السنة مات قباذ وملك أنوشروان وعقد يوسطينانوس معاهدة صلح مع الفرس<sup>(٤)</sup> لانه كان يرمي الى ايجاد صلات سلم في الشرق ليتسع له مجال الحرب والفتح في ايطالية وافريقية ولم يدخل اسم المنذر في هذه المعاهدة

لم يدم الصلح طويلاً بين أنوشروان ويوسطينانوس اذ ساء أنوشروان أخبار النصر الذي ناله الروم في افريقية وايطالية فاعز الى عامله المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة أن يغزو سورية وكان آنئذ اختلاف بينه وبين الحارث بن جبلة الغساني في ملكية طريق للماشية في جنوبي تدمر يدعي المنذر انها من مملكته وينازعه في ذلك ملك غسان فاهتبل المنذر هذه الفرصة وحارب الحارث وانتصر أنوشروان للمنذر وانتصر الروم للحارث فثارت الحرب بين الدولتين وغزا أنوشروان سورية وآسية الصغرى

(ستأتي البقية)

(١) الاغانى ٦٧: ٨ (٢) شعراء النصرانية ٣٥ (٣) Sykes : His. of Persia 1 : 482 (3)



# علم الجغرافية الاجتماعية

والاتجاهات الحديثة في الجغرافية

والاتجاهات الحديثة

## الاتجاهات الحديثة

كانت الجغرافية في نظر القدماء تشمل كل العلوم التي تتناول الارض وما عليها من الاحياء. يقابلها في عرفهم الفلك للاجرام الفلكية والرياضة للارقام والفلسفة للعقل. ولكن فروع العلم التي كانت تنطوي عليها الجغرافية اخذت تنفصل عنها إذ جعل رجال الاختصاص يوجهون الى مباحثهم الخاصة عناية خاصة، فنشأت علوم الطبيعة والكيمياء والجولوجية والجغرافية الطبيعية وغيرها. وإذا فيصح ان نقول ان الجغرافية «أم العلوم»

واشتد الاتجاه إلى التخصص في القرن التاسع عشر، فظن بعضهم انه لم يبق للجغرافية الا الاهتمام بمواقع البلدان وتجارها. والواقع ان معظم ما كان يدرس في فرع الجغرافية في النصف الاخير من القرن التاسع عشر لم يخرج عن تعيين المواقع وذكر حاصلات البلدان. ومعظم الذين تعلموا الجغرافية في ذلك العهد، أو على تلك الطريقة، لا يدركون قيمة الجغرافية في نظر العلم الحديث، وقد يبدو لهم ان ينتقصوا من مكانتها

ولا ريب في ان علم الجغرافية خسر خسارة كبيرة لما انفصل عنه علماء من الطبقة الاولى تلبية لباعث الاختصاص فصاروا يحسبون في عداد الجولوجيين والانثربولوجيين والاقليميين (Climatologists) وفقدت من مكانتها بانفصال هؤلاء عنها حتى كادت الجامعات الاميركية لا تعنى بتدريس الجغرافية على انها علم مستقل، او بتخصيص اساتذة لها بين اساتذة العلوم الاخرى ولكن ما لبثت هذه الغيمة ان انقشعت وتحولت دوائر العلم إلى الاعتراف بفائدة الجغرافية كعلم مستقل، في المانيا اولاً ثم في فرنسا ثم في انكلترا والولايات المتحدة الاميركية. وهي الآن تدرس في كل الجامعات ولاساتذتها مقام لا يفوقه مقام الاساتذة في العلوم الاخرى. وقد فازت الجغرافية بهذه المكانة، لان كبار المربين اعترفوا بانها تتناول ميداناً من المعرفة جديراً بكل عناية ولكنها تحولت عما كانت عليه. فالجغرافية الآن لا تقتصر على تعيين مواقع البلدان وذكر حاصلاتها. بل اتجهت الى ثلاث نواح هي: الجغرافية الانسانية والجغرافية الاقتصادية والجغرافية المحلية والتاريخية اما توزيع النباتات والحيوانات الجغرافي فصرف النظر عنه لان علماء الاحياء يرونه من اختصاصهم، ولان علماء الجغرافية يريدون ان يقتصروا مباحثهم على أثر البيئة في حياة الناس وميدان البحث الجغرافي - أي أثر البيئة في طبيعة الناس وتوزعهم على سطح الارض واعمالهم

وصفاتهم -  
والجامعات الفرز  
اما في المانيا وبع  
واما في جامعة  
ومما يبعث  
التي تنشر الآن  
بين العلوم الاج  
ولما كانت  
لها، فلا يستغ  
ذا فائدة اجتماعية  
الجغرافية  
الجغرافية  
القليلة كالأسر  
وما أثر البيئة في  
من المباحث التي  
الاجتماعي بجملة  
في كفاءة التعليم  
عام. ومن افق  
فالجغرافية  
الجغرافية الاقتصادية  
لما وجوه الجغ  
المناطق المختلفة  
بوجه خاص. بن  
الذين تنجبهم من  
السكان في المدن  
والمواليد والاج  
اما في الجغ  
وشكل سطح الا



وصفاتهم — يجعلها في مكان بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية . لذلك تراها في المدارس والجامعات الفرنسية وبعض جامعات اميركا — مشيغن وكليفورنية — في عداد العلوم الاجتماعية . اما في المانيا وبعض جامعات اميركا — برنستن وكورنل — فتحسب في عداد العلوم الطبيعية . واما في جامعة شيكاغو فتراها قد ذكرت في عداد العلوم الطبيعية والاجتماعية على السواء ومما يبعث على الدهشة انك لا تكاد تقع على ذكر الجغرافية في دائرة معارف العلوم الاجتماعية التي تنشر الآن في بضعة مجلدات . ولعل تأخر علماء الاجتماع عن اقامة الوزن الصحيح للجغرافية بين العلوم الاجتماعية ناشئ عن ان الجغرافية الاجتماعية نفسها لم تبلغ بعد درجة وافية من النمو ولما كانت الجغرافية الاجتماعية تعتمد على التاريخ والاجتماع والاقتصاد في جمع الحقائق اللازمة لها ، فلا يستغرب تأخر نموها . على ان المراقبين لنموها يرون فيها ، إذا بلغت اشدها ، علماً ذا فائدة اجتماعية كبيرة . وما يلي من هذه المقالة بيان موجز لاغراضها وحدودها

### الجغرافية الاجتماعية : مبرراتها واساليبها

الجغرافية الاجتماعية تتناول اثر البيئة في جماعات كبيرة من الناس دون الافراد والجماعات القليلة كالأسر . وتعنى بوجه خاص بالتحوّل الذي يصيب المثلّ الاجتماعية في بلدان مختلفة وما اثر البيئة في هذا التحوّل . وإذا فتنقل مراكز الحضارة وقيام الامم والجماعات وانحطاطها من المباحث التي تسترعي عناية الجغرافيين الاجتماعيين كل الاستراء . وإذا قصر الجغرافي الاجتماعي بحثه على بلاد واحدة تناول بحثه اثر البيئة في ما يمجده بين مناطق البلاد من الاختلاف في كفاءة التعليم ، والصحة الاجتماعية ، والاجرام ، والاثّر في سياسة البلاد ، والحضارة بوجه عام . ومن افتن ابواب هذا البحث للب ، الموازنة بين ما تنجبه المناطق المختلفة من الزعماء فالجغرافية الاجتماعية تضم نواحي من مختلف فروع الجغرافية العامة . فهي تأخذ من الجغرافية الاقتصادية اثر الثروة ومصادرها في الحياة الاجتماعية ومثلها ولكنها لا تتناول الاّ لما وجوه الجغرافية الاقتصادية بالمعنى المألوف . وتتناول من الجغرافية المحلية الموازنة بين المناطق المختلفة في بلاد ما ، في شكل سطح الارض ، وحالة التربة والاقليم ، ولكنها تعنى بوجه خاص بناحية يهملها الجغرافي المحلي Regional Geographer هي ناحية عدد الزعماء الذين تنجبهم مقاطعة ما ، وعدد السكان الذين يملكون بيوتاً ، وانتشار التعليم والامية ونسبة السكان في المدن إلى السكان في الريف واثّر ذلك في المثلّ الاجتماعية ومحاولة ربط نسبة الامية والمواليد والاجرام بالفروق الجغرافية بين المناطق

اما في الجغرافية التاريخية فالجغرافي الاجتماعي لا يوجه عناية كبيرة إلى العلاقة بين الجوّ وشكل سطح الارض أو بين حالة التربة ونتائج المعارك التاريخية وما عقد على اثرها من معاهدات



السلام . وانما هو يعنى عناية خاصة بالبواغث الجغرافية التي كانت ذات اثر في نهوض الامم وانحطاطها، وفوز السلالات أو تضعفها وتلاشيها، وتغيّر المثل الاجتماعية الذي يصحب هجرة السلالات من بلاد إلى بلاد، وانتشار اللغات والعقائد السياسية، وطرق الانتفاع بمصادر الثروة الطبيعية وليست الجغرافية السياسية الا ناحية من الجغرافية الاجتماعية ولكن الجغرافي الاجتماعي يترك للمختص بالجغرافية السياسية درس الحدود بين البلدان ومواقع العواصم وغير ذلك في النبذة المتقدمة المأمة بميدان الجغرافية الاجتماعية . اما اغراضها الاساسية فهي الانتفاع بما يعرف من البيئة واثرها لفهم طبائع الشعوب وعاداتها واعمالها

ولذلك ثلاثة اساليب : الاول ان نتناول شعبين من اصل واحد ونشأة واحدة ولكن احدهما هجر بلاده الاصلية الى بلاد اخرى ثم نوازن بين طبائعهما وعاداتهما ومشلهما، ونحاول تحليل ذلك باثر البيئة الجديدة في الشعب المهاجر . والثاني ان نتخذ بيئتين متماثلتين في اكثر نواحيهما ولكنهما مختلفتان في بعض النواحي ثم نحاول ان نكشف اثر هذا الاختلاف في اجتماع الشعبين اللذين يقطنونهما . والثالث ان نتناول اوضاعاً اجتماعية معينة مثل مقام المرأة او احوال الصحة الاجتماعية وندرسها في بيئات مختلفة محاولين ان نربطها بصفة خاصة من صفات البيئة اذا كان ذلك ممكناً . فالجغرافي الاجتماعي مثلاً يحاول ان يتبين هل إنجاب الزعماء العظام مرتبط اي ارتباط بنوع خاص من الاقليم كالاقليم البارد الشديد التقلب . اما وقد بينا اتساع ميدان البحث وتعقيده فلا يجب ان نجد الجغرافية الاجتماعية لا تزال تحبوعلى طريق النماء . ومع ذلك تمكن اعلام الباحثين فيها — مثل الزورث هنتغتن<sup>(١)</sup> والاستاذ ستيفن فشر استاذ الجغرافية في جامعة انديانا وصاحب هذا المقال — من وضع طائفة من النظريات يصح ان تتخذ اساساً للبحث

### نظريات الجغرافية الاجتماعية

١ — ترتقي الحضارة ارتقاءً سريعاً حيث تكون احوال الاقليم مؤاتية . فاذا نقلت بزور الحضارة الى اقليم غير مؤاتٍ، انحطت الا اذا جدت بهجرة اقوام من بلدان ذات اقليم مؤاتٍ . فاذا شاءت الشعوب القاطنة في بلد مؤاتٍ الاقليم، ان تنشر الحضارة وتزدها في بلاد غير مؤاتية الاقليم، وجب عليهم الا يكتفوا بارسال الزعماء والاغنياء لدى افتتاح البلاد بل يجب امداد البلاد بمجمعات مجدّد حياة الحضارة فيها جيلاً بعد جيل

٢ — تحول التربة الخصبة أو الاحوال المؤاتية لسهولة العيش دون تعزيز الديمقراطية . ففي بلدان من هذا القبيل تتجمع الارض — وغيرها من اشكال الثروة — في ايدي افراد قلائل في حين ان سواد الامة يبقى في حالة فقر وانحطاط . اما في البلدان التي ليست خصبة التربة، فالميل اقوى إلى التساوي — مساواة نسبية — بين طوائف الامة في الثروة والتعليم والسلطان

(١) صاحب مقالة « علم التنجيم الجديد » راجع مقتطف يناير وفبراير ١٩٣١



٣ - ان الحاصلات الطبيعية التي يسهل استخراجها من بطن الارض كالنفط والفحم والذهب هي من عوامل الدمار الاجتماعي في الجماعة التي تستخرجها ويجب ان تحسب في الموازنة الاجتماعية في ناحية الدين لا في ناحية مصادر الثروة

٤ - ان استعمال مصادر الثروة الطبيعية تتوقف على صفات الشعب وبوجه خاص على نشاطهم الطبيعي وبراعتهم الميكانيكية ، اكثر من توقفها على قرب مصادر الثروة من المناطق الالهة . فمعظم الفحم والنفط مثلاً يستعمل في اماكن تبعد كثيراً عن مناجم الفحم وآبار النفط . وعلى الضد من ذلك نجد ان استعمال الفحم والنفط حيث يستنبطان نادر الا اذا كان على مقربة من اماكن استنباطها جماعة متصفة بالنشاط والبراعة الميكانيكية والصناعية

٥ - ان جانباً ضئيلاً جداً من سطح الكرة الارضية ينجب عدداً كبيراً من الزعماء بالنسبة إلى عدد السكان . وذلك لان الاستفادة من مواهب الزعماء يقتضي وجود شعب يقدر المواهب قدرها ويعني بتشجيع المبتكرين . ومعظم شعوب الارض لا يستطيعون تشجيع النوابع مادياً وأدياً لتأخرها الاقتصادي . ولكن ثمة بقاع يتعذر فيها كسب الرزق ولكنها تنجب زعماء اذا كانت أحوال البيئة الاجتماعية مؤاتية لانجابههم وإذا كانت البلدان المجاورة في حاجة إلى هؤلاء الزعماء ٦ - وتندر البلدان التي توجه فيها بيئة اجتماعية كاملة . لان عنصراً أو آخر من عناصر البيئة الاجتماعية

الصالحة مفقود في هذه البيئة أو تلك . واهم هذه العناصر موقع جغرافي حسن يمتاز في ما يمتاز به بحجود بارد متقلب حافظ للنشاط الجسدي والعقلي ، ولكنه على جانب من الدف والرطوبة في بعض فصول السنة حتى يصلح للزراعة . ولا بد كذلك من سلالة سليمة من ناحية الوراثة ، واسباب تسهل تبادل الافكار

٧ - في المدن تباين بين طوائف السكان اكثر من التباين الذي نجده بين سكان ريف فسيح ليس في جوارهم مدن وذلك لان الفرص التي تتاح في المدن لطلاب العمل اكثر تبايناً من الفرص التي تتاح في الريف ٨ - الفروق في المثل الاجتماعية في مدينة ما أو في حي من مدينة فروق في الغالب وهي تختلف باختلاف الاقبال على الحي ، ووسائل المواصلات التي تربطه بالاحياء الاخرى ، وصفات زعمائه وهذه الاختلافات تتم بواسطة انتخاب اجتماعي فيقطن ابناء الامة الواحدة في حي واحد او احياء متجاورة

٩ - يقوى الانتخاب الاجتماعي بارتقاء اسباب المواصلات . ففي المناطق التي تكثر الهجرة اليها تجد متوسط الحماسة والنشاط الذهني والتفاؤل عالياً جداً . كذلك تجد اصحاب المواهب التجارية المالية متجمعين في مراكز التجارة والمال ، واصحاب المواهب العقلية في جوار الجامعات ومراكز التعليم ، والتشاؤم سائداً في المناطق التي اخذت تفقد سكانها كما في المناطق الزراعية

١٠ - ليس ثمة منطقة كاملة من حيث هي بيئة اجتماعية ومهما تتوافر فيها العناصر اللازمة لا بد لها من سد ما ينقصها بما يرد اليها من غيرها . وكل وسيلة تمكن هذا التبادل تفيد فائدة اجتماعية كبيرة . وإذا فُضرب الضرائب على اسباب المواصلات المختلفة ضاراً من الناحية الاجتماعية



## انقضى النهار

ترجمة قصيدة الشاعر الأمير كى لونغلو

لقد انقضى النهار وأخذ الظلام يهوي من اجنحة الليل  
 كريشة سقطت من جناح عقاب في اثناء الطيران  
 ارى انوار القرية تتلألأ من خلال المطر والضباب  
 فيستولي علي شعور أسي لا تستطيع نفسي أن تصدّه  
 شعور أسي وتوق لا يمت إلى الألم بصلة  
 ولكنه لا يشبه الحزن الا كما يشبه الضباب المطر  
 اقرئي لي قصيدة ، أو أغنية ساذجة صادرة من صميم القلب  
 تسكن اضطرابي وتبدد أفكار النهار  
 لا تقرأ لي من شعر الفطاحل ، ولا من المذشرين السمويين  
 الذين يسمع صدى خطواتهم العاتية في اروقة الزمان  
 لأن أفكارهم العنيفة ، مثل ايقاع الموسيقى الحربية  
 تبعث في الحياة حب النضال والجهاد ، وأنا اليلة اتوق الى الراحة  
 اقرأي لي من شاعر متواضع ، تفجرت أغانيه من قلبه  
 كما تنهمر الشايب من غيم الصيف أو الدموع من الاجفان  
 من شاعر ظل في ايام العمل والكفاح وليالي الاضطراب  
 يسمع في قرارة نفسه موسيقى الالان العجيبة  
 أغاني يقرأ الي هدوئها نبض العناء الذي لا يستقر  
 فتجىء كالطائفة التي تتبع الصلاة  
 ثم اقرأي لي من كتاب غين الشعر الذي تختارينه  
 وأضيف الي روعة قوافي الشاعر روعة صوتك الرخيم  
 اذا يصبح الليل حافلاً باصداء الموسيقى ، فتطوي متاعب النهار  
 خيمها ، كما تفعل العرب ، وتسلل في سكرينة الظلام

هو محمد  
 وتوفي قبل  
 الموافق ١٦ س  
 ولما كان  
 إلى الحرية و  
 سنين متتابع  
 الباقية فقه  
 والتفسير و  
 هذه العلوم  
 والأدب و  
 وذاعت  
 ابن عقيل على  
 مرة واحدة  
 في بعض أرو  
 عليه تلك الت  
 في ذلك الوق  
 واختار بجره  
 ساعة ، ومن  
 ويعرضون ع  
 وكان يو  
 قد انشئت في  
 التعليم في ت  
 (١) سمي  
 عليها لانها كانت  
 البلح ( البركاو



# حفني بك ناصف

تاريخ حياته

هو محمد الحفني ابن الشيخ اسماعيل ابن الشيخ خليل بن ناصف ، كان أبوه من أهل العلم وتوفي قبل ولادة ابنه بشهرين أو ثلاثة . ولد المترجم ببركة الحج<sup>(١)</sup> في ٥ محرم سنة ١٢٧٢ هـ الموافق ١٦ سبتمبر ١٨٥٥ م ، وما ترعرع حتى دفع الى كتاب البلدة فتعلم الخط وحفظ القرآن جميعه ولما كان فقيه المكتب يفرط في ضرب تلاميذه ، وكان هو منذ نشأته يأبى الضيم وينزع إلى الحرية والعلم — وقد بقي كذلك حتى وفاته — فقد هرب إلى الازهر فثكت فيه عشر سنين متتابة ، جود القرآن في الاولى منها وحفظ المتون المعتاد حفظها ، وتعلم في التسع الباقية فقه الشافعي والصرف والنحو وعلوم البلاغة والعروض والقافية والمنطق والتوحيد والتفسير والحديث ، وحصل على إجازة برواية الحديث من الشيخ الأشموني . على أنه لم يقنع بدراسة هذه العلوم المدرسية ، فأخذ يتعلم خارج الازهر علم الميقات ومبادئ الفلسفة والانشاء والشعر والأدب وغير ذلك ، وسافر في غضون تلك المدة إلى الحجاز والشام للحج وزيارة المشاهد المقدسة وذاعت شهرته في الازهر بالنحو والشعر ، وأصبح — بطريقة غير رسمية — يعلم به شرح ابن عقيل على الألفية ، وكان نوابغ الطلبة يسألونه في النحو عما شاءوا فلم يعجز عن الجواب مرة واحدة ، اما في الشعر فقد كان لقصائده القدح المعلى في كل الحفلات الأدبية التي كانت تقام في بعض أروقة الازهر فيتبارى فيها شعراؤه من كل صوب ، وكان الازهريون يستكثرون عليه تلك القصائد ويظنون أنه قد يكون سرقتها من الدواوين القديمة ، فاقترح عليهم أشعرهم في ذلك الوقت — فضيلة الشيخ عبد الرحمن قرآنة — أن يساجله في شعر حدد موضوعه واختار بحره وقافيته فساجله على مشهد من الطلبة حتى صنعا أكثر من مائة بيت في أقل من ساعة ، ومن ذلك الوقت آمن الجميع بشاعريته وأخذ طلاب الشعر من الازهريين يلتقون حوله ويعرضون عليه قصائدهم فيزيد فيها أو ينقص

وكان يود أن يقضي حياته في الازهر بين تعلم وتعليم ، ولكن مدرسة دار العلوم كانت قد انشئت في ذلك الوقت ففضل أن ينتظم فيها حتى لا تقوته علومها الحديثة ، وقد كان مستوى التعليم في تلك المدرسة أرق مما هو الآن ، فامتحن مع مائة وخمسين طالباً من أبنه الازهريين

(١) سميت ببركة الحج لانها كانت محط رجال الحمل قليل سفره الى الحجاز كل عام ، وربما وقع الاختيار عليها لانها كانت على حدود الجزء المعمور من الدلتا ، وقد أدى عدد كبير من أهلها فريضة الحج ، وأهم مزارعها البلح ( البركاي )



قبل منهم اربعة عشر كان هو أولهم ، ولم يزل حافظاً لهذه الأولية حتى تخرج من المدرسة بعد سنوات أربع تعلم فيها فقه أبي حنيفة والحساب والهندسة والتاريخ والجغرافية والطبيعة والكيمياء ووظائف الاعضاء والهيئة ومبادئ اللغة الفرنسية ، وذلك زيادة على التوسع في العلوم التي كان يدرسها من قبل

وفي تلك الاثناء كانت الثورة العربية قد نشبت فقام بنصيبه فيها بالخطابة والدعاية السياسية وانتظم في سلك المتطوعين وبقي شهراً في قشلاق عابدين تدرّب فيه على الرماية وبعض فنون الجندية ، وكان يحيد السباحة والغطس إلى حد غير مألوف بين الازهرين وأول منصب تولاه بعد خروجه من المدرسة تعليم الخرس والعميان ، فتيسر له في ثلاث سنين أن جعل الخرس يكتبون كل ما يريدون من المعاني ويفهمون ما يكتبه الناس لهم ، فقامت الكتابة عندهم مكان الكلام والسمع وتيسر له تعليم الكبار من العميان الألفية كلها ورسالة الفضالي في التوحيد ومنظومة الشيخ أحمد قاسم في علم الميقات ، وقد نبغ منهم الشيخ مصطفى الفلكي الميقاتي ، وكان المترجم كلما حاول الانتقال من هذه المدرسة وقف في طريقه المفتش أنسي بك خوفاً على المدرسة أن تقف حركتها

ثم انتقل كاتباً خصوصياً (سكرتيراً) لشفيق بك منصور وكان هذا ميلاً للتأليف والتصنيف ولكنه لم يكن يعرف من علوم اللغة العربية ما يمكنه من ذلك ، فساعد المترجم من حيث اللغة والمادة ، كما ساعد غيره في وضع عدة كتب وترجمة اخرى وانتخب مع الشيخ حمزة فتح الله ومحمود بك رشاد للوفود الى مؤتمر المستشرقين في مدينة فينا تحت رئاسة ارتين باشا ، وقدم كل من الثلاثة بحثاً عامياً ، فلم يقبل في محاضر جلسات المؤتمر ولم يطبع في مجموعته سوى رسالته هو (مميزات لغات العرب)

ولما استعفى شفيق بك من عمل النيابة انتقل المترجم إلى مدرسة الحقوق معلماً للانشاء القضائي والانشاء العام والبلاغة والمنطق وآداب المناظرة ، وقد مكث في تلك المدرسة خمس سنوات نبغ على يديه فيها أشهر المنشئين والمترافعين والمترجمين والشعراء<sup>(١)</sup>

وقد كلفت وزارة المعارف في تلك المدة تأليف كتب سهلة يتعلم التلاميذ فيها قواعد النحو والصرف والبلاغة ، تغنيهم عن تلك المطولات الخالية من التبويب والتي لا تلائم اذهان الطلبة بحال ، فألف كتباً خمسة جرى عليها العمل من ذلك الوقت الى الآن ، وتعلم بها الوف الناشئين في مصر وغيرها. وكانت مصلحة المساحة ترجع اليه لتصحيح اسماء البلدان في اطالسها ثم نقل إلى القضاء الاهلي ومكث فيه عشرين سنة كان فيها ضماناً للعدل والانصاف ومثالاً للصبر

(١) نذكر منهم مصطفى كامل وقد أتم دراسته بتولوز ، وطه حسين وعبد الهادي الجندي وأحمد شوقي وأحمد لطفي السيد وأحمد زكي وعبد الحالقي ثروت واسماعيل صدقي وتوفيق نسيم وطلمت حرب وأحمد زكي أبو السعود





حفني ناصف رحمه الله



والجلد وعنوانا للزاهة والشجاعة ولا يزال أهل البلاد التي تولى القضاء فيها يتحدثون بأنصافه ودقة بحثه وكان في خلال تلك المدة قد فكر مع غيره في إنقاذ التعليم من التردّي في الهوة التي تدفعه اليها الاستعمارية البريطانية بقسورها مهمته على تخريج الموظفين دون انشاء ثقافة حقيقية ، وقد رأى هو وزملاؤه ان يبدأوا سعيهم بانشاء الجامعة المصرية واخذوا في الدعوة الى هذا المشروع . وادرك الانجليز خطورة الفكرة فعملوا من ناحيتهم كل ما يستطيعون لمنع انشاء الجامعة ، فأوحوا إلى صنائعهم ان يطلبوا ويزمروا بالدعوة الى نشر التعليم الاولي كي يضع بين ضجيجهم صوت الداعين الى انشاء الجامعة ، وعين سعد باشا زغلول اذ ذاك وزيراً فاستقال من عضوية مجلس ادارة الجامعة في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٦ ونقل المترجم من مصر الى قنا في ابريل سنة ١٩٠٨ ليتخلصوا من نشاطه وكفاءته

ومع ذلك ظل المترجم وزملاؤه (ومنهم علي علوي باشا ومحمد بك فريد ، وقد طلب اليه مجلس الادارة ان يتنحى عن العمل في لجنة الجامعة نظراً لتطرف لونه السياسي فقبل ، وعبد العزيز جاويش بك وقاسم امين بك وعبد العزيز فهمي باشا) ينادون بانشاء الجامعة المصرية ويجوبون البلاد ويخطبون في الناس ويجمعون الاموال من نقد وعقار ووقف ، وكل عملهم في النهاية بالنجاح وان يكن نجاحاً محدوداً ، فانشئت الجامعة ولكن الدراسة فيها كانت مقتصرة على الحقوق والآداب . واختير المترجم بعد ذلك لتعليم الادب العربي وتاريخه ، فدرسه سنتين مع اشتغاله بالقضاء ، ووضع خلال تلك المدة ثلاثة اجزاء من كتاب الادب العربي ضمنه ابحاثاً لم تكن مطروقة من قبل ، وسافر بعد ذلك الى مؤتمر المستشرقين في اثينا وقدم لهم من المباحث ما فاز بتقديرهم واعجابهم

واصدر وهو وكيل بمحكمة طنطا على محب باشا مدير الغربية اذ ذاك ، حكماً مدينياً له حيثيات توجب محاكمة المدير جنائياً ، وكان من اثر مثل هذه الاحكام ان بقي في طنطا بضع سنوات بدون ارتقاء في المنصب او ازدياد في المرتب ، وحدث ان احيل الشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة العربية الى المعاش ، فالتجته الانظار الى المترجم وألحت عليه وزارة المعارف في قبول ذلك المنصب فوافق في النهاية ، على أن صوت الوشاة حال دون ترقيه ، فلم يزد مرتبه قرشاً واحداً في السنوات الثلاث التي قضاها في المعارف

وكان يوجه أكبر عنايته في تلك المدة الى تنقية اللغة العربية من الالفاظ العامية والدخيلة ووضع اصطلاحات صحيحة للعلوم التي كانت تدرس باللغة الاجنبية ثم تقرر تدريسها بالعربية ، وتنقيح مناهج اللغة العربية ووضع كتب جديدة للمطالعة واخرى في مادة اللغة نفسها ، ولكن ذلك لم يتيسر له كله فقد رأت الوزارة ان الطواف اليومي في المدارس اهم عمل يقوم به المفتشون وكان في ادوار حياته كلها يميل الى الاندية الادبية ، فقد كان وكيلاً للجمعية الاعتدال



التي انشأها اصحاب المقتطف في اول وفودهم على مصر لمحاربة الخمر وحث الناس على الاعتصام بالآداب القويمة ، وكان لها من الشأب ما لا يدركه القارئ الآن نظراً لضائلة شأن أكثر الجمعيات التي تعمل الآن لتحقيق مثل هذا الغرض ، وأسس في قنا نادياً يدعو الى الاخلاق الفاضلة كانت تلقى فيه المحاضرات كل اسبوع ، وكان اكبر العاملين في نادي طنطا وقد التى فيه بضع محاضرات قيمة ، وانشأ في القاهرة نادي دار العلوم للمباحث اللغوية والآداب العربية ، وقد سار النادي خطوات واسعة في سبيل اصلاح اللغة ولولا الاشاعات التي دارت ( قسبيل الحرب ) عن سعد زغلول باشا في آخر وزارته واتهام النادي بأنه متشيع له لأخرج هذا النادي كتباً جيدة وقواميس مستحدثة . وقد كان المترجم من اوائل الذين فكروا في انشاء مجمع لغوي ، وقد تكون هذا المجمع فعلاً وعقد بضع جلسات في دار الكتب المصرية ، ولكن الاحوال حالت دون استمراره ونموه . وكان المترجم يعني بتثقيف أولاده وبناته وبوجه خاص كبراهم ملك ، وهي أول سيدة مصرية طالبت برد حقوق المرأة باعتدال . وقد أصبحت بعد زواجها واقامت بها بالفيوم توقع قصائدها ومقالاتها في الصحف باسم « باحثة البداية » . ثم ختم اعماله العلمية بذلك العمل الضخم الا وهو تصحيح رسم المصحف العثماني . ولكي يدرك القارئ شيئاً عن قيمة ذلك العمل وما بذل في سبيل اتمامه من الجهد والتضحية أرى ذكر الادوار التي مر عليها : —

كان الخديوي السابق عباس حلمي يلحن في قراءة القرآن . وسأل مرة هل ثمة ما يمنع طبع المصاحف بحسب قواعد الاملاء الحديثة ، فلما آتس بعض كبار علماء الازهر من سموه رغبة في تنفيذ ذلك الرأي ، سارعوا إلى تحبيذه والافتاء بجوازه وتفضيله ، وانفرد المترجم أول الامر بالمعارضة في ذلك مراعاة لاصول القراءات وخوفاً ان تتعدد المصاحف في شتى البلاد الاسلامية فيجر ذلك إلى تفكيك روابط الالفه التي يوثقها القراءان بين افراد المسلمين على اختلاف شعوبهم ونحلهم . ثم اقتنع بعض الفضلاء بهذا الرأي فناصروه فانتصر وقد ادى النقاش في درسههم خط المصحف على النمط الذي كتب به اول مرة في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، الى تبين اخطاء في رسم الحروف وقد اخذت تتكرر وتزداد بتوالي الطبع من ذلك العهد حتى ما بعد الحرب ، فوجب العودة الى الصواب . وقد اسند هذا العمل الى اشد المتحمسين له كما هي العادة . وكان المترجم اذ ذاك مفتشاً أولاً للغة العربية بوزارة المعارف ، فكان يقوم به الى جانب عمله الرسمي ، وكان يعاونه الاستاذان احمد الاسكندري ومصطفى العناني ، وكانوا يقطنون ثلاثتهم حلوان فكانوا يجتمعون بمنزلنا هناك ثم جاءت الحرب العظمى ١٩١٤ بولاياتها فعمدت الحكومة المصرية في ذلك الحين الى الاقتصاد المعكوس فتبرعت للجيش الانكليزي بثلاثة ملايين من الجنهيات وتحملت له عن اجر الانتقال في السكك الحديدية وسنت قانوناً تحيل بمقتضاه الى المعاش كل موظف بلغ الستين من عمره ، ولم يطبق

هذا القانون  
البارزة الذين  
وصدر  
على المعاش  
وما تحو  
رؤساء الحك  
جنه ينقده  
هذا العرض  
لاتمام مشرو  
فرفضها هو  
فرفض وعمر  
وبلغ من  
وأبحانه ور  
والشعراء  
وقل  
يعيش أكثر  
الجنهيات  
وقد نجح في  
فأسلم نفسه  
وقد كا  
الذي استغر  
تخلي في سب  
أندري بكم  
دفعته الحك  
تذيع به دعا  
القرآن . و  
في الجغراف  
وعلى نفقة



هذا القانون على اصفياء الحكومة حينئذ بل طبق على المغضوب عليهم ذوي الشخصيات البارزة الذين لا تلين في الحق قناتهم ولا يطاقئون رؤوسهم للمتظاهرين بالسيادة والسلطان وصدر القانون المذكور فأصرّ عدلي باشا يكن وزير المعارف على تنفيذه فيما يختص بأحالة المترجم على المعاش رغم معرفة الوزير ان ذلك التنفيذ يهدد مشروع تصحيح رسم المصحف بالقضاء عليه وما تحرر المترجم من قيود منصبه حتى تفتحت امامه سبل الرزق فعرض عليه بعض رؤساء الحكومة ان يعيدوا اصدار جريدة المؤيد ويسندوا اليه رئاسة تحريرها مقابل الف جنيه ينقدها سنوياً — وهو مبلغ غير قليل باعتبار قوة الشراء في ذلك العهد — فرفض هذا العرض نفوراً من التورط في مناصرة سياسة الحكومة وما يحف بها ، ورغبة في التفرغ لاتمام مشروع المصحف ( وقد عرضت رئاسة التحرير بعد ذلك على المرحوم محمود بك رشاد فرفضها هو الآخر ) . وعرض عليه بعض المحامين ان يشتركوا في فتح مكتب للمحاماة فرفض وعرض عليه منصب رئيسي في ادارة التعليم بأحدى الجمعيات الخيرية الكبيرة فرفض ، وبلغ من اكبابه على تصحيح رسم المصحف ان لم يبق له وقت يجمع فيه اشعاره وازجاله ونثره وأبحاثه ورسائله ومقاماته ويرتبها في كتب يشرف على طبعتها بنفسه كما يفعل غيره من الادباء والشعراء ، وقد كانت كل هذه الاعمال خليقة بأن تدر عليه بعض المال فضلاً عن قيمتها الادبية وقلّ دخله بعد احالته على المعاش فأزّل مستوى معيشته كثيراً . وكان يعرف انه لن يعيش اكثر من بضعة سنوات أخرى فلم يدفعه ذلك الى العمل لكسب بضعة آلاف من الجنيهات يتركها لاسرته الكبيرة ، بل زادته هذه المعرفة اكباباً على تصحيح رسم المصحف ، وقد نجح في اتمامه وأصلح بنفسه آخر مسودات المطبعة ، ثم كأنه شعر ان مهمته قد انتهت فأسلم نفسه للموت بعد أشهر قليلة قضاه في المرض والاحزان

وقد كانت الحكومة سخية . . . في تقدير المكافأة التي صرفتها لورثته على هذا العمل الذي استغرق من وقته ست سنوات ( اذ ان العمل فيه بدا قبل احالته على المعاش ) والذي تخلى في سبيله عن بضعة آلاف من الجنيهات كان يستطيع ان يكسبها من اشتغاله بشيء آخر . أتدري بكم قدرت مجهوده ؟ بمائة جنيه أي بمعدل ١٣٠ قرشاً في الشهر . هذا هو الاجر الذي دفعته الحكومة مقابل ذلك العمل الضخم الذي ربح منه مئات الوف من الجنيهات والذي تذيع به دعايتها في طول البلاد الاسلامية وعرضها . هذا ما دفعته الحكومة لمصلح رسم القرآن . وهي التي دفعت بضعة آلاف من الجنيهات لمدرس انجليزي لانه ألف كتاباً صغيراً في الجغرافيا . . . ولكنك تفتح المصحف فتجد في آخره ان هذا العمل قد تم في عهد الحكومة وعلى نفقة الحكومة وبناء على رغبة الحكومة . صدق من قال . ربّ ساع لقاعد

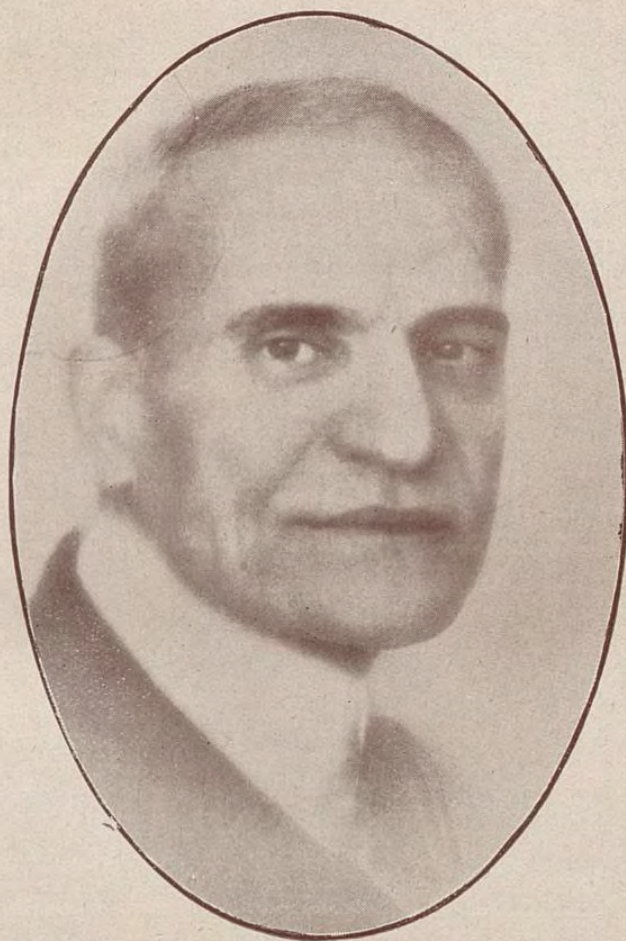


## ملك الخشب

نحن اليوم نعيش في عصر عملي يتطلب النشاط والدأب والعمل على النماء المادي، ويقتضي الاستقلال الصناعي والتجاري، لأن حياة الأمم أصبحت الآن في الأسواق، وفي أيدي القائمين بها، والتاجر الكبير في هذه الأيام درجة من درجات المقياس الذي يعلو أو يهبط بحياة الأمة التي هو منها، وقد يستطيع السياسي الآن أن يقلب شأنًا من شؤون الحياة الأهلية في شعبه، ولكن التاجر هو الذي يستطيع وحده أن يقف في وجهه ويحول بينه وبين مأربه، وهم يقولون أن المانيا لم تستطع أن تثير الحرب الكبرى إلا بعد أن سبرت غور تجارها وماليها وأهل العمل والقوة الصناعية فيها، إذ كان هؤلاء هم جيوب الأمة وهم خزائنها، وهم كل ذخايرها وأسلحتها، والأمة التي تكثر منهم، وتزيد لنفسها في عدادهم، هي الأمة التي تتسلح بأكثر الأسلحة في معركة الحياة والناس اليوم يستبشعون الحرب الكبرى ويستكرون بلاءها، لكثرة الدماء التي سفكت في ميادينها، والثروات العظيمة التي ضاعت في سبيلها، ولكن الحرب كانت قائمة قبل أن تنشب المعركة في الميدان، غير أنها لم تكن حرباً يلبس لها الناس الادرية العسكرية ويحشدون لها المدافع والدخائر الحربية، وإنما كانت حرباً قائمة في الحوانيت، وفوق المكاتب، وفي بيوتات التجارة والمال، وكان يتدرع أهلها فيها بأسلحة أدق من المدفع، وأحذق من القنبلة، فلما سئمت الأمم هذه الحرب التجارية الخفية الصامتة، انطلقت تثير حرباً ضاحكة غير أخفية، وكان التجار وأهل العمل والمال هم الذين يملكون إنهاءها أو إطالة عمرها وقد كان نابوليون يقول ساخراً من الانجليز أنهم شعب من اصحاب الحوانيت، فأكبرها الانجليز منه وعدوها مديحاً لهم، ثم لم يستطع نابوليون المزهو العظيم أن يغلظ حانوتاً واحداً منها ونحن شعب أولي في كل ما يتعلق بالعمل، لاننا لا نزال بعد في دور الطفولة الاجتماعية، ولا يزال يعوزنا النشاط العملي الذي نستطيع به أن نكافح القوة التجارية التي يطالعا بها الاجني في الأسواق المالية، ولنا نملك المواهب التي تجعل التاجر الأوروبي المثل الأعلى في التجارة لاننا لا نستطيع ان نجاريهم في التجارة من ناحيتها النفسية، فالتجارة من الاعمال التي لا غناء لها عن تعرف اسرار النفوس ونزعاتها، ونواحي التأثير فيها واساليب اقناعها وارضائها. ومن هنا أصبح التاجر الوطني الذي ينجح في وسطنا هذا، ويزكومتجره، لا بد أن يكون رجلاً ذا ارادة قوية، ومن اكبر العارفين بعلم النفس لانه لم ينهزم في السوق التجارية الممثلة بجسارة



تجار الغرب  
ولكن هـ  
اعظم أثر  
منافذ جـ  
ان  
لان مهمـ  
ان تنافس  
وسيطرو  
نسوقه إ  
الفكرية  
كان  
في النفس  
كان نقيض  
يرشد وا  
يكن الا  
فانت  
كان يعيد  
الذين يم  
ولبت ا  
الاجتماعي  
الفلسفية  
التي كان يح  
ونع  
توفيقاً  
إذا  
وتخليه  
على  
من رو



اسعد باسيلي

امام صفحة ٦٠٣

مقتطف دسمبر ١٩٣٢



تجار الغرب ودهاته ، وعرف كيف يقاوم العوامل الاهلية العديدة التي تحول دون النجاح وبعد ، لعلني اذا سوّدت هذه الصفحة اديت عملاً جليل الفائدة يعود بالنفع على الناس ولكن هذا النفع الذي يتأتى من عظة بليغة أو درس في الاجتماع اسوقه الى الناس لا يكون اعظم أثراً من مشروع للحياة يشترك فيه الناس بأيديهم وعقولهم واموالهم للاستحواذ على منافذ جديدة يتسع بها نطاق التجارة الوطنية والاقتصاد وتنمو الثروة الاهلية

ان الحياة المادية ذات العواقب الملموسة لا تنتخب في الغالب رجالها من بين رجال التفكير ، لان مهمة نشر المعرفة وتفهم الآراء تخلد اربابها ولكنها مع جليل اثرها في الانسانية لا تستطيع ان تنافس في مضمار الحياة المادية ، تلك المهمة التي يؤديها للعران اولئك الذين سخروا البحار وسيطروا على الاركان القصية في العالم لغرض التضامن الاقتصادي والمالي . اما المثل الذي يزيد ان نسوقه الى الناس فقد شئنا ان نتخير من بين رجال التجارة العصاميين الذين كانت لهم مواهبهم الفكرية والادبية ومزاياهم الشخصية مصدر استرشاد ونجاح في حياة العمل

كان اسعد باسيلي اول ظهوره في الحياة العملية اديباً سليم التفكير ، وللاذب تأثير قوي في النفس حتى لا يستطيع المشتغل به ان يتخلى عنه الى حرفة اخرى ، ولعل اشتغاله بالادب كان نتيجة شعوره القوي بأنه خلق لرأسه عمل واسع وان من حقه ان يعرب عن آرائه وان يرشد وان يتولى توضيح النقاط الغامضة فيما يلاحظه ويسمعه من احوال الناس واحاديثهم ، فلم يكن الادب سبيله الى الحياة وانما كانت ارادته وقوة شخصيته وذكاؤه رأس نجاحه

فانت ترى أن هذا الرجل القدوة بين رجال الاعمال عندما اراد ان يضع اساس مجده المادي كان يعيش بذهنية رجل بحاث قوي الميل الى الاشتغال بالدراسات الفلسفية العالية . وفي وسع الذين يميلون الى مراجعة الابحاث العلمية التي كانت تنشر في أبان النهضة الاخيرة لهدم القديم ولبث الآراء والمبادئ الجديدة وعلى الاخص في مجلة « الجامعة » التي تولى إصدارها الكاتب الاجتماعي الكبير فرح انطون : نقول في وسع هؤلاء ان يطلعوا على نخبة قيمة من الموضوعات الفلسفية التي كان المترجم يملن فيها وقتئذ رأيه في « العلم والدين » وما الى ذلك من الآراء الجريئة التي كان يجاري فيها مذهب الفيلسوف سبنسر ومذاهب غيره من الفلاسفة ويبنى على احكامهم ونعتقد انه لو خيّر وقتئذ ان يكون ذلك البحاث المشتغل بالمباحث العالية لما كان اقل

توفيقاً . وربما كان نجاحه يعود على الجيل بنتائج اجل من نجاح الكثيرين من المعاصرين اذا لم يسلك اسعد باسيلي سبيل العمل المادي إذ ذاك بعقلية محدودة كسائر المشتغلين بالتجارة . وتخليه عن سبيل العلم والادب انما يرجع الى مذهبه الوضعي وعقيدته التي لا تؤمن بالحقائق الملموسة على ان مذهبه الوضعي باعتباره من رجال الاعمال لم يحل دون تدينه وصدق ايمانه وهو ممن يرون « ان للدين اصولاً عميقة في الانسان لا سطحية كما يتوهم البعض وان هناك حقيقة



اساسية قام عليها بنيان الاديان ». ثم انظر اليه يقول في ختام فصل ممتع منشور في الجزء الاول من السنة الثالثة من مجلة الجامعة بعنوان « اتجاه العقل إلى ما وراء حدود العلم »  
 « وهناك ملاحظة أخرى لا ينبغي ان نضرب عنها صفحاً وهي ان العلم مهما اتسعت دائرة اكتشافاته فهو عاجز عن ان يروي كل الارواء ظلاً العقل البشري إلى المعرفة . فمهما امعنا في الاكتشاف العلمي فانه يبقى لدينا ولدى من يأتي بعدنا مسألة وهي : ماذا يوجد بعد ذلك ؟ ومهما تقدمنا في التعليل عن أصل الكائنات فلا يمكننا ان نجد مناصاً من هذا السؤال : ما الذي يعلل لنا التعليل نفسه ؟ فاذا كان العلم أشبه بدائرة تتسع شيئاً فشيئاً فنموه لا يكون من شأنه إلا أنه يزيد نقط اتصاله بالمجهول الذي يساوره من كل جانب ويلزم عن هذا ان يوجد على الدوام طريقان ينتجهما الفكر البشري وهما العلم والدين

« اذن فالعقل سيشتغل في الاستقبال كما يشتغل في الحال ليس فقط بالبحث عن الحوادث الوضعية وعلاقتها بعضها ببعض بل بشيء لا يستطيع اثباته بالدلة الواقعة تحت الحواس ولا بدمن افتراض وجوده عند النظر إلى الحوادث واعتبار علاقتها بعضها ببعض . وينتج عن هذا انه ما دام العلم وحده لا يستطيع ان يشغل جميع القوى الانسانية وما دام العقل يوجه انتباهه ابدأ إلى ما وراء حدود العلم ، فسيبقى محل الدين على الدوام لان الدين يمتاز بكون موضوعه وراء دائرة العلم والاختبار »  
 هذا نموذج للذهن المبدع الذي سلك به اسعد باسيلي سبيل العمل المادي ، ولما تخلى نهائياً عن الاشتغال بالدراسات الادبية والعلمية وأقبل على تجارة الخشب احرز في الزمن القصير مركزاً وثقة واتساعاً في الاعمال لا يتوفر لغيره في الزمن الطويل . وظل يشق طريقه بين الصفوف حتى سيطر على سوق الخشب وتراجعت إلى الوراء جميع البيوت التجارية التي كانت تدعي احتكاره ، واستولى نهائياً على هذه التجارة كما يستولي القائد المحنك على الميدان الواسع قطعة قطعة ، وكان في ذلك موفقاً دائماً النجاح فأصبح صاحب الكلمة العليا في سوق الخشب ، وربما قامت وارداته منه مقام الضعف من واردات سائر التجار . وحسبنا ان نعترف باننا لانستطيع الاشارة اليه دون ان نلقبه بملك الخشب ، ونستطيع ان نقول ان البيئة تحدد المطامع ، فلو ان اسعد باسيلي كان في اميركا لا حرز بحق هذا اللقب وكانت دوائره ومكاتبه تضيق عنها ناطحات السحاب كسائر بيوت التجارة الاميركية التي تتحدث عنها الصحف إلى الجماهير في العالم فيصيب الانسان لشدة ما يعتريه من الدهشة لقراءتها ذهول كالذي يستولي على بعض من تفاجئهم الانباء الخارقة وبعد ، فقد تمتد الطريق وتطول امام الذين يبتغون الوصول إلى الغاية ، ولكن الذين لا يكفون ولا يقفون يخلفون من ورأهم خطاً مستقيماً هو سبيل النجاح في الحياة ، هو الخط نفسه الذي يخلقه البطل بين الصفوف دليل جهاده المقرون بالفوز ، وهو الخط الذي يتركه في التربة محراث المزارع مبشراً بالانتاج قلنا ان الطريق تمتد وتطول امام الذين يبتغون الوصول إلى الغاية ، ونضيف إلى ذلك ان



رأس النجاح الاقدام . وفي امثال الاميركيين المعاصرين ان فرضاً على المرء ان يخاطر وان عاقبة هذه المخاطرة محمودة لانها تعلم المرأة . والتاجر الجريء موفور النجاح لان لا جرأة بلا بصيرة واسعد باسيلي قد شق طريق المجد باقدامه وشجاعته وهو قدوة صالحة لمن ينبغي ان يسلك سبيل التجارة أو الاقتصاد . وهو يجمع إلى مواهبه وصفاته الممتازة حباً للخير وللإنسانية ، ويرى في الاحسان وسيلة تقوى بها ارادته في العمل . وحياة الضمير في دائرة العمل المادي اقوى منها في سائر الاعمال الاخرى . وانت إذا تصفحت بنظرك شخصية اسعد باسيلي الكبيرة ، ولحظت ميله إلى التفكير ، وكرهه لطرق الاعلان عن نفسه وعن اعماله الكثيرة في سبيل الخير ، اقتنعت بان انوار المدينة العظيمة تبدو للساري كالبعيص

وأسعد باسيلي اليوم في حدود الستين ، وقد ولد في مدينة طرابلس الشام من ابوين صالحين ، وكان لو الدهم مقام كبير بين التجار ومقام ممتاز في طائفته اذ كان رئيساً لجمعية الخيرية ، وقد ورث الابن عن والده مواهب الذكاء والنشاط والاستقامة والشرف ، والاستقامة والشرف هما العنصران اللذان لانهض الاخلاق الطيبة الأبهما . وهو بعد ذلك قطع الحياة عملاً وصلاًحاً وبراً يحمل في قلبه جميع المبادئ النبيلة فهو ليس تاجراً فحسب لا يحفل إلا بالشؤون المالية ولا يعني إلا بمسائل التجارة ومهامها ، بل هو لا يألو جهداً في اكتساب قلوب الذين طحتهم الحياة ، وقتلتهم مناكد العيش وقد استطاع ان يقف من تجار الأخشاب في الطليعة ، ويشق طريقه الى الذروة ، عاملاً بمبادئ النظام والترتيب والادارة الحسنة التي يشرف عليها بنفسه ، فارتفعت شهرته وطال اسمه حتى عين وكيلاً للغرفة التجارية المصرية لمدينة الاسكندرية ، فالبث قليلاً حتى احلته الاعضاء المحل الاول فيها ، وعرضت عليه رأسها فأبى قانعاً بالوكالة لاسباب لا يحفل بها كثيرون من القاعين على تدبير الغرفة ، وتستمد الغرفة منه النضج آرائها ، وتسلم اليه قيادها في كل الشؤون ، وهو فوق ذلك عضو من الاعضاء المحلفين بمحكمة الاسكندرية التجارية ، وأكبر شخصية محترمة مثقفة في الجمعية الخيرية للسوريين الارثوذكس ، وهو بعد متوقد الذهن ، ثاقب الرأي ، جم الاطلاع لا تفوته من شؤون التجارة والعلم والادب بادرة ، لانه درس وطالع كثيراً فهو لذلك يعد بحق من اكبر الشخصيات البارزة في هذا البلد

وأخيراً ، ان اسعد باسيلي عصامي قبل كل شيء ، والعصاميون في هذا البلد قليل ، لان العصر لا يعين على العصامية ، ولا يساعد على انتاجها ، وانما يجتهد في مكافحتها وخذلانها ، والناس جيلوا على ان يكونوا حرباً لكل من يريد ان يسمو عليهم قوة وعملاً ، وارادة واستقلالاً . فاذا رأيت يوماً عصامياً بينهم ، فاعلم انه استطاع ان يهزم العصر بأسلحة اشد من اسلحته وعرف كيف يتخلص من ضروب الكفاح والعداء التي حشدها الجيل لمقاومته

تقولا شكري  
الاسكندرية



## بَابُ شُؤْنِ الْمَرْأَةِ وَتَدِيرِ الْمَنْزِلِ

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة وأهل البيت معرفته من تربية الأولاد وتدير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونهضتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

### ارشادات صحية لربات المنازل

للدكتور محمد زكي شافعي  
السكرتير الفني بمصلحة الصحة العمومية

— ٢ —

من المسائل التي وجهت إليها العناية مؤخراً وهي ذات شأن كبير لربة المنزل في هذا الدور من حياتها الزوجية — العناية بالجهاز التناسلي. ومما يؤسف له أنه لا يوجد إلا القليلات من الزوجات اللاتي لا يرددن الشكوى من هذه الناحية. أما العناية بهذا الجهاز فأمر تدعو إليه ضرورة تزويد أول منزل للطفل بكافة الوسائل الصحية ويدعو إليه أيضاً ما لهذا الجهاز من التأثير العام في صحة المرأة حتى أنه يعتبر أهم معيار لحالتها من الصحة أو الاعتلال وتبدأ العناية الجدية بهذا الجهاز من يوم أن يبدأ الطمث في الظهور وما الطمث إلا ظاهرة طبيعية أريد بها استدامة المحافظة على الرحم غصاً نظيفاً ومستعداً لقبول الجنين. وهذه الظاهرة هي من أهم حوادث تاريخ حياة الفتاة لأنها الحد الفاصل بين الطفولة ومظاهر الانوثة ومن وقتها ينمو جسمها نمواً سريعاً وتتسع مداركها العقلية ولذلك يقال لها «أدركت» ويكمل نموها بعد هذه الظاهرة بثماني سنوات أو عشر سنوات أي في السن ما بين العشرين والخامسة والعشرين. ورأي أن هذه هي أوفق سن للزواج

ويستمر الطمث بعد البلوغ مدة ثلاثين أو خمس وثلاثين سنة تقريباً حيث تبلغ المرأة سن اليأس ويجب الابتعاد أثناء الطمث عن الرياضة أو الأعمال العنيفة وتجنب شرب المشروبات والاستحمام في البحر والاستحمام بالماء البارد أو غسل الأقدام بها — وتمتنع السيدة بتاتا عن



الاستحمام عند ما يكون الافراز تاماً ولا بد لها من استشارة الطبيب عن حدوث اي نقص او تغير في حالة الطمث او عند امتناعه او الشعور بأي ألم في خلاله لان الألم قد يكون عرضاً لمرض يمكن تلافيه في اوله ويستعصي متى ازم من. وقد لاحظنا أن الكثير من السيدات يتحملن هذا الألم ويستهنّ به حتى يمر الدور — شأنهن في كل ما يصادفهن من متاعب الحياة ولكن هذه الخطئة ليست من الحكمة في شيء وعليهنّ ايضاً ان يتجنبن البرد او السهر في أثناء هذا الدور

ولا أوصي بالنظافة العامة او الخاصة لان هذه امرها بديهي والجسم مثل كل شيء آخر يحتاج الى تكرار النظافة لان قطعة الاثاث مثلاً اذا نظفت امكن حفظها من الاتساخ بتغطيتها بينما الجسم لا ينفع معه هذا الاحتياط لانه دائم الافراز لمادة دهنية من مسام دقيقة حتى ولو لازمنا الفراش. ومن هذه المسام تخرج بعض فضلات الجسم التي تلحق به الضرر لو بقيت فيه. واذا لم نتداركه بتنظيف الجلد سدت هذه المسام التي قيل عنها بحق انها منافذ الصحة واذا سدت بالاقذار كانت مصدر خطر على الصحة ويكفي من ضرر سدها ان الجسم لو خدش تسربت اليه من الخدش بعض الجراثيم التي تحملها هذه الاقذار وقد تكون سبباً في تسمم الجسم تسمماً عاماً كما ان سدّ هذه المنافذ يعرض الانسان الى الاصابة بالبرد والنزلات ويؤدي الى ضعف مقاومة الانسان للأمراض الاخرى

هذا فيما يتعلق بالنظافة العامة واما النظافة الخاصة فيكفي فيها الغسل في الصباح والمساء بالماء الساخن والصابون والحذر من استعمال المحاقن فقد تكون سبباً لاستيطان بعض الجراثيم في الجهاز التناسلي مما ينشأ عنه الالتهاب المزمن وأجد نفسي مقيداً بحكم التقاليد لعدم الاسترسال في هذا الموضوع وإن كان من المباحث الحيوية التي يجب على الفتاة أن تعلم كل شيء عنها لان كل ما تعانيه معظم السيدات ناشئ عن الجهل بهذه الامور وهذا الجهل ناشئ عن الخجل من السؤال عما يجهلن واعتبار البحث في الشؤون التناسلية خدشاً للآداب. وكنت اودّ لو أفضي اليكم بمعلومات تفيد الزوجين وتزيل الكثير من أسباب الشقاء وتدعو إلى ان يرفرف الهناء على بيوتنا ولكن لنترك ذلك لمن يأتون بعدنا فقد يكونون أقدر منا على ذكر الحقائق ومجابهتها مهما كانت — ولا حيلة لجيلنا الحاضر الا أن يردد قوله تعالى «انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون» إلى ان تتيح درجة التطور لحفدتنا ان يتمشوا مع ضرورات التطور العملية

\*\*\*

ومما يسرّ له الانسان أن ربات المنازل يتمتعن الآن بنصيبهن من الحرية في الحياة اكثر مما



كانت عليه جداتنا ولكنهن وان كن يعنين وهن فتيات بالالعب الرياضية الا أنهن — كربات منازل — لا يمارسها الا نادراً . ولا أقصد بهذا القول اننا نخلق أمة رياضية بين طرفه عين وانتباهتها أو ان مثلي سيعيش حتى يرى في كل بيت من بيوت أعيان الريف ملعب «تنس» وفي كل حي من أحياء المدن نادياً لشتى الالعب تقصده ربات المنازل في أوقات الفراغ للتروض — غير أنني أريد ان يتأصل في نفوس السيدات حب الرياضة لذاتها فلا يغفلن عن ممارستها كما نشاهد أحياناً من ان بعض الفتيات يولعن قبل الزواج بالعزف على المعزف ثم لا تلمسه أصابعهن بتاتاً بعد الشهر الاول من الزواج . انني أتمنى ان ينشأ جيل قوي من أمهات قويات البنية . أما اقل أنواع الرياضة كلفة وأنفعها فهو المشي ولا سيما في جو بلادنا طوال السنة ولا أقصد بالمشي — أيها السادة — التبخر بل أقصد المشي السريع الذي يسبب اعتدال القامة بما يحدثه من تمديد الصدر واعتدال الظهر وحفظ الكتفين دوماً الى الخلف . مثل هذا المشي يقوي العضلات وينشط الهضم حتى ان من يتعود المشي يمكنه هضم أي غذاء . وهو يلين الامعاء ولذلك فانه أشد فائدة من أي نوع من الجبوب المليئة . المشي يضيء البشرة بأبهج الالوان ويورد الوجنات ويجعل العيون تلمع لمعانها الساحر وهو بالاختصار من أهم الوسائل المؤدية للحصول على الجمال الذي تعتبره كل فتاة أغلى ما تملك . وهو يستعصي عليها بكل الطرق الصناعية ولكنه يأتي اليها طائعاً متى توفرت لديها الصحة هذا ولا يمنعها الحمل من ممارسة المشي باعتدال ويجب في جميع الاحوال أن تكون الرياضة في الهواء الطلق لان استنشاق الهواء النقي ينقي الدم ويمده بالاكسجين الضروري للحياة كما ان ضوء الشمس من أزم الضرورات لحفظ الصحة وجدير بي ان أذكر هنا ان الغرض من المشي الحركة المطردة ولذلك لا يعتبر الوقوف رياضة وكلنا مجربون ان من يقف طويلاً يشعر بالتعب والقلق لان الجسم لم تتركب في طبيعته القدرة على الوقوف مدة طويلة ولذلك فان الوقوف الطويل يسبب تمدد الاوردة في الاطراف السفلى وغيرها عند الانسان . ولكن الطيور التي خلقت للوقوف الطويل كالنعامة ومالك الحزين وأي فردان خلت أرجلها من العضلات والاوردة الدموية ولم تتركب الا من العظام والاورتار ان المشي فضلاً عن تنشيطه للدورة الدموية وتقويته للعضلات يدفع الجسم شتاءً ويدعو الى افراز الكثير من العضلات فلا تشكو السيدة من آلام المفاصل او العضلات التي كثرت الشكوى منها الآن بسبب سهولة المواصلات للغني والفقير على السواء فلا تجد انساناً يخطو بضع خطوات بل الكل يفضلون المركبات الكهربائية والحافلات مع ان الحركة لازمة لكل كائن حي فالدنيا وكل شيء في الكون في حركة دائمة والجسم كالماء اذا وقف ركد وأسن ولا علاج للعصبية والعصبيين او لمترهلات او لمتبرمات بالحياة احسن او اوفق من المشي بغير افراط ولا سيما للضعيفات



وعلى ذكر العصبية أذكر انهن انواع . ولكن اكثر الانواع ذبوعاً واتعبها المصابات بالهستيريا فان هذا المرض يظهر لصاحبه انها مصابة بشئ الامراض ومتألمة بأي نوع من الام كآلام المفاصل والاسنان والاعصاب والعضلات والتهاب الزائدة الدودية وحويلة المرارة وقرح المعدة والتهاب الامعاء وبالاختصار كل الامراض ولهذا المرض أسباب عديدة اهمها بالنسبة للزوجات كثرة الحمل او كثرة الاجهاض والطمث الغزير وكل ما يدعو الى الضعف العام سواء كان بسبب جنائي كالانيميا أو بسبب عقلي أو نفسي أو للعقم وهذا السبب الأخير قد يكون اهم الاسباب بمصر . والهستيريا مرض قابل للبرء وعلاجه نفسياني

ومن الاسباب الداعية لها كثرة الاعصاب السهر الطويل والمواظبة على السينما التي تعرض فيها الروايات المزعجة والحياة الغير الصحية والمعيشة في دور أو غرف لا تتوافر فيها شروط التهوية التهوية — ايها السادة — واقصد بذلك تهوية غرف النوم لأن التهوية بصفة عامة أصبح الكثيرون يعرفون ضرورتها للمنازل — يجب على ربة المنزل ان تترك جميع منافذ المنزل مفتوحة طوال الليل صيفاً ولا تغلق نهاراً الا اذا كان الجو حاراً ومتى خفت الحرارة تفتح المنافذ ثانياً وفي شتاء بلادنا يمكن تعود النوم بعيداً عن تيار الهواء مع ترك احدي النوافذ مفتوحة ولكن من لا يطبق ذلك يمكنه ان يخلق درف المنافذ الخشبية فقط أو يترك الجزء الاعلى منها مفتوحاً

انه من الغفلة ان ينام الانسان في غرفة غير مهواة لانه يستنشق طوال الليل سمّاً زاعفاً وهو ما تخرجه الرئتان اثناء النوم . ولم يسمع بأن التهوية الصحيحة ادت الى اصابة اي انسان بالبرد وهو نائم . والواقع انه لا يمكن للانسان ان ينام نوماً هائناً في غرفة رديئة التهوية بل يكون نومه مضطرباً لا يفيد الجسم كثيراً من الراحة لانه يكون في الحقيقة مخدراً بسم الهواء الفاسد — فالردهة التي نحن فيها الآن لو لم تكن مجهزة بجميع الوسائل الحديثة للتهوية فان أي خطيب مهما بلغ موضوعه من البهجة ومهما كانت مقدرة الخطابية لا يقاظ مشاعركم يعجز عن استعراض سمكم لانكم كنتم تشعرون بالكسل والتراخي والقلق وثقل الرأس

ايها السادة

ما اسعد الحياة وما اجملها اذا شعر الانسان لدى عودته من متاعب يومه الى منزله — بالغلة ما بلغت متاعبه — اذا شعر بانسراح الصدر والسكينة وملأت خياشيمة الراحة الطبيعية للهواء النقي غير المزيّف بأي رائحة صناعية مهما كانت عطرة . وأشرقت عليه شمس السعادة من سماء شريكة حياته المتمتعة بالصحة المزداة بالعقل المدبر والخلق العظيم — ليس من شك في ان هذه هي زينة الحياة الدنيا والنعم بكل معانيه



# باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشجيعاً للذهان. ولكن المهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فتحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف . وبراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فنأظر نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف بأغلاطه أعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الاليجاز تفضل على المطولة

نقد شوقي

حضرة الفاضل الاستاذ فؤاد صرّوف

تحية واحتراماً . وبعد فقد قال الاديب مصطفى الرافعي في فصل له عن شوقي بالمقتطف الاخير : « دع غلطته في قوله — تميل عني — فان صوابها تمل اذ هي جواب ان الشرطية » هكذا قال الاديب الرافعي معقّباً على بيت شوقي :

ان رأيتني تميل عني كأن لم تمل بيني وبينها اشياء

والذين يعرفون النحو يعلمون ان الخطأ انما هو في تصحيح الرافعي لا في البيت المنتقد لان رفع جواب الشرط المسبوق بفعل ماضٍ صحيح مستحسن كجزم الجواب على السواء لم يخطئه أحد قط من علماء اللغة والنحاة . و اشار الاديب الرافعي الى البيت الآتي :

عيسى الشعور اذا مشى رد الشعوب الى الحياة

وظن ان « الشعور » هنا زائدة من قبيل الامور في البيت الآخر :

ولوزلت غُيبَ عمر و الامور وأخلى المنابر سجنانها

والصواب ان « عيسى الشعور » في البيت السابق من تشبيه الاضافة المعروف في البلاغة وليس ثمة حشو ولا اقحام في تركيب الكلمات ، فالبيت معناه ان الشعور اذا مضى في الشعوب ردها الى الحياة كما كان عيسى يحيي الموتى . ومثل هذا ان يقال : « خمر الريق » في تشبيه الريق بالخمير على الاضافة ، او يقال : « موت الغباء » في تشبيه الغباء بالموت على هذا المعنى . اما ما عدا ذلك من المآخذ في مقال الاديب الرافعي فلا أرى ان اناقشه فيه عباس محمود العقاد

الجاحظ في مصر

تفضل المقتطف فكتب كلمة عن كتابنا « ادب الجاحظ » في عدده الصادر في نوفمبر الماضي دل فيها محرره الفاضل على ما انطبع عليه من أدب فائق وخلق كريم . وقد أشار إلى قولنا في هذا الكتاب ( ص ٧٩ ) : ووقعت في كتاب على أنه ( أي الجاحظ ) وفد على مصر وأقام بها زمناً وأجرى بها اختبارات فيما عثر عليه من حيوانها » وقال : وحبذا الحال لو أشار إلى الفقرة



التي نص فيها على ذلك أو يحصل ذلك من معناها . ومن قبل قد أبدى هذه الملاحظة في جريدة البلاغ صديقنا الفاضل الدكتور زكي مبارك ، غير انني إذ ذاك لم أرَ وجهاً للمناقشة في أمر غير محتمل لها ولا سيما في الصحف السيارة . فلما تفضل حضرة المفضل محرر المقتطف بهذه الإشارة رأيت من الواجب ابانة هذه المسألة وإفارة الطريق اليها

كتب كثير من أصحاب الاخبار ان الجاحظ صاحب صديقه العظيم الفتح بن خاقان في رحلته إلى الشام وزار بها كثيراً من المدن ، وقد أشار الجاحظ إلى هذه الرحلة في بعض كتبه ولا سيما كتاب الحيوان منها . وكما أشار إلى هذه الرحلة أشار كذلك إلى وفوده على مصر في كتابه الحيوان أيضاً . فقد قال في ص ٥ ج ٤ : من كتاب الحيوان « كنت بعجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو أرزة » ( حرره أبو بكر السروكي ) وقد كان وجود هذا الاسم بازاء عبارة الجاحظ مثاراً للشك في وفوده على مصر ، أما أنا فلست أرى لهذا الشك من معنى يصل به إلى النفي المطلق . وعندني أن أبا بكر السروكي هذا لم يكن إلا رجلاً من المشتغلين بنسخ الكتب وقد وقع له كتاب الحيوان منسوخاً بقلم رجل قبله فأخذ في نسخه حتى وصل إلى هذه الجملة فلعله رأى تحريفاً من الناسخ السابق فأقامه ثم كتب على الهامش وحرره أبو بكر السروكي ، وقد بحثت عن تعريف لهذا السروكي فلم أقف له على أثر ، ولهذا فأنا أرجح وفود الجاحظ إلى مصر كما أرجح أن السروكي لم يكن أكثر من ناسخ للكتاب

حسن السندوبي

ترجمة الشاهنامه

سيدي الفاضل رئيس تحرير المقتطف

اقدم خالص التحية . وبعد فقد اطلعت في مقتطف اكتوبر في باب المراسلة والمناظرة على كلمة العالم الفاضل يوسف غنيمه وزير مالية العراق قبلاً راقني فيها ادب النقد ، وراعتني سعة العلم . واني ابادر الى شكره والاعتراف بفضلته في التنبيه الى ما رآه من تحريف او خطأ في بعض الاسماء التي ذكرت في حواشي الترجمة العربية للشاهنامه

بعض هذه المآخذ من سقطات الطباعة مثل « الآثار السورية » بالسین لا بالشین . وقد ذكرت في مواضع اخرى من الكتاب بالشین على صوابها . ومثل جعل استرداد هرقل الصليب من الفرس « سنة ٥٢٨ » مكان سنة ٦٢٨ . وبقيّة المآخذ التي ذكرها الناقد الفاضل جاءت غلطاً مني او اختياراً لصيغة من صيغ مختلفة . واني اعترف بأن رأي الناقد في ترجيح صيغة على اخرى اسد من رأيي وسأتابعه حين يعاد طبع الكتاب

ثم اكرر شكري وثنائي لحضرة العالم الفاضل آملاً ان يزيدنا من نقده . وأرجو ان تتفضلوا بقبول احترامي

الجامعة المصرية

عبد الوهاب عزام



# مكتبة المقتطف

رسالة باريس

لبشر فارس

## كتب في الادب الفرنسي

في الشعر الفاجر

Edition Le Trianon

1. La Poésie priabique

لم يعرض ناقد قط للبحث في الشعر القائم على الفسق . وما يعجب له أن قاضياً باريسياً رفيع المكان أقبل على هذا البحث فلم يحفل بأقاويل الناس . وقد نبه القراء في المقدمة أنه خلع عذار الحياء راضياً من دون أن يبرز صفحة الوقاحة . فإن هو الأ ناقد جامع للتاريخ والاخلاق وعلم النفس

وليس الشعر الذي يتدبره في هذا الكتاب بالنسيب فالبعد بين النوعين شاسع . فبينما النسيب يقوم على المغازلة والتشبيب بالمعشوقة في عبارات رقيقة واسلوب ظريف اذ ذاك الشعر يقوم على الناحية الجثمانية من الحب ولا يعبأ إلا بالاحساسات

على ان ذلك الشعر ليس بالغريب عن ادبنا . فدواوين العرب لا تخاو من الفجور وان خطر لك ان تثبت قولي فعليك بالفرزدق وابي نواس وابن الرومي . الا ان هذا الجانب من الشعر العربي يختلف في العرض عن ذلك الشعر من حيث ان اصحاب هذا كانوا يجلسون الفجور فيترنم الناس باشعارهم وينشدونها في المحافل والمواكب وربما اخذتهم العزة بالاثم فجعلوا تلك القصائد صلوات يتقربون بها الى اله يسمونه ( فللوس ) . الا ان ذلك لم يكن الا في العصور الخوالي ايام اليونان والرومان . واما في العصور المتوسطة فلم ينظم ذلك الشعر الا لهواً ودعاية

سيرة أبي

2. La vie de mon père

ان اول من فخص عن دخلات المزارعين الفرنسيين رجل يقال له Restif de la Bretonne ولهذا الرجل الذي عاصر فولتير وروسو مائتان وخمسون مجلداً . وما يؤسف عليه أن جلسها



ليس بشيء . فلم يبق من تأليف الرجل إلا بضعة كتب منها الكتاب الذي قرأت عنوانه لساعتك على أن صاحبه ذهب فيه الى البحث عن اخلاق القرويين فبسط حياتهم الساذجة وعواطفهم الخالصة واحساساتهم المكدودة وشعورهم النقي وعقيدتهم الخالصة وقناعاتهم وودائعهم وهو في ذلك نافذ العين بعيد النظر . ومن اجل ذلك قيل له الخفاس . وقد كان يقول ان « سيره ابي » مؤلف سماوي ثم صرح أنه لم يقرأ قط إلا بكى . وكان معاصروه يقدمونه . وكان فيمن أعجب به ( شيلر ) الشاعر الالماني . إلا ان صاحبنا كان متفاوت الاسلوب فله تارة عبارة بليغة مشرقة المعاني وطوراً غث مختل الاداء . وكان فوق ذلك يعتمد على سرعة قلمه فكثيراً ما زل

### قصة سلامبو

Salambo—Editions Mornay, Paris

إن قصة (سلامبو) لفلووير الذي حدثتك عنه قبلاً تسوق لنا حروب اهل قرطجنة وتستند اليها لتعقد لنا حوادث شتى تدور حول قائد الجيش القرطجني وابنته وحول قواد الجيوش البربرية والليبيين الناصبين الحرب لقرطجنة . وموضوع القصة حادث تاريخي لا يحمله احد إلا ان اسلوبها كأنه الوشي الفارسي . ومن اجل ذلك اعرض عن الموضوع لاحداثك عن الاسلوب إن (فلووير) عزم ان يبرز قصته في البيئة التي جعلها لها فلم يبلغ ما في نفسه الا بعد طول عناء لانه لم يدخر جهداً في الفحص عن ماضي قرطجنة . وعلماء التاريخ والملل والآثار مجمعون على انه لم يترك واردة ولا شاردة الا اثبتها في (سلامبو) . ومما لا ريب فيه ان الرجل دس في قصته ضروب الخرافات الاسيوية ونواحي الدين الفنيقي . فأشار الى عزة الآلهة بال وذكر النزاع الذي كان بين العنصر المذكور والعنصر المؤنث وذلك النزاع الذي عليه قامت العقائد حين ذاك . ثم مثل الحب تمثيلاً حقيقياً بالشرف اذ جعله عنيفاً صليماً شهوانياً مع لطف ورقة ثم ان الرجل ذهب في التحليل مذهباً بعيداً فصور الشرق القديم مع ما ضم بين جنباته من عجائب فطابق بين الآلهة المجردة والاصنام التي لا يعبدها الا شعب فطري وبين الخرافات المضحكة والعقائد الرفيعة وبين العواطف البربرية والشعور الدقيق وبين صنوف الفسق وضروب التخشن . ثم بسط كيف كان يحارب القوم فوصف إلال الحرب وانواع الحصار والنزال والبراز ثم اشار الى غلاظة اكبادهم وقسوة قلوبهم وخشونة جوانبهم متى شتموا للحرب ولقد افرغ (فلووير) هذا التحليل في قالب الفصاحة وبلغ به حد الإعجاز اذ ساق الشيء الكثير في جلباب الفن المشرق



## حج البيت

Le Pèlerinage de la Meque—Edition Rieder, Paris

ان صاحب هذا الكتاب المراقب العام لمجلس الصحة البحرية في مصر واسمه دوجيه Duguët . فهو أهل ان يؤلف في شأن الحجاج لطول اختلاطه بهم وفحصه عنهم ولا سيما انه يميل اليهم ويعظم عملهم لاخلاصهم في تقوى الله وحبه له وقد قسم الرجل الكتاب الى قسمين احدهما موقوف على الناحية الدينية والآخر على الناحية الطبية . اما الاولى فلا حاجة لنا ان نعرض لها ففائدتها منصرفة الى الافرنج لانهم مجهلون في الغالب شعائر الحج الاسلامي وقرء المقتطف لا مجهلون فيها اظن . واما الناحية الثانية فلا بد ان نقف عاينها لاستقامة بحثها وغازاته

يبدأ صاحب الكتاب بالاشارة الى سبب انتشار الكوليرا والحمى وغيرها في الحجاج من حين الى حين . ثم يذكر ان الوباء قد تفشت فيهم اربعين مرة من سنة ١٨٣١ الى سنة ١٩١٢ على ان وباء سنة ١٨٩٣ كان اثقلها وطأة . ثم يعرض الرجل ماحولته الامم منذ ذلك الحين في اتقاء الوباء ودفعها فيذكر الاجتماعات التي عقدتها تارة في البندقية وطوراً في باريس ثم المفاوضات التي جرت بين الدول الاوربية وبين حكومة القسطنطينية فيبرز لنا تركيا في جلبابها البالي اذ يخبرنا كيف كانت تحول بين الدول وبين مساعيها حتى انقادت لهم سنة ١٩٠٠ فشيد سدّ طور . وأما حديث الرجل عن شؤون الصحة في الحج الحالي فما يبسط الآمال في قلوب الناس . فهذه تنقلب شيئاً فشيئاً الى بلد نظيف وهذي مصالح الصحة تنتشر انتشاراً في مكة وبجانبها رش الطرق وبناء خزان عظيم للماء العذب واختطاط ثلاثة سبل الى عرفة . والفضل في ذلك راجع الى عناية الوهابيين بالشؤون الصحية واهتمام الدول الاسلامية امثال مصر والشام والعراق بسلامة رعاياها وتداخل الاوربيين تارة ليشرفوا على اهل مستعمراتهم وطوراً ليتقوا تقشي الوباء في انحاء المعمور

## بيت لاجداد

La Maison des Aïeules — Edition Floury Paris

حدثتك من زمن عن (لوتي) Loti قصصاً وبسطت لك ما كان بين جنبيه من السأم وكيف كان يرغب في الذات وينقاد الى الشهوات . على انه اتفق لي اليوم ان اقرأ قصتين له انكرته فيهما . وهاتان القصتان تقعان في بضع صفحات واطن (لوتي) الفهما لاهياً فلم يكن الغرض الذي قصد اليه في تأليفهما مثل الغرض الذي رمى اليه في جميع ما صنف . الا انه لا يجدر بنا ان ننظر فيهما نظراً في القصص عامة لانهما بعيدتان كل البعد عن فن القصص ولك ان تفصل في ذلك



إن (لوتي) يحدثنا في القصة الاولى عن منزل تعاقبت السنون عليه أقام به اجداده زماناً ثم باعوه . فلما أرى (لوتي) سعى في استرداد المنزل حتى اشتراه . ولم يعم ان رحل اليه في يوم شديد المطر . على ان تلك الرحلة موضوع القصة . ولا تحسبن ان (لوتي) ذهب في وصف الرحلة مذهب مفتن لا مذهب وصاف فإنه يحدثنا عنها في سذاجة ويعمد في حديثه الى اسلوب داني القطوف لا كلفة فيه ولا تألق . وكأن ذكرى صباه المتمثلة في جنبات ذلك المنزل أثرت فيه الى حد ذهل عنده صنعة الادب فانطلق يكتب معتمداً على شعوره . والشعور يؤدي المعاني والصور في ديباجة ليس لسهولة غاية

وفي القصة الثانية يذكر لنا (لوتي) كيف صنعت له وصيفته «عروسة» أيام طفولته وكيف علّق العروسة وزمها حتى ملأها فأودعها خزانة كان يجمع فيها لعبه المختلفة . على انك ترى ان القصتين لا شأن لهما . وكأنني بك تعتقد على السخر منك والتهاون بك ويشهد الله اني ماسقت اليك هذا الحديث الا لتعلم ان الفرنسيين يعنون بتأليف كتابهم المتفوقين وان لم تكن جليلة وعندي ان هاتين القصتين لا يقبل عليهما الا الاطفال وان قرأها الرجال لا يطمئنوا اليهما ولا يفرحوا بهما الا اذا مثلتا لهما أيام طفولتهم وصباهم وفي مثل هذا التذكار كثير هناء وبعض السأوى .

قصص الانجليزية منقولة الى الفرنسية

Collection du Paon Blanc -- Edition Redièr, Paris

ان بحثنا هنا عن كاتبين من الانجليز . اما الأول فيقال له (كونراد) Conrad وهو بولوني المنشأ . والغريب في أمرانه يعمد أحياناً إلى أسلوب في التعبير يختلف عن الاسلوب الانجليزي قليلاً أو كثيراً . ومن اجل هذا ترى طائفة من نقاد الادب يابون ان ينزلوه منزلة الكاتب القدير على ان كونراد أراد ان يجعل قصصه كمثل ملحمة متصلة السلك ولكنه لم يقوَ على ان يحكم نواحيها ويلائم بين أطرافها . فجاء تأليفه مضطرباً مختلاً . الا ان الرجل فطن للأمر فحاول ان يصلح ما فسد في مصنفاته فاعتمد على اساليب فيها من التكلف والاعتساف ما فيها غير ان (لكنراد) قصصاً قصيرة لا اختلال فيها ولا اضطراب والسبب في ذلك ان الرجل لا يعمل فكره فيها ليناسب بين فقر ملحمة عديدة النواحي بل يرسل الكلام ارسالاً وفي هذه القصص قصة عنوانها شباب Jeunesse وموضوعها رحلة سفينة تضم بين جوانبها فتى غريباً لا يبلغ إلى شواطئ الشرق حتى تتغير طبيعته . ثم إن في هذه القصص قصة عنوانها قلب الظلمات Coeur des Ténèbres وليس موضوعها الا النضال الذي بين التقدم الغربي وبين بربرية القبائل المقيمة بآسيا . والقصتان قائمتان على الخبرة اليومية . الا ان الثانية تعتمد على الاخبار لتنتقل في التفكير المجرد فتذيع بعض الآراء وتكشف عن دقائق العواطف وأما الكاتب الثاني فيدعى (موم) Somerset Maugham وهو من خير كتّاب اليوم في



انجلترا ومن بعدهم صيتاً . وما اظن كاتباً مسرحياً يقوى على مزاحمته فان رواياته لا تنفك تمثل في انجلترا ويقال ان مثلها في الرواج مثل روايات شكسبير والله اعلم  
ولسنا نعرض هنا لتأليف ( موم ) المسرحي فانا نبحت في كتاب له عنوانه الارخبيل ذو النساء الساحرات L'archipel aux Sirènes . وغرض ( موم ) من القصص التي جمعها في هذا الكتاب الفحص عن تأثير اقليم جزائر الباسيفيك في الغربيين . وهذه القصص الغاية في البحث النفساني الذي يخلص الى السرار والخفايا وينقب عن الاسباب البعيدة . على ان ( موم ) كأنه يبالغ في قصصه فكثيراً ما يخيّل اليك انه يصف مشاهد لم يقع عليها بصره ويسوق اخباراً لم يظفر بها سمعه والحقيقة ان ( موم ) يتحدثنا عن بلدهيات ان تصوره وعن قوم يشق علينا ان نتعرف طبائعهم صيادو اللائي

Pêcheurs de Perles - Edition Albin Michel Paris

كأني المح الى عقد من اللؤلؤ زين جيدك فدعيني اسوق اليك يا سيدتي القارئة هذا السؤال : اتعلمين ما ثمن هذا العقد ؟ اني لا رجومك الا تجاوبني على سؤال من فورك بل سماع سماع : لقد رحل صحافي فرنسي يقال له Albert Landre الى البحرين ارادة ان يشاهد صيد اللؤلؤ فيها وما هو عاد الى باريس واذا ع بين الناس مشاهداته فألّف كتاباً لا يقرأه احد الا يغتم : ان في البحرين جماعة من العرب والسودان والصوماليين يغوصون في البحر ليصطادوا اللؤلؤ . وكلما غاصوا عادوا واضلاّعهم تريد ان تنقصف والدم ينصب من خياشيمهم وآذانهم ولم يلبثوا بعد الغوص الطويل ان يدركهم الصمم ويصيبهم العمى ويخامر قلوبهم داء عياء . ثم ان الشيخوخة تدهمهم وهم ابنا ثلاثين سنة واما صرعة الموت فتزل بهم والله لم يبلغهم الاربعين وقد ابنت ان ابسطك كيف تهدد انواع الاسماك الغوّاصين خشية ان يروك حديثي وحسبك ما اخبرتك به كي تعلمي ما ثمن العقد الذي زين جيدك . فاذكري اولئك الغواصين من حين الى حين وارثي لهم !  
مأساة الدردنيل

La Tragédie des Dardanelles - Edition Grasset, Paris

من ذا الذي نسي مأساة الدردنيل ايام الحرب الكبرى ؟ فهذا الكتاب يذكرنا اياها : افلتت دراعتان المانيتان من الاسطول الفرنسي في شهر اغسطس سنة ١٩١٤ وانطلقتا الى القسطنطينية تحول بين روسيا وبين الحلفاء . وتباطأت الانجليز في مطاردتهما ولم تقصد اليهما الا في شهر مارس سنة ١٩١٥ فلم تهجم الا على حائط ممدّد ثابت . ولما عزم الحلفاء على الشرّ العنيف ارسلوا الى البر جيشهم فقتل تقتيلاً ثم انهم حاولوا شرّاً آخر فخابوا خيبتهم الاولى وما زالوا يقاومون الاتراك والعش يجهدون والحر ينهك قواهم حتى انصرفوا والفشل حليفهم من بعد ما ضحوا بمائة الف جندي . وليس هذا الكتاب موقفاً على سرد الحوادث الحربية ولكنه يعرض للسياسة ويبحث عما صنع القواد والساسة امثال غورو وتشرشل ولورد كيتشنر



## مجلة ابولو

للشعر والنقد الادبي في كل بلاد اصاب قسطاً وافراً من الارتقاء الفكري والفني مجلة أو أكثر تنشر المختار من ثمرات القرائح فتكون الصلة بين جمهور القراء وجمهور الشعراء. وتفتح صفحاتها في باب خاص لنقد الشعر، فتصقل من ذوق القراء بما يبينه النقاد من حسنات الشعر ومساويه وما يسمونه من أثر للنزعات الخاصة التي ينفرد بها كل جيل من الادب عن كل جيل سواه. ولسنا في حاجة إلى تعديد هذه المجلات، إنما نكتفي بذكر المجلات الثلاث المعروفة باسم «عطارد» Mercury التي تصدر في نيويورك ولندن وباريس

والشعر العربي الآن في أشد الحاجة الى مثل هذه المجلة. فالمجلات الشهرية تضيق دون نشر كل مختار من ثمرات القرائح، فتكتفي بالنزر. والصحف اليومية أنشئت لنشر الانباء المحلية والعالمية أولاً وقرأوها يتناولونها في الغالب للاطلاع على هذه الانباء، وقلما تتاح لهم مطالعتها مطالعة روية وأناة، لأن العصر عصر سرعة واندفاع، ولا ينتهي القارئ الواحد من مطالعة صحيفة واحدة في طريقه الى المكتب صباحاً، حتى تصدر الاخرى مساء وفيها انباء جديدة لا بدله من قراءتها اذ شاء الامام باحوال العالم. فالصحف اليومية بطبيعتها الخاصة لا تصلح لنشر الشعر. وما نشر منه في صحفنا العربية متفاوت الطبقات، اختلط فيه احياناً كثيرة نابل الشعر بمجابه

لذلك كان لا بد للشعر العربي من مجلة خاصة به، تكون في آن واحد رسول الشعراء الى مريدي الشعر من ابناء العربية في كل الاقطار — وهم كثير — وعينا واقفة للادباء المرصدين، تقول لمن يحيد اجدت وتبين موضع الاجادة والاحسان، وتقول لمن يشط شططت وتشير في رفق واقناع الى مكان الشطط والزلل. فتقوم بذلك ما التوى في اذهاننا من فهم لمعاني الشعر السامية، وتصحح من موازين الادب ما اختل

واننا نرى ان اشد ما نحتاج اليه الآن، في حياتنا الادبية، النقد المنصف النزيه الصادر عن تمكن وفهم لاصول الادب واساليبه وصلته بالحياة

ونظن ان كل ذلك خطر للدكتور ابو شادي، قبلما اقدم على اخراج مجلته «ابولو» «للهوض بالشعر العربي وخدمة رجاله والدفاع عن كرامتهم وتوجيه مجهوداتهم توجيهاً فنياً سامياً» وقد صدر من «ابولو» حتى الآن ثلاثة اعداد، والاربع وشيك الظهور، تبيننا في خلال صفحاتها، رغم ما حوته من غث الشعر وسمينه، انها سائرة في سبيل الغاية التي يجب ان تكون غايتها، وهي تحبب الشعر إلى الجمهور، ونشر المختار منه بصرف النظر عن اسم الشاعر ولقبه، ونقد اساليب الشعر ومعانيه لتقويم معاييرها في اذهان خاصة القراء وعامتهم على السواء



وقد انشأ الدكتور ابو شادي « جمعية ابولو » فضمت طائفة من اكبر الشعراء المعاصرين وكان شوقي رحمه الله اول رئيس لها ، فاختر خليل مطران خلفاً له . ومن اعضائها احمد محرم والدكتور ناجي وعلي محمود طه وحسن كامل الصيرفي ومحمود ابو الوفا وغيرهم من كبار الشعراء والكتّاب امام المجلة سبيلان : الاول ارضاء كل من يبعث بشعر اليها فتشره فيرضى عنها ويكون داعية لها فتروج وتذيع وهو السبيل السهل . واما الآخر فاختر الجيد من الشعر فقط وصرف النظر عن الباقي ، فتغضب بذلك كثيرين . وهو السبيل الوعر . ولكن المجلة اذا سلكتها انصفت الادب الصحيح وتقدمت نحو غرضها السامي وان ما نعرفه عن ايمان منشؤها بمكانة الشعر السامية في العمران ، وتقدير رئيس جمعيتها وجميع اعضائها وجرأتهم في الحق يحملنا على الاعتقاد ان مجلة ابولو سالكة السبيل الوعر « ولا بد دون الشهد من ابر النحل »

### مشكلات التربية في مصر

تأليف علي حسن الهاك — طبع بمطبعة خضير بمصر — صفحات ١٢٩ قطع وسط

مشكلات التربية في مصري لب المشكلات القومية . فالتمشي مع تحقيق الآمال السياسية واستثمار خصب الارض بالوسائل الحديثة في الصناعة والزراعة ، وتشغيل العاطلين من المتعلمين ، وتحسين الصحة العامة ، ورفع مستوى المعيشة في الريف ، كل ذلك يرتد الى التربية — وهي اعداد المتعلم للحياة — ما غرض التربية الذي نرمي اليه وما الوسائل التي تتوصل بها لتحقيق الغرض ؟ ويزيد هذه المشكلات تعقيداً اننا نقيم في بقعة يلتقي عندها الخلفان ، حضارة الشرق من ناحية وحضارة الغرب من ناحية ، تمت الى الاولى بصلة الحنين والتاريخ والتقاليد ، وتحتاجنا الثانية بعلومها وفنونها واسلحتها وملاهيها . فهل نرمي في التربية الى تخرج مصري غربي كابناء الغرب ، او نرمي الى تخرج مصري شرقي .... اي هل نقتبس حضارة الغرب كما هي ، او نأخذ بأساليب الحضارة الشرقية معرضين عن الحضارة الغربية

اذا وضع المثل الاعلى للجيل الذي زيد ان ننشئه هان الجواب عن هذه المسائل . وقد وضع مؤلف الكتاب في هذا الموضوع فصلاً من ابلغ واحكم ما قرأنا ومما قاله :

« حقاً ان النظرة السطحية لتحكم لا ول وهلة بان المدنية الغربية بأنظمتها الاقتصادية والاجتماعية قد كسبت اليوم وربحت الموقعة . فالامم الشرقية ان لم تكن قد حكمت فعلاً بالسلاح فقد حكمت في الواقع بتغلغل كل ما هو غربي في الصميم من الحياة المادية والعقلية والاجتماعية » لذلك نجد مع الأسف ان سبيل الثقافة الغربية قد طغى على الشرق بقوة لا تدانيها قوة الجيوش والاساطيل والطائرات وأسلحتها الفتاكة . هي غزوة اشد خطراً وفعلاً من الغزوات



الحربية لسلطانها الثابت على الجماعات والافراد وتحويل طابع الحياة من لون الى لون مختلف كل الاختلاف «فهل يصح ان نقف أمام هذا الانقلاب مستسلمين الى سطوته وسجره ؟ وهل تلك غايتنا التي فيها الفائدة والسعادة ؟ ان بذلك الاستسلام تفقد كل أمة شرقية صفاتها الخاصة على مر الايام . وسوف يأتي يوم غير بعيد لا زى فيه الشرق وميزاته إلا لما في بطون الكتب وآثاراً في المتاحف

«ولكن هناك ظاهرة أخذت تشق طريقها بهدوء ووقار بين جذبة المدنية الحديثة . تلك هي الفلسفة الشرقية القديمة وروحها الخاص إذ قد أخذت المدنية الغربية تحفر قبرها بيدها وبدأت المدنية الشرقية تتحرر من كابوس نيرها لا على اصوات المدافع وصليل السيوف بل على قيثارة هادئة تناجيها من اعماق الماضي الشرقي البعيد بانغام قديمة كلها حنان ورفق . فأصبحت ترى العظمة الغربية في عواصم اوربا وامريكا تكلم بالغار جبين تاغور شاعر الهند وفيلسوفها في جلبابه الفياض ووقاره وعظمتها الروحية . اي تمجده في عقر دارها . واصبحت تسمع بالمواقي وهي تزخر ، والطرق وهي تفيض بحجوش حافلة اوربية لتحظى بنظرة من غاندي العاري الذي غزا اوربا بعظمة نفسه المطمئنة الوادعة وايمانه الراسخ المتين

ثم قال : ولتشارك ريشتنا الثقافتين في صنع صورة مثلنا الاعلى بحيث تظل مشكاة الماضي القديم هادية لنا في طريق الاخذ بكل ما هو غربي . . . . . واذا تناولنا التربية في ذلك المحيط القومي الامثل فلنجعل مثلها الاعلى خليطاً من العظمتين ، ولنرم الى مصري قوي في جسمه ناضج كل النضوج في ملكاته . صلب في عزمته . متين في خلقه ، مرن في تصرفه نفاذ بصره مؤمن بالله وبالفضيلة نزاع الى الخير والمعروف ، ولنتخير من نظام التربية الغربية ما ينهض بنا من غير اصطدام بتقاليدنا وفلسفتنا وادياننا »

ثم يتناول المؤلف بهذه الروح العالية ، والبصر النافذ ، والاسلوب السهل ، شؤون التربية في البيت والمدرسة على اختلافها ، وفيها كلها يصوغ من معرفته الدقيقة وخبرته الواسعة آراءً حكيمة تجمع بين صحة النظر وامكان التطبيق فهي جدرة بكل عناية . وعندنا ان هذا الكتاب يجب ان يطلع عليه كل مشغول بالتعليم والتربية في القطر المصري . بل كل مضطلع بالشؤون العامة . وليس وجوب الاطلاع على كتاب وضعه مدرس حطة من مقام الوزير او المدير او غيره من اصحاب المناصب الكبيرة ، « فدرس المستقبل سوف يكون اكبر الموظفين شأنًا في الدولة » كما يقول الاستاذ جاكس . ومدرس اليوم اذا احسن الفهم وخلص القول — كما فعل صاحب هذا الكتاب — خليك بان تسترعي آراؤه كل اهتمام . وقدima قال ولنغتن القائد البريطاني : كسبت معركة واترلوف باحتات ايتن وهارو ( وهما مدرستان من اشهر مدارس الانكليز ) ومغزى هذا القول لا يحتاج الى زيادة بيان



## جرمة سلفستر بونار

تأليف اناتول فرانس — ترجمة نعيمه حازار — نشرتها المطبعة العصرية بمصر — صفحاتها ٣١١ قطع وسط  
الذين يحسنون اللغة الفرنسية من غير انبائها يرون في كتابة اناتول فرانس مثلاً لا بدع  
ما امتازت به تلك اللغة واسلسه. ومن المحتمل أنه لم يبق منشئ فرنسي من خمسين سنة الى الآن  
ولقي من الاعجاب به والاهتمام بامر أكثر مما لقي اناتول فرانس. وهذا الاعجاب والاهتمام غير  
محصورين في فرنسا بل اشتركت فيهما بلدان كثيرة وترجمت مؤلفاته الى غير لغة واحدة  
وقد احترمه بعضهم احتراماً فائقاً حتى كادوا يعبدونه لانهم حسبوه ابلغ منشئ في اللغة  
الفرنسية في العصر الحاضر فقال الناقد جول ليمتر « ان انشاء هذا الرجل عين الكمال في حسن  
الديباجة وغاية ما وصل اليه النبوغ اللاتيني » والاعجاب بانشاءه عام لسلاسته وانسجامه وما  
فيه من الظرف والتنوع والدقة والنقد اللاذع الجريء. وانتقصة بعضهم حاسباً اياه مفسداً  
لاخلاق الشبان وانه من اساتذة الفوضى الذين قاموا في فرنسا بعد رينان واكثرهم تضليلاً  
على انه مهما اختلف الآراء في مقامه كعلم للنش لا يختلف اثنان في سمو مقامه كاديب  
ومنشئ ومؤلف روائي

ومن اول الروايات التي نشرها هذه الرواية — سنة ١٨٨١ — ويقول بعضهم انها ابلغ ما  
كتب فاحلتها الاكاديمية الفرنسية في اعلى مقام وتوجتها. وهى قصة بل قصتان تدوران حول  
شخص واحد اسمه سلفستر بونار وهو فيلسوف من اعضاء اكاديمية التدوين كان عزباً غريب  
الاطوار شديد الذكاء كثير التهمك يطيل اللقاء في كل الموضوعات بكلام رقيق منسجم غاية  
في الدقة والظرف واللين فكانه اناتول فرانس نفسه كما ود ان يكون بعد ثلاثين سنة او كما كان  
قد صار فعلاً. ويذهب احد النقاد « الى ان كثيراً من كتب اناتول فرانس قد يفقد في الاجيال  
المقبلة بعض ما له من المعزة في النفوس ولكن كتاب « سلفستر بونار » يبقى مقروءاً الى ابعد  
العصور التالية لما فيه من التهمك الجميل والعلم الواسع من غير غرور والرفقة البسامة والغرام بكل  
ما هو سام جميل في الانسان والطبيعة

فنشكر مترجمه عنايته بنقله الى اللغة العربية. ونقول اننا عهدنا الى احد الادباء المنزهين  
عن الغرض بالمقابلة بين الترجمة والاصل فاشاد بامانة النقل ودقته  
وقد وضع الشاعر محمود ابو الوفا مقدمة بليغة للقصة على اثر معاونته الناشر في تهذيبها

نحر ابي فراس واني الطيب

رسالة وضعها الاديب عبد الغني باجقني وتقدم بها لاجتياز امتحان شهادة الآداب العليا  
في الجامعة السورية بدمشق الشام. وقد اجاد الكاتب في الموازنة بين الشاعرين في اساليب الفخر  
وتعليل ذلك تعليلاً يقره التاريخ ويرتضيه الذوق الادبي. وتطلب الرسالة من مكتبة الشرق بدمشق



## مطبوعات جديدة

﴿طبقات الارض﴾ هذا كتاب مدرسي وضعه رئيس تحرير هذه المجلة وفقاً للمنهج الذي اقرته وزارة المعارف العمومية للسنة الثالثة الثانوية جاء فيه على مبادئ علم الجولوجية فبسط أولاً بناء الكرة الارضية ثم الافعال التي تنتابها خارجية وداخلية فتغير من معالم سطحها مثل الرياح والامطار والانهار والامواج والبراكين والزلازل وما إلى ذلك وختمه بفصل موجز في الجولوجية التاريخية وعمر الارض والحقب التي توالى على اشكال الحياة على سطحها والانسان في خلال العصور الجليدية . والكتاب في ١٨٠ صفحة تحتوي على رسوم كثيرة وثمنه ٥ قروش صاغ

﴿مبادئ علم النبات﴾ وضع الكاتبان العالمان محمود مصطفى الدمياطي والدكتور خربوش كتاباً موجزاً في مبادئ علم النبات يشتمل على مقرر السنة الاولى للمدارس الثانوية طبقاً لمنهج وزارة المعارف . وكلاهما من المشتغلين بهذا العلم نظراً وعملاً وتدریساً فكتابهما يجب ان يكون عوناً كبيراً للطلاب على تفهم مبادئ هذا العلم الجليل الذي يمت الى الزراعة باقوى صلة . والكتاب موضح بعشرات الرسوم التي تقرب معانيه الى القراء فليس في صفحاته غامض الا وهو مجلو بهذه الرسوم . ومما يثلج الصدر ان الفاظ هذا العلم كتبت كلها باللغة العربية فلا يستطيع مكاتب التيمس ان يقول بتعذر وضع أي كتاب علمي باللغة العربية كما فعل

﴿التربية بالقصص﴾ عني حامد القصبي المهندس في تنظيم القاهرة باخراج طبعة جديدة من كتابه «التربية بالقصص» وهو من خير الكتب التي تعطى للصغار لمطالعتها فيتعلمون الاسلوب العربي الجزل، والفصائل التي روى عن رجال الشرق والغرب . وغني عن البيان ان «التربية بالقصص» من افضل الوسائل في تثبيت المعاني الاديبة المجردة في نفوس الصغار . وهذه الطبعة مضبوطة بالشكل الكامل ومزينة بصور كثيرة ترغّب الصغار في القراءة

﴿الطفل الشاذ﴾ احمد عطية الله مؤلف هذا الكتاب من شباننا الذين لا يكفون عن البحث والتأليف والنشر . بل انه غامر بماله الخاص في نشر «دائرة معارف التربية» في حين ان كثيرين من اصحاب الاموال لا يهمهم ان يبذلوا في هذا السبيل قرشاً واحداً . وآخر مؤلفاته بحث نفسي في الطفل الشاذ وتربيته . وقد قسمه الى اربعة اقسام عامة هي : — معنى الشذوذ . الشذوذ الجسمي . الشذوذ العقلي . الشذوذ الخلقي . وأجل تحت كل موضوع ما يقال فيه من الناحية النفسية النظرية والناحية العملية . فيحسن ان تقتنيه ربّات الاسر المتعلّقات لأن فيه من الحقائق والارشادات ما يمكنهن من الاضطلاع بتربية الصغار على افضل وجه . والكتاب على صغر حجمه مفيد كل الفائدة . وثمنه قرشان



## الجزء الخامس من المجلد الحادي والثمانين

صفحة	
٥٠٣	الاضداد في الطبيعة
٥١١	خبز الذرة والحلبة . للدكتور علي حسن
٥١٦	عيد ميلاد في الجحيم ( قصيدة ) لعباس محمود العقاد
٥١٧	دراسة علماء الغرب . للاستاذ ابري
٥٢٠	القراءة المفيدة
٥٢٧	مكانة الشعر في كيان الامم . للدكتور عبد الرحمن شهبندر (مصورة)
٥٣٥	شوقي او الشاعر . للاستاذ سامي الجريديني ( مصورة )
٥٤٦	موت الشاعر . لعلي محمود طه المهندس
٥٤٩	حول حافظ وشوقي . لاسماعيل مظهر (مصورة)
٥٦٠	حافظ واللغة العربية . للشيخ عبد القادر المغربي
٥٦٦	الشهب ( مصورة )
٥٧٠	الشخصية . للدكتور ابراهيم ناجي
٥٧٥	سنة سرعة النور . لنقولا الحداد
٥٨٣	وجودي . ( قصيدة ) لاحمد محرم
٥٨٦	المنذر بن ماء السماء . ليوسف رزق الله غنيمة
٥٩٢	علم الجغرافية الاجتماعية
٥٩٦	انقضى النهار . ( قصيدة ) للشاعر الاميري لونغفلو
٥٩٧	حفني بك ناصف . لعصام الدين حفني ناصف ( مصورة )
٦٠٢	ملك الخشب . لنقولا شكري (مصورة)

٦٠٦	باب شؤون المرأة وتدير المنزل * ارشادات صحية لربات المنازل . للدكتور شافعي
٦١٠	باب المراسلة والمناظرة * نقد شوقي . الجاحظ في مصر . ترجمة الشاهنامة
٦١٢	مكتبة المقتطف * كتب في الادب الفرنسي . سيرة أبي . قصة سلامبو . حج البيت . بيت الاجداد . قصص انجليزية منقولة الى الفرنسية . صيادو الآلىء . مأساة الدردنيل . مجلة ابولو . مشكلات التربية في مصر . جريمة سلفستر بونار . نخر ابي فراس و ابي الطيب . طبقات الارض . مبادئ علم النبات . التربية بالقصص . الطفل الشاذ